جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:M.HM/02/13

مذكرة مكملة لنيل شهادة :الماجستير في التاريخ

تخصص: تاريخ وسيط

العادات الاحتفالية

مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633-962هـ/1235-1555م)

إعـــداد الطالـــب:

سهيلة دهمش

تاريخ المناقشــة: **2016/04/10**

أمام لجنة المناقشة المشكلة من:

سيدي موسى محمد الشريف	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 02	رئيسا
مفتاح خلفات	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
عبد القادر ربوح	أستاذ محاضر أ	جامعة زيان عاشور بالجلفة	ممتحنا
مزيان وشن	أستاذ محاضر ب	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية:
2014-2015م

الإهداء

إلى والدي الكريمين حبا وعرفانا

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) سورة الإسراء

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور المشرف: "مفتاح خلفات" على توجيهاته وإرشاداته البناءة والتي ساهمت في إخراج موضوع البحث في صورته النهائية، وأتمنى أن تكون الدراسة لبنة جديدة في التاريخ الجزائري في العصر الوسيط، ثم أرفع شكري واحترامي إلى اللجنة العلمية الموقرة على أبدوه من توجيهات وتصويبات .

المختصرات

تح = تحقيق

تر= ترجمة

تع= تعليق

ج = جزء

د.ت = دون تاريخ طبع

د.م = دون مكان نشر

ع = عدد

ط = طبعة

مج = مجلد

مقدمة

- أهمية الموضوع وإشكالاته.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- المنهج.
- الصعوبات.
- عرض الموضوع.
- تحليل ونقد أهم المصادر.

أ/ أهمية الموضوع وإشكالاته:

يعتبر موضوع العادات الاحتفالية «مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633 – 962هـ/ 1235– 1555م)»من نمط الكتابة التاريخية التي تتحدث في الظاهرة الدينية والاجتماعية، لا سيما وأنها شكلت موضوع اهتمام عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، ذلك أن الدراسات التاريخية لم تعد مقتصرة على المواضيع السياسية والصراعات العسكرية، بل تعدتها إلى المواضيع التي لها علاقة بالسلوكات والممارسات اليومية، وهو الطابع العام السائد في الدراسات التاريخية الحديثة.

وبما أن سكان المغرب الأوسط محل الدراسة يتبعون التعاليم الإسلامية على المذهب المالكي، فإن القيم الدينية لديهم كانت تتحكم في تصرفاتهم وتضبط سلوكهم وتوجه حياتهم، وهو ما ساعد على بروز مواضيع جديدة للبحث التاريخي، أصبحت تفرض نفسها على المؤرخين للخروج بقراءة جديدة للتاريخ، وهو ما جعل اهتمامي ينصب على موضوع "**العادات الاحتفالية –مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633– 962 هـ/1235– 1555م)**– ".

أسباب اختيار الموضوع:

إن دراسة موضوع العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط، من المواضيع المستجدة في الحقل التاريخي، ويأتي اختياري لهذا الموضوع لقلة الأبحاث التاريخية التي حفرت في العادات والتقاليد بصفة عامة والاحتفالات بشكل أخص، إذ ركزت معظم الدراسات على الأوضاع السياسية والعسكرية، أما في الأستوغرافيا الزيانية فتعتبر ظاهرة العادات الاحتفالية كمساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633– 962 هـ/ 1235– 1555م) من الموضوعات الدفينة في سياقات النص المبطن للقضايا الدينية والاجتماعية إذ أتقن مؤرخ السلطان أو مؤرخ المناقب السلطانية إخفائها وتجاهلها وبالتالي فهي من

الموضوعات الصعبة الغير جاهزة والتي تتطلب قراءات في مستويات النص الأستوغرافي الزياني[1]، ومنه فاختياري لهذا الموضوع يرجع إلى:

أولا: غياب دراسة تاريخية متخصصة بحثت في موضوع العادات الاحتفالية في العهد الزياني وأحاطت بمختلف جوانبها الدينية والاجتماعية ووضعتها في إطارها التاريخي بالإضافة إلى تأخر المكتبة الجزائرية عن نظيرتيها في تونس والمغرب واللتان قطعتا شوطا كبيرا في هذا الحقل من الدراسات التاريخية، جعلاني أعي الأهمية الملحة للقيام بهذا البحث.

ثانيا: محاولة الخروج من القراءة السطحية للتاريخ والتي ركزت عليها أغلب الدراسات في طابعها السياسي والعسكري والتركيز على مناقب السلاطين، لذا أردت من خلالها الولوج إلى أعماق المجتمع وإعادة قراءة للنص المناقبي والنوازليب اعتبارهما مادة مصدرية مهمة للتاريخ الديني والاجتماعي،وتتجاوز التاريخ الحدثي وتفتح لنا آفاق معرفية تقدم إضافة،وذلك عن طريق تتبع الأسئلة الوافدة من خلال كتب النوازل حول الموضوع.

ثالثا: مثل هذا البحث يتطلب أدوات وآليات خاصة لمعالجته، ترتكز معظمها في علوم اللسانيات والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا[2] وعلم النفس، قصد الوصول إلى رؤية شاملة حول الموضوع.

رابعا: جل الدراسات التي لامست موضوع البحث قام بها مؤرخون فرنسيون خدمة لأغراض إيديولوجية، كانوا يهدفون من ورائها إلى طمس الحقيقة التاريخية خدمة لمصالحهم، وأنا بهذا العمل أسعى إلى التحقق منها وتفنيدها خصوصا في ما يتعلق بالبعد الوثني لبعض العادات

1- لم تهتم المصادر بتاريخ الدولة الزيانية إلا ما تعلق بحاضرة تلمسان وان كان الاهتمام من زاوية معينة علمية أو أدبية فكتب التراجم مثلا تهتم بالعلماء والفقهاء ورجال الدين من الأولياء ورجال السياسة. أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، ابن مريم (حي 1014هـ/1605م) : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء من تلمسان** ، مراجعة أحمد بن أبي شنب ، الجزائر: المطبعة الثعالبية ، 1908م؛ ومؤلف مجهول : **زهر البستان في دولة بني زيان (760 – 764هـ / 1359 – 1363م)**، تح : عبد الحميد حاجيات ، ط2 ، الجزائر: الأصالة للنشر والتوزيع ،2012م .

2 – السوسيولوجيا هي دراسة المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية وهي العلم الذي يدرس المجمعات والقوانين التي تحكم تطوره. للمزيد حوا الموضوع ينظر: **جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا:** جميل حمداوي، الألوكة للنشر،ط01، 2015م.

الاحتفالية، والجدير بالذكر أن هذه الدراسات الاستشراقية مهمة لباحث التاريخ على مستوى توليد الإشكالات .

خامسا: أردت من هذا العمل أن أثري حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، علني أنير زاوية لطالما تناسها المهتمون بالتاريخ الدولة الزيانية.

سادسا: تسليط الضوء على جانب مهم من التاريخ الاجتماعي في بعده الديني، بهدف المساهمة في إثبات هوية وثقافة الجزائر العربية الإسلامية.

الدراسات السابقة:

بسب طابع التعتيم والتهميش الذي فرضه مؤرخ العصر الوسيط الزياني، فإن بعض الدراسات التاريخية الحديثةأشارت إلى الظاهر من هذا النص دون مراعاة لخفاياه، وبالتالي طَبَعَتْ الموضوع بالطابع الشمولي فتناولت ظاهرة العادات الاحتفالية في سياق الحديث عن التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، وَأَغْفَلَتْ الحديث عن الحياة الاجتماعية في الدولة الزيانية.

وإذا كانت بعض الدراسات التي تناولت موضوع العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط (633-962هـ/1235- 1555م) تكاد تكون منعدمة إلا ما جاء عرضا في بعض الكتب وفي جزئيات قليلة منها، فإن الموضوع لم يحظ بتقديري بالتفاتة علمية تذكر من قبل الباحثين والمهتمين بالتاريخ الديني والاجتماعي في العهد الزياني، في باب العادات الاحتفالية في دراسة مستقلة تستوفي جميع الشروط، باستثناء بعض الإشارات أثناء الحديث عن تاريخ مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني بصفة عامة، ولعل ما يفسر هذا الإقصاء من دائرة اهتمامات الباحثين والمؤرخين هو شح المادة التاريخية في المقام الأول، لذا أهملت الموضوع ومع هذا فإن بعض الدراسات التي عدت إليها مهمة على مستوى التنظير للموضوع، وكذا على مستوى المنهج ولعل أهمها على سبيل الذكر لا الحصر:

الدراسة التي قام بها الدكتور عبد العزيز فيلالي في أطروحته "**تلمسان في العهد الزياني –دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية–**"[1] في الباب الثالث من الفصل الثالث من الجزء الأول في حديثه عن الحياة العامة لتلمسان وما شملته من عادات وتقاليد، فقد تطرق للحديث عن الاحتفالات الدينية والمدنية والاستعراضات العسكرية.

ويمكن إضافة بسام كامل عبد الرازق شقدان ودراسته الموسومة **ب** "**تلمسان في العهد الزياني633–962هـ/1235–1555م**" [2] في الفصل الرابع منها في حديثه عن الحياة الاجتماعية في تلمسان تطرق للاحتفالات والمناسبات والأعياد في شكل مقتضب.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن هناك العديد من الأبحاث التاريخية حول المغرب الأوسط تناولت أوضاعه الدينية والاجتماعية في ثناياها، لكن دون إشارة تذكر للعادات والتقاليد السائدة به بما فيها العادات الاحتفالية التي نطمح للبحث فيها، ومن هذه الدراسات نذكر الدراسة التي قام بها خالد بلعربي بعنوان **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633–681هـ/1187–1235م)**[3]وكذا دراسة بوعياد محمود تحت عنوان: **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي1282م) دراسة تاريخية وحضارية**،[4]ومؤلف حساني مختار الموسوم **بتاريخ الدولة الزيانية**[5] ودراسة الطمار محمد بن عمرو، **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**.[6]

---

1 – عبد العزيز، فيلالي:**تلمسان في العهد الزياني – دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية ،ثقافية–** ، الجزائر: مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002م،جزءان.

2– رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس – فلسطين ،1422هـ / 2002م.

3– خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633–681 هـ/1235–1282م) دراسة تاريخية وحضارية** ، ط1، قسنطينة: دار الألمعية للنشر والتوزيع ، 2011م.

4– محمود، بوعياد: **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي** ،الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982م.

5– مختار، حساني: **تاريخ الدولة الزيانية**،ط1، الجزائر: دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع،2007م ، 3أجزاء.

6– محمد بن عمرو، الطمار: **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، الجزائر :المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1984م.

أما فيما يتعلق بالدراسات الاستشراقية حول موضوع البحث، فبغض النظر عن أهدافها الإديولوجية فإنها تطرقت في مجملها للحديث عن البعد الوثني للممارسات والطقوس الاحتفالية في المغرب الإسلامي فادموند دوتي(EdmondDoutté) في كتابه **ملاحظات حول الإسلام المغربي (المرابطين)**[1] تطرق في فصول من عمله لشعائر المسلمين والصلحاء والأولياء والشرفاء كما أبدى اهتمامه بمظاهر للاحتفالات في الأعياد الدينية، أما في مؤلفه **الدين والسحر في شمال إفريقيا**[2] فقد خصصه للحديث عن الكرنفال وبقايا السحر القديم، إلى جانب الأعياد الموسمية وطقوس الطبيعة.

وقد آزره في طرحه ريني باسي(RenéBasset)فيكتابه **أبحاث حول دين البربر**[3]الذي تحدث فيه عن الجذور التاريخية للتدين عند البربر، بما في ذلك عادة التقرب للآلهة والقيام بطقوس احتفالية خاصة، محاولا إرجاعها إلى بعدها الوثني السحيق.

ونستنتج من حصاد ما سبق أن إشكالية البحث تدور حول كونه من المواضيع التي لها تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية، خاصة في ظل شح المادة التاريخية في المقام الأول، ذلك أن المصادر التاريخية ضربت صفحا عن ذكر الأخبار المتعلقة بالعادات الاحتفالية باستثناء إشارات قليلة وردت بكيفية عفوية في بعض هذه المصادر.

وانطلاقا من هذه الإشارات سأحاول تتبع الإشكالات الجزئية التالية:

- ما هي أنواع الاحتفالات التي سادت في المغرب الأوسط الزياني؟
- هل العقلية والسلوكيات الاحتفالية لدي النخب ولدي العامة هي نفسها؟ وما هي ممارسات كل منهما إزاءها؟

1- **Notes sur Lislam Maghribein- Marabouts**:Extrait de la Revue de l histoire des Religino: Tomes xi et xii,paris:ernestlerouxEditer,1900.

2- **Magie et Religion dans l'Afrique du Nord** : Alger : typographe Adoulphejourdan Imprimeur- libraire- Éditeur 1909.

3- **Recherches sur la Religion des Berberes**: Revue de l histoir des Religions, Paris: Ernest lerouxEditeur, 1910.

– إلى أي درجة أثرت الأوضاع السياسية كالصراعات والحروب والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية كالمجاعات والأوبئة وغزو الهلاليين للمجالات الحضرية الزيانية على تغيير الذهنية الاحتفالية بها؟

– إلى أي مدى أثر الوافدون على المغرب الأوسط من نصارى وأندلسيين وغيرهم في تبني بعض العادات الاحتفالية أو التخلي عن غيرها؟ وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بالعادات الاحتفالية بين الضمور والتفاعل.

– كيف كان موقف الفقهاء من بعض العادات الاحتفالية الخارجة عن إطار السنة؟ وكيف تعاملوا مع البدع والانحرافات التي أدخلت في الاحتفالات خاصة الدينية؟

ولما كانت الأقليات الدينية كاليهودية والنصرانية تعيش هي الأخرى في هذا المجتمع فقد كانت لها عاداتها الاحتفالية الخاصة بها والتي طبعتها دياناتها، كيف كان موقف الزيانيين من هذه الاحتفالات والطقوس؟ وما هي أوجه التأثير والتأثر في العادات الاحتفالية بين الطرفين؟

ومن هذا المنظور ارتأيت طرح الموضوع للبحث للاعتبارات التالية :

أولا: أردت أن أنجز بحثا حول ظاهرة العادات الاحتفالية في المغرب الأوسط الزياني كمذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط.

ثانيا: محاولة الخروج من القراءة السطحية للتاريخ الزياني ضمن مناقب السلاطين، والولوج إلى أعماق المجتمع من خلال إعادة قراءة للنص المناقبي والنوازلي كمادة مصدرية مهمة للتاريخ الديني والاجتماعي .

ثالثا: أردت من هذا العمل أن أثري حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الدولة الزيانية في العصر الوسيط، علّني أنير زاوية لطالما تناسها المهتمون بالتاريخ الزياني خاصة وأن موضوع التاريخ الديني والاجتماعي والبحث في العوامل المؤثرة فيهما ونتائجهما أصبح عملا ضروريا، لا سيما إذا أردنا بناء نسق تاريخي متكامل حول مغربنا الأوسط، في ظل ما يعتري مثل هذه المواضيع من المحدودية والغموض

والإبهام، ومن هنا فأنا أروم من خلال هذه الدراسة إلى سد بعض الثغرات التي أرى أنها بحاجة إلى الدراسة والترميم من خلال تسليط الضوء على الأعياد والاحتفالات عند الزيانيين وما يشوبها من عادات وطقوس والبحث في مضامينها.

خامسا: رأيت في هذا المشروع المتواضع أن ألج بحثا يخدم تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، على المستوى الديني والاجتماعي حتى تكون دراستي لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة الوطنية الجزائرية، ودراسات المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

ب/المنهج:

منهج البحث قائم على استقصاء المادة التاريخية من مصادرها، واعتمدت مستويات من القراءة من أجل استنطاق النص التاريخي، وركزت على التحليل والاستنباط واستقراء ظاهرة العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط الزياني، باستعمال بعض الأدوات الإجرائية وعلى **مستوى المنهج** فقد تطلب هذا التوجه الجديد انفتاح التاريخ على العلوم الإنسانية الأخرى واستيعاب نتائجها، والاستفادة من إشكالياتها، وهكذا استفاد هذا البحث التاريخي من أدوات علم الاجتماع والأنتروبولوجيا والطوبونوميا، والأدب وعلم النفس، خاصة وأن هذه الحقول المعرفية جعلت من المجال الاجتماعي والديني إطارا لأبحاثها، قصد الوصول إلى رسم صورة واضحة وشاملة للموضوع.

ج/ الصعوبات :

لا أخفي صعوبة تناول الموضوع، والمتعلق ببحث "العادات الاحتفالية مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني(633–962هـ/1235–1555م)" ومصدر هذه الصعوبة كامن ليس فقط فيما قد يعترض الدارس لهذا النمط من المواضيع ذات الصلة بالتراث الإنساني وشموليته وتعدد مظاهره وتنوع ظواهره واختلاف أشكاله واتساع بيئاته، ولكن كذلك بما يتعرض له من تطوير وتغيير، نتيجة التحولات التي يعرفها المجتمع عبر مراحله التاريخية المختلفة، مما جعل من الصعوبة بمكان الفصل بين العادات الاحتفالية قبل وبعد العهد الزياني، وهذا راجع حتما لنوعية الموضوع في حد ذاته.

وتزيد هذه الصعوبة حين يراد الكشف عن الحضور الديني في هذه العادات والتقاليد الاحتفالية، وهو حضور قد يبدو لأول وهلة أنه واضح الملامح بارز السمات، إلا أنه عند تعميق النظر فيه للكشف عن هذه الملامح والسمات، والرجوع بها إلى أصولها ومحاولة تحليلها، لا يلبث أن يظهر قضايا خفية ومعقدة، يمكن إرجاعها لما عرفه المجتمع الزياني من غني تاريخي وحضاري من خلال معايشته لكثير من العادات القديمة التي كان لها بالغ الأثر في تراثه.

والمتمعن في العادات الاحتفالية للمغرب الأوسط في الفترة الزيانية، لا يحتاج إلى التنقيب في النصوص المصدرية فحسب، بل يتطلب نوعا من الاستحضار والمعايشة والتي غير غيابها العديد من عناصر المعادلة، إذ أن الحديث عن هذا النوع من التاريخ يستلزم المشاهدة ومعايشة الحالة أكثر من إعادة إحيائها عن طريق تخيلها.

د/ عرض الموضوع:

قسمت العمل إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، وكل فصل تفرع إلى مباحث غايتها تتبع الإشكال قصد الحصول على إجابة حول العادات الاحتفالية –مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633–962هـ/1235–1555م).

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وإشكاليته والأسباب الكامنة وراء اختياره، ومختلف الدراسات السابقة والمنهج المتبع والصعوبات وعرض الموضوع، ثم تحليل ونقد لأهم المصادر.

الفصل الأول: جاء تحت عنوان «**الاحتفالات الدينية**» وتطرقت فيه للطقوس التي كان يقوم بها الزيانيون في هذه المناسبات، كما صنفت فيه هذه الاحتفالات فاستهللت مبحثه الأول بالحديث عن «**الاحتفال بشهر رمضان**»وكيف كانت الاستعدادات لهذا الشهر وما كان يواكبه من مراسيم،وعنونت المبحث الثاني بـ«**الاحتفال عيد الفطر**» وحاولت من خلاله أن أبرز أهم الأعمال التي كان يقوم بها الزيانيون تحضيرا لهاته المناسبة، من ترقب لهلال شوال وتزين وصنع حلوى وغيرها، أما في المبحث الثالث «**الاحتفال بموكب الحج**» فتتبعت

فيه الطقوس التي كان يقوم بها السلاطين الزيانيون إظهارا منهم للاحتفاء بهذه المناسبة والإجراءات التي يتخذونها لتسيير لموكب الحج وفي المبحث الرابع«**الاحتفال بعيد الأضحى**»وما له من مكانة مقدسة في نفوس المغاربة بدءا بشراء الأضحية وحتى انتهاء أيام التشريق،وفي المبحث الخامس «**الاحتفال بعاشوراء**» ثم «**الاحتفال بالمولد النبوي**»والذي كانت له حصة الأسد في هذه الدراسة لما أولاه له الزيانيون عامة وسلاطينا وما أعدوه من إمكانات ضخمة للاحتفال به،وأخيرا«**الاحتفال بحذق القرآن**» إضافة إلى «**الاحتفال بيوم الجمعة**»والذي كان في المدن أكثر منه في القرى والبوادي.

الفصل الثاني: وعنونته بـ«**الاحتفالات المدنية والعسكرية**»، بينت فيه أهم الاحتفالات المدنية كالختان والزواج وغيرها بدءا بـ«**الاحتفال بميلاد الأطفال والختان**»،وجاء فيه احتفالات الولادة والعقيقة والختان، أما في المبحث الثاني والذي جاء بعنوان «**الاحتفال بالزواج**»فرصدت فيه مراحل التحضير لحفل الزواج بدءا بالخطبة والمهر والوليمة والعرس وما فيه من غناء ورقص وغيرها، وفي المبحث الثالث بعنوان «**الاحتفال بيناير**»تتبعت فيه أصل هذا الاحتفال وما يحويه من طقوس وعادات، أما المبحث الرابع فجاء تحت عنوان «**الاحتفال بتدشين المنشآت**» سواء المدنية كالمدارس أو الدينية كالمساجد، وما أولاه السلاطين الزيانيين لها من عناية بالغة واحتفال، أما عنصر الاحتفالات العسكرية فقد تطرقت فيها للحديث عن «**استعراض الجيش**»و«**سباق الخيل**»و«**استقبال السلطان في الحروب**» وتجدر الإشارة إلى أن المادة المصدرية في هذا الجزء من البحث شحيحة نوعا ما.

الفصل الثالث: عنونته بـ«**العادات الاحتفالية بين الضمور والتفاعل**»بدءا بـ«**تأثير الهلالين ودخولهم للمجالات الحضرية على العادات الاحتفالية**»لتتبع تأثير الوافد على المغرب الأوسط في مجال العادات الاحتفالية ثم اتبعتها بـ«**الدراسات السوسيولوجيةالكولنيالية لأشكال الاحتفال بالمغرب الأوسط**» التي عملت في مجملها على إرجاع العادات الاحتفالية وما صاحبها من طقوس إلى البعد الوثني، في محاولة لطمس الهوية الوطنية للتاريخ الجزائري، وانتقلت بعدها إلى «**السلوكات الاحتفالية لدى النخب والعامة**» وهل هناك فروقات

في الاحتفال بين الفئتين، بعدها «**موقف الفقهاء من بعض العادات الاحتفالية**» بين الجواز والإكراه والتحريم.

الفصل الرابع: عنونته بـ«**العلاقات القائمة بين الاحتفالات كطقوس وممارسات وبين حقيقتها المفترضة**» وأوردت في المبحث الأول «**الاحتفال والمجال (المدينة والبادية)**»تتبعت فيه الاحتفالات في مجال المدينة مع سكان الحواضر ومدى تأثير أهل الذمة من اليهود والنصارى والجالية الأندلسية على وجه الخصوص، بعدها تحدثت عن الاحتفالات في البادية مع سكان الأرياف مبينة الفروقات في حجم الاحتفالات والإمكانات التي يختلف فيها المجالين، أما المبحث الثاني فعنونته بـ«**بقايا الحضور الوثني داخل الممارسات الاحتفالية**»استعرضت فيهالحجج والأدلة التي ساقها المستشرقون في محاولة منهم لإرجاع كل العادات والطقوس الاحتفالية إلى خلفيات وبقايا وثنية، مارسها سكان المغرب قبل الفتح الإسلامي وبالتالي قبل قيام الدولة الزيانية أما المبحث الثالث جاء تحت عنوان«**التداخل بين الدين والسحر داخل الطقوس الاحتفالية**» وختمت الفصل الأخير بمبحث جاء تحت تسمية «**الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال وإقامة الأعياد**».

وأما الخاتمة فأجملت فيها مختلف الخلاصات والنتائج التي توصلت إليها من خلال تناول موضوع العادات الاحتفالية مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني (633–962 هـ/1235–1555م) وأرفقت العمل بقائمة المصادر والمراجع وذيل للفهارس.

هـ/ تحليل ونقد أهم المصادر:

تعددت المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة وتنوعت مشاربها وتباينت طريقة عرضها لموضوع العادات الاحتفالية بحسب توجهاتها، منها كتب المناقب وكتب التاريخ العام والمصادر الجغرافية والتراجم وكتب النوازل الفقهية، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل فرض التوجه الجديد للدراسات التاريخية تعدد مستويات القراءة لهذه الوثائق وأخص بالذكر منها:

المخطوطات:

كتب المناقب:

وردت في أصناف كتب مناقب الأولياء والصوفية والسلاطين والتأريخ لكل ما يتعلق بظاهرة العادات الاحتفالية، إلا أنها اعتبرت من المصادر الأساسية بالنسبة لهذه الدراسة لأنها تكشف عن بعض ملامح الاحتفال بالمغرب الأوسط الزياني، فضلا على أنها تكشف علاقة المتصوفة والفقهاء، وكذا السلاطين الزيانيين بمظاهر الاحتفال وكيف تفاعلوا معها بالإضافة إلى موقفهم منها.

كتب المناقب السلطانية:

أبو العباس أحمد بن أبي زرع الفاسي (ت736هـ/ 1337م)[1] اهتم الكتاب بتاريخ المغرب الأقصى منذ القرن(2هـ/ ق8م) حتى وفاة المؤلف ويظهر الكتاب ميوله نحو بني مرين فهو هدية لتاسع السلاطين المرين أبي سعيد عثمان الثاني (ت731هـ/1330م)، ورغم هذا أفادني في معرفة أوضاع المغرب الأوسط الزياني وما تعرض له من أزمات أثرت على الحياة الاجتماعية للزيانيين، وبالتالي على النمط العام للعادات الاحتفالية عندهم.

يحيى بن خلدون: (ت780هـ/ 1378م) اعتمدت على مؤلفه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد الكتاب يتكون من جزأين، الجزء الأول[2] تحدث عن تلمسان والمغرب الأوسط منذ الفتح إلى سنة (754هـ/1353م) متضمنا وصف تلمسان وأصل بني عبد الواد وتأسيسهم دولة لهم متخذين من تلمسان حاضرة لها، والجزء الثاني[3] يبدأ من استلام السلطان أبو حمو موسى الثاني الحكم سنة (760هـ/ 1359م) حتى مقتل المؤلف سنة (780هـ/1378م) مفصلا الأحداث في تلمسان والمغرب الأوسط وخصصه لمناقب وأعمال أبو حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م) لكن المنهج ظل في المدح والإطناب

1- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، تح: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

2-تح: عبد الحميد حاجيات ، الجزائر: المكتبة الوطنية ،1980م. ج1.

3- تح: بوزياني الدراجي ، الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، 2007م،ج2.

والتعميم في وصف مجالس السلاطين الزيانيين، وقد أفاد البحث كثيرا لأن مؤلفه شغل منصب كاتب السر لدى السلطان، وبالتالي كان حاضرا في جميع الاحتفالات السلطانية والدينية، وكان شاهد عيان على العادات التي وجب إتباعها لإحياء بعض الاحتفالات والأعياد.

التنسي محمد بن عبد الله (ت899هـ/1494م)[1] يتحدث عن تاريخ الدولة الزيانية من مختلف النواحي في فترة القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي، والمؤلف عمل في القصر الزياني داخل تلمسان ويظهر ميولا نحو السلطان الزياني محمد المتوكل(866-873هـ/1462-1468م)، وتكمن أهمية هذا المصدر في أنه حفظ لنا الأعمال التي قام بها السلاطين الزيانيون أثناء إقامتهم الاحتفالات، خاصة احتفال المولد النبوي وختان أبنائهم.

كتب المناقب الصوفية:

ابن قنفذ أبى العباس أحمد الخطيب القسنطيني (ت810هـ/1408م)[2] ودون فيه المؤلف رحلته الزيارية إلى المغرب الأقصى التي بدأت سنة (761هـ/1375م) وذكر معايشته لمجاعة عظيمة عمت المغرب ككل سنة (776هـ/ 1375م) وكان وقتها بالعباد في تلمسان حيث فصل في ذكر مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية وتأثيرها على تدني المستوى المعيشي بتلمسان وبالتالي على الدولة الزيانية، وحاولنا بناء على ما فيه من معلومات أن نتقصى عن وضع الاحتفال وما شابه من تغيير في ظل هكذا ظروف.

كتب التاريخ العام:

تعطي لنا زمنية الحدث مما يسمح لنا بتتبع العادات الاحتفالية، لكن في مقابل ذلك لا توافينا بمعلومات كافية عن هذه العادات الاحتفالية، لأنها غالبا ما تذكرها ضمن الأحداث السياسية.

1-**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتابنظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**، تح:محمود بوعياد، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية ، 1985.

2-**أنس الفقير وعز الحقير**، نشر: محمد الفاسي و أدولف فور، الرباط : منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.

- كتاب العبر يتكون الكتاب من7 أجزاء [1] وقد استفدت من الجزء السابع لاحتوائه معلومات عن تلمسان والمغرب الأوسط، وتعود أهميته لكون مؤلفه دخل لتلمسان ورصد لنا أوضاع الزيانيين فيها بما في ذلك العادات الاحتفالية .

كتب الجغرافيا والرحلات:

فائقة الأهمية لأنها تكاد تكون متخصصة في الجغرافيا البشرية وفي معاش الأمم إذ تكشف لنا بالمعاينة عن تصرفات الناس وعاداتهم وتقاليدهم، ومنه فقد أمدتني بمعلومات وفيرة حول بعض الأنشطة الاحتفالية التي مارسها الزيانيون كغيرهم من المغاربة أثناء احتفالاتهم فلولا:

أبو الحسن علي بن محمد القرشي القلصادي (ت891هـ/1486م) [2] أقام القلصادي بتلمسان ثماني سنوات في طريقه إلى الحجاز، وسبعة أشهر في طريق عودته إلى الأندلس ووصف المراكز التي مر بها ويتميز أسلوبه بالإيجاز ولا يتوسع في ذكر الأحداث وفي خصائص البلاد التي يزورها، أما التسمية الأصلية للرحلة فهي "**تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**" والرحلة هي رحلة حجازية أدبية.

الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت957هـ/1550م) [3] وكتابه الذي يتكون من جزأين ألفه باللغة الإيطالية هدية للبابوية والذي ترجم إلى الفرنسية ونقله إلى العربية الأستاذ محمد حجي، ويتضمن الكتاب وصفا لمدن المغرب الأوسط ومملكة تلمسان ويحتوي على معلومات ليست كثيرة من الناحية الكمية لكن لها قيمة معرفية مهمة جدا، وتعود أهمية الكتاب إلى كونه جغرافيا وتاريخيا ومؤلفه زار المدينة سنة (921هـ/1515م) وعاش فترة في قصور سلاطينها.

1- **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة : سهيل زكار، بيروت : دار الفكر للطباعة و النشر،2010م. 8 أجزاء .

2-**رحلة القلصادي**، تح : محمد أبو الأجفان ، تونس: الشركة التونسية للتوزيع ، 1978م.

3 - **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، بيروت :دار الغرب الإسلامي،سنة 1983م، جزءان.

العبدري البلنسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت بعد سنة700هـ/ 1300م)[1] في رحلته الموسومة كذلك "**ما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى المشرق**" سجل صاحب هذه الرحلة نقده اللاذع لمختلف أوضاع المغرب الأوسط ويعزى ذلك إلى ما فعله المرينيين من أعمال تخريبية اتجاه الدولة الزيانية، وما التوقف عن إقامة بعض الاحتفالات للعجز الاقتصادي لدى الدولة الزيانية والأفراد إلا دليل قاطع على ما مرت به الدولة الزيانية من ركود، سببه الوجود المريني وحالة الحصار المتكرر التي عانت منها.

كتب التراجم:

تهتم كتب التراجم والطبقات بحياة العلماء والفقهاء والصوفية وترصد الحياة الاجتماعية للمجتمعات من حيث عاداتها وتقاليدها.

ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي(ت618هـ/ 1220م)[2] رصد واقع حياة الحركة الصوفية في المغرب الإسلامي في القرنين (5-7هـ/ 11-13م) وترجم لمائتين وستة وسبعين صوفيا، أشار ضمنها إلى ممارسة بعض المتصوفة للغناء في الأعراس قبل توجههم للتصوف.

ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت810هـ/1407م)[3] وقف بالعباد في تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين الغوث في طريقه راجعا من فاس إلى قسنطينة، جمع بين فن الرحلة والتراجم الصوفية فقد ترجم فيه صاحبه للعديد من متصوفة المغرب الأوسط، وكيف تعاملوا مع بعض العادات الاحتفالية وكيف كان موقفهم منها.

1- **الرحلة المغربية**، تح: علي إبراهيم الكردي، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

2- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح : أحمد التوفيق، ط2 ، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1997م .

3 -**شرف الطالب في أسنى المطالب**، تح:محمد حجي،الرباط: مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م و **الوفيات**، **ط**04، تح: عادل نويهض، بيروت: دار الأفاق الجديدة،1983م.

كتب النوازل:

لم تهتم كتب النوازل بتحديد زمن النازلة ولا المكان الذي جاءت منه، وهو عيبها لكن لا غنى عنها في مثل هذه المواضيع ولعل من أهم كتب النوازل التي اعتمد عليها البحث نوازل الونشريسي أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م)[1] الذي احتوى على معلومات هامة ومعتبرة حول موقف الفقه من بعض الممارسات الاحتفالية، بما فيها الموقف الفقهي من احتفالات أهل الذمة، لكن ما صعب العمل على هذا النوع من المصادر أنها تتميز بنسبية الزمان والمكان لأن الهدف منها هو معرفة الحكم الفقهي لا التأريخ للنازلة كحدث تاريخي.

وحسبي أن لا تكون الصعوبات قد قللت من القيمة العلمية للبحث، فأملي في الأخير أنني قد وفقت في تناول هذا الموضوع المهم وأجبت عن إشكاليته الأساسية.

1- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**،تح: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، 1981م.

الفصل الأول

الاحتفالات الدينية

أو لا: الاحتفال بشهر رمضان
ثانيا: الاحتفال عيد الفطر
ثالثا: الاحتفال بموكب الحج
رابعا: الاحتفال عيد الأضحى
خامسا: الاحتفال بعاشوراء
سادسا: الاحتفال بالمولد النبوي
سابعا:الاحتفال بحذق القرآن
ثامنا: الاحتفال بيوم الجمعة

لا جدال أن الزيانيين كغيرهم من سكان المغرب الإسلامي أبدوا اهتمامهم الخاص بمثل هذه الاحتفالات،وعليه سأحاول ملامسة أهم العادات الاحتفالية في الأعياد الدينية عندهم، والتي تعد أياما مقدسة تجمع بين العبادة كالصلاة والذكر والصدقة والنسك والتهليل والتسبيح والتكبير، وبين العادة وما فيها من توسع في الطعام والشراب والملبس والزينة والمرح والسرور وسائر الأعمال المستحبة، كما سيتم التركيز على عيدين دينيين هما عيد الفطر وعيد الأضحى، دون أن ننسى أن العرف السائد عند الزيانيين احتفالهم بالمناسبات الدينية الأخرى التي ارتقت لديهم وأصبحت أعيادا، كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

أولا: الاحتفال بشهر رمضان

كان لشهر رمضان قداسته عند سكان المغرب الإسلامي عامة، وعند الزيانيين خاصة، إذ كانوا يستعدون له منذ اليوم الأول بشراء كل ما يلزمهم من مأكل ومشرب للفطور والسحور [1]، وكان القضاة يشرفون على ترقب هلال رمضان بشغف، وهم من يعلم كافة المسلمين بحلوله[2]، وهذا الترقب مس جميع أفراد المجتمع الزياني على اختلاف مشاربهم.

يبدأ الاحتفال منذ أوائل شهر رمضان وفي هذا الصدد قال ابن الخطيب(ت776هـ/1365م) عن رؤية هلال رمضان: حتى إذا وقف الأئمة منك على الصحيح وصرحوا برؤيتك كل التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، وتأهبت القراء لإشْفَاعهَا واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت الألباب، وطلبت المواقف أواخر العُشَار والأحزاب، وابْتُدِيَتْ ألم ذلك الكتاب، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصباح.[3]

1- عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحارث بن همام أبي العباس السبتي الهواري (601هـ): **مناقب أبي العباس السبتي**، مخطوط رقم 1198، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، 22 ورقة، ب31.مكتبة رقمية.

2- الونشريسي: **المعيار**،149/1.

3- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط2، تح: محمد بن عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973-1977م، 4 أجزاء، 318/1.

ويكثر في هذا الشهر القيام وتتوزع فيه الصدقات وتتعدد به الزيارات بين الأقارب والجيران والأصدقاء تدعيما لأواصر المواخاة في المجتمع وكانوا يدعون بعضهم بعضا إلى الإفطار في منازلهم طوال شهر رمضان[1]،في المقابل كانت المساجد والزوايا تزين بالشموع والقناديل وبأنواع البخور والعود والعنبر[2]، والتي يتشارك اليهود والنصارى في إحضارها للمساجد للبركة، وجرت العادة في هذا أن يحرص الناس على حضور صلاة التراويح حتى في وقت القر والقيظ وشدة البرد بالجامع الأعظم بمدينة تلمسان[3]، وخاصة عندما يؤم الصلاة الإمام أبو العباس الزواوي(ت884هـ/1479م) الذي كان يتميز بأداء التلاوة وحسن الصوت[4].

قد عرف رمضان بأنه شهر العبادة لما ذكر من فضل التهجد والتعبد فيه وقراءة القرآن والحديث، فإن كافة الناس كانوا يواظبون على قراءة الأذكار وتأدية الصلوات بالمساجد وأعتاد سلاطين الدولة الزيانية إحياء هذا الشهر بالقراءة في مصحف سيدنا عثمان.[5]

1- جمال، أحمد طه: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين**، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م، ، ص345.

2 – عبد العزيز، فيلالي: **تلمسان**، 270/1، سأتطرق لصحة هذه المعلومة ورأي الفقه فيها أثناء دراستي في الصفحات القادمة.

3 –ابن الزيات التادلي: **التشوف**، ص373.

4 – هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي (800– 884هـ /1398 – 1479م)، متكلم وفقيه مالكي، من كبار العلماء في وقته، له نظم، يقال أنه نظير عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا، أصله من قبيلة زواوة، سكن الجزائر وتوفي بها، قال السخاوي من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق وقال الشيخ زروق كان شيخنا من أعظم==العلماء إتباعا للسنّة وأكبرهم حالا في الورع، من آثاره **كفاية المريد** في علم الكلام، منظومة لامية تزيد على 400 بيت، وتسمى أيضا **الجزائرية في العقائد الإيمانية** مخطوطة، في الأزهرية، شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وأثنى عليه، وله أيضا القصيد في علم التوحيد، وقال عنه سيدي أبي القاسم الحفناوي نقلا عن **نيل الابتهاج:** الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو العباس ظريف العارفين، صاحب العقيدة المنظومة اللامية المشهورة.**تعريف الخلف برجال السلف** لسيدي أبي القاسم الحفناوي: الجزائر :مطبعة بيير فونتانة الشرقية،1906م،33/1.

5– التنسي: **نظم الدر**،124 ؛ ظل مصحف عثمان محفوظا في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الواد حتى قدم أبو الحسن على بن عثمان بن أبى يعقوب المريني إلى تلمسان في أواخر شهر رمضان سنة 737 هـ (1336م) وافتتحها سنة 738 هـ فظفر بهذا المصحف فاهتم به اهتماما خاصا وكان يقدمه أمامه على عادة الموحدين عند خروجه للقتال، واتفق أن وقع هذا المصحف غنيمة في أيدي البرتغاليين الذين اشتركوا مع القشتاليين والآرجونيين في موقعة طريف المعروفة في المصادر المسيحية بموقعة نهر سلادو في 7 جمادى الأولى سنة 741 هـ (1340م) وانتهت بهزيمة نكراء منى بها=

وكما هو معروف فإن صيام شهر رمضان مقترن بعادة (التسحر) السحور[1]، وفي هذا الصدد استعمل الناس عدة وسائل لإيقاظهم وقت السحور، منها النفخ في النفير[2]، أو بالدق على الطَارْ وضرب الشَبَابَة، وغالبا ما كان مؤذنو المساجد هم من يتولى مهمة إيقاظ الناس للسحور.

ولعل الملفت في هذا المقام ما كان يظهره الساكنة من مواظبة وحرص في أداء العبادات، أما المتصوفة منهم فكانوا يزيدون على ذلك، إذ كانوا يغيرون مكان إقامتهم إلى الزوايا قصد التفرغ للعبادة[3]، ومنهم من كان يختم القران الكريم عدة مرات في رمضان[4] وتجدر الإشارة إلى أن الزيانيين كغيرهم من المسلمين المغاربة كانوا يولون ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عناية خاصة ويحيطونها بهالة عظيمة فكانت على حد قول التادلي: «أعظم ليلة في هذا الشهر هي ليلة السابع والعشرين منه».[5]

=المرينيين ولم يدخر السلطان المريني جهدا لاسترداد المصحف فأرسل إلى البرتغاليين التاجر أبا على الحسن بن جمى من مدينة آزمور ليخلص المصحف بما يطلب فيه من مال ونجح أبو على الحسن في مهمته وأعاده إلى السلطان أبى الحسن المرينى بفاس في سنة 745 هـ وذكر ابن مرزوق أنه أنفق في افتداء المصحف آلاف من الدنانير الذهبية . وهكذا أعيد المصحف الأمام إلى فاس بعد أن جرد البرتغاليون أغشية ومزقوا ما كان على دفتيه من وشى وأحجار كريمة. واستمر المصحف محفوظا في خزائن المرينيين، وكان ذلك آخر العهد به إذ انقطعت أخباره منذ ذلك التاريخ. للمزيد حول تاريخ هذا المصحف ينظر سحر، السيد عبد العزيز السالم: **أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا** ،ط01، مصر: مؤسسة شباب الجامعة ،1991م.

1- السَّحُور: - بفتح السين - طعامُ السَّحَرِ وشرابُه، وبضمها: أكل هذا الطعام. فهو بالفتح اسم ما يُتَسَحَّر به، وبالضم المصدر والفعل نفسه.أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري،ابن منظور (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**،ط3،بيروت: دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي: بيروت ، 1999م، مجلد 3، 1953/22.

2- جمال، أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص345. والنَفِيْرُ أو البَوْجَلْآلة نفخ نحاسية حادة الصوت تشبه في شكلها البوق، تصدر بعض نغمات لإعلان ساعة الاستيقاظ أو الإفطار في رمضان، ولإشهار الأعراس أيضا وفي الاحتفالات والمناسبات الشعبية، ولدى طائفة عيساوة الصوفية في المغرب، تستعمل لإعلان قدوم عيد الفطر. منير، البعلبكي ورمزي، البعلبكي: **قاموس المورد الحديث**، لبنان: دار العلم للملايين،2013م، ص 167.

3- ابن الزيات التادلي:**التشوف**، ص344.

4-**نفسه**، ص344.

5**نفسه** ،ص344. يقول ابن الخطيب(ت776هـ/1365م): «وظلت ليلة سبع وعشرين إحدى المواسم المختصة باستجلاب الأمم وتخييم الخيم واحتفال الأسواق،5 إن استعماله لمصطلح إحدى المواسم المختصة دليل على أنها من بين أهم

رغم ما حملته هذه الليلة من قداسة في نفوس الزيانيين إلى أن هذا لم يمنع أن تقوم فيها بعض الحركات الانفصالية ضد أحد السلاطين الزيانين[1]، وربما كان اختيار هذه الليلة بالذات لما سبق ذكره عن قداستها.

ولعل ما يزيد في أهمية هذه الليلة ما ذكره ابن الخطيب بقوله: الْتُمسَتْ الليلة التي هي خير من ألف شهر، فنشط الصالحون بك صوماً وهجر المتهجدون في ليلك نوماً وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوما[2]،لا سيما أنها تزامنت ونزول القرآن لقوله تعالى﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ومَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ﴾[3] وكان رسول الله ﷺ يحتفي بها ويلتمسها في العشر الأواخر وفي الوتر منها خاصة، التماساً لتلك الليلة وحسبنا في ذلك ما رواه البخاري(ت256هـ)[4] في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله ﷺإذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر"[5] وإتباعا لسنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم اجتهد الزيانيون كغيرهم من مسلمي المغرب الإسلامي إحياءا واحتفاءا بهذه الليلة المباركة واحتفلوا بها أيما احتفال، فاجتهدوا في تلاوة القرآن في تلك الليلة بالمساجد الجامعة، مع وجوب ختم القرآن فيها وإقامة صلاة التراويح.[6]

المناسبات الاحتفالية التي تتافس في إحيائها الزيانيون أمراء وعامة. ابن الخطيب: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح :السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة : الدار البيضاء، 1989م ،ص122

1- ثورة أحمد بن الناصر بن أبي حمو «ففي ليلة سبعة وعشرين رمضان سنة 850هـ/1446م دخل أحد أمراء بني زيان وتآلفت عليه طائفة من تلمسان صرخوا بنصره وهولوا بأطبال وأنفار فلم ينجح رأيهم في ذلك فأخذوا وأوتي به إلى السلطان أحمد فأمر بقتله»، التنسي: **نظم الدر**،ص253.

2-**الإحاطة**، 318/1.

3 - سورة القدر، الآية 1، 2.

4 - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، تع: محمد بن الصالح العثميين، باب الواد-الجزائر: دار الإمام مالك للكتاب، 2010م، 4 أجزاء.

5- **نفسه**، 73/2، ورد في باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، رقم الحديث 2015، حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر». 71/2.

6- أبو عبد الله محمد، ابن مرزوق (ت781هـ/1379م): **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوسبيغيرا، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 134.

ثانيا: الاحتفال بعيد الفطر

عيد الفطر هو أول أعياد المسلمين, يحتفلون به في أول يوم من أيام شهر شوال بعد صيام شهر رمضان،ويحرّم صيام أول يوم من أيامه، وفي هذا الصدد قال ابن الخطيب (ت776هـ/1365م): «واحتفلوا بآخر ليلي رمضان وبرؤية هلال شوال»[1]، وظل الاحتفال بعيد الفطر في الدولة الزيانية امتدادا لما سبق، فقد جرت العادة على أن يبدأ التحضير للاحتفال به منذ أوائل شهر رمضان، ودخول أول يوم من شهر شوال، ويستمر الاحتفال به فيما يبدو ثلاثة أيام عندما تثبت رؤية الهلال بشهادة الشهود أمام قاضي الجماعة بتلمسان، والذي يعلن بدوره على حلول عيد الفطر للمسلمين، وبحلول العيد يدفع الصائمون عن أنفسهم وعن أفراد عائلاتهم وعن المولود قبل أن يفهم أو يعقل صدقة الفطرة،وتسمى زكاة الفطر للفقراء والمساكين[2]، وجرت العادة أن يتم إخراجها قبل هذا اليوم حتى يمكن من الاستفادة منها ليلة العيد أو قبل ذلك بقليل، ويجوز دفعها قبيل صلاة العيد أو في أواخر شهر رمضان لشراء ما يحتاجون إليه من ملابس ومؤن[3]، وتجدر الإشارة إلى أن اليهود والنصارى كانوا يهدون للمساجد بهذه المناسبة مختلف أنواع الطيب[4] ويعلق ابن الخطيب(ت776هـ/1365م) عن استعداد المسلمين في هذا العيد في قوله: «هذا هلال شوال قد طلع، وكر في منازله وقطع، وغاب أحد عشر شهراً، ثم رجع...فقل هو هلال الفطر أو قل هو هلال العيد، فلقه صباح مشى الناس فيه مشيي الحباب، ولبسوا أفضل الثياب، وبرزوا إلى مصلاهم من كل باب، فارتفعت همة الإسلام. وشرفت أمة محمد عليه السلام، وخطب بالناس ودعا للإمام... ثم انصرفوا راشدين... ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه».[5]

1-**الإحاطة**،500/2.

2- ابن الزيات التادلي : **التشوف**، ص460.

3 - خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص305؛ وجمال، أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**،ص345؛ وعبد العزيز، فيلالي: **تلمسان**:1/ 270.

4- محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ط2، الجزائر: ديوان ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، 50/2.

5 - **الإحاطة**: 502/2.

أما عن صلاة العيد فكانت تقام في الملعب الذي يقع خارج أسوار المدينة أمام باب القرمادين[1]، يحضرها الزيانيون من مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية، يتقدمهم السلطان الزياني في موكب حافل يشترك فيه الحرس والجيش بزيهم المميز، ويخرج الناس لرؤية الموكب بلباس جديد وقلوب فرحة، ولا سيما الأطفال مبتهجين بالعيد السعيد وباللباس الجديد يلعبون ويمرحون باللعب المصنوعة من الخشب وبالصور والدمى، وهو الأمر الذي جعل بعض الفقهاء يتصدون لهذه الظاهرة بتحريم صنعها واللعب بها، وهو ما سنفصل فيه في موقف الفقهاء من العادات الاحتفالية.

ويظل هذا الاحتفال يوما بهيجا تحضر فيه الناس أنواعا من الحلوى كالكعك والمقروط والقريوش، وتقدم يوم العيد مع مشروب كالشاي والقهوة، أما في اليوم الثاني والثالث فيتوجه بعض أصحاب الطرق الصوفية لزيارة ضرائح الأولياء والمقابر، وهو ما سأناقشه بنوع من التفصيل والتحليل في الصفحات القادمة، وهكذا تنتهي مراسيم عيد الفطر ثم يعود الناس إلى أشغالهم في الأيام الموالية.[2]

ولعل الملفت في هذا الباب من مظاهر الاحتفال بعيد الفطر عند الزيانيين هو التفنن في اقتناء جديد الثياب وأحسنها أو ما نسميه لباس العيد، ولكون الملابس نفسها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادات والتقاليد،خصوصاً أوقات المناسبات والأعياد والاحتفالات المختلفة، فهي التي تحدد لنا طريقة ارتدائها، وتنوع ألوانها واختلافها، ولا نستبعد أن تكون ملابس الأعياد نفسها قد استعملها أهل المغرب عامة بحكم عامل التأثير والتأثر والامتزاج الحضاري.

1- باب القرميدين أحد أبواب تلمسان يقع في الشمال الغربي منها، ويعتبر الحصن الدفاعي الأساسي الذي يحمي مدخل المدينة وأخذ هذا الباب اسمه من صناعة القرميد التي كانت رائجة فيه، بدليل أفران صناعة الفخار والقرميد. يحي ابن خلدون : **البغية**، 90/1 ؛مجهول : **زهر البستان**، ص39؛ ويحي بوعزيز : **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة،1985م، ص 25 ؛ وخالد بلعربي ، **الدولة الزيانية**، ص239؛ ومبارك بوطارن: **الموروث الإسلامي لتلمسان**، ط1 ، الجزائر : طبع بدعم من وزارة الثقافة ، 2011م ، ص14؛ وعبد المالك موساوي : **دور الزخرفة في الحياة الحضارية بتلمسان** ، ط1، الجزائر : دار السبيل للنشر والتوزيع،2011م ، ص16.

2- محمد، بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**،2/ 51..

ويستشف من الإشارات التاريخية أن البرنس المغربي كان أهم ما يلبسه الرجال الزيانيون في الأعياد، وكان يعد من الأشياء الثمينة التي تهدى للملوك والسلاطين بالمشرق،.فقد أهدى السلطان أبو الحسن المريني(731-749هـ/1331-1348م) في فترة بسط نفوذه على تلمسان لدولة المماليك بمصر«الحُلَلُ المَرْقُومَة المذهبة والأُنْسَاق والقنع والمُحرَرَات المختمة والبرانس المصنوعة من الحرير المُشَفَفْ وأحاريم الصَدَفْ[1]، يتبين من الأوصاف السابقة المتعلقة بهذا النوع من الملابس أننا نستطيع أن نتمثل صورته الواضحة. وقد ارتداه السلطان المريني والزياني وغيرهما من القادة والجند، إذ لا غنى لأحد عنه لأهميته التاريخية في المناسبات والاحتفالات الدينية والرسمية والحياة اليومية، ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه غلب على لباس العيد عند الزيانيين الملابس المصنوعة من الصوف والقطن والحرير،وهذا الأخير كان مقتصرا على النساء فقط لأن فقهاء الدولة الزيانية حرموا على الرجل لبس الحرير[2]، بينما ارتدى الأغنياء في الأعياد ملابس الديباج والحرير والصوف الرفيع.[3]

وقد اقتصر لبس الزيانيين في الأعياد جله تقريبا على كساء الصوف« فكان كساء الصوف لا غير»[4]، وذلك لما وردت في مدحه من فضائل عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي ورد ذكرها عن ابن صعد: عن النبي ﷺ«عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة، وعليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل فإنه يورث في القلب التفكر، والتفكر يورث الحكمة، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم، فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه، ومن كثر طعمه عظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة، قريب من النار».[5]

1- ابن مرزوق،**المسند الصحيح**، ص ص. 452 . 453.

2- خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص305.

3 - ابن خلدون: **المقدمة**، بيروت: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1996م، ص205.

4- القلصادي: **رحلة القلصادي**، ص: 101.

5- محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني، ابن صعد (ت901هـ/1496م): **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، ط1،تح: يحي بوعزيز، الجزائر :منشورات المؤسسة الوطنية للإشهار،2002م ،ص200.

كما يمكن رصد ألبسة تصنع من أقمشة أخرى كالكتان والحرير والملف[1] وهو من الأقمشة الفاخرة عند المغاربة، يصنعون منه الملابس كما كانت تمنح ضمن أعطيات السلطان الكيسي المناسبة لأهل تلمسان، ومنها الخز الرفيع[2]،بالإضافة إلى أن سكان المدن لبسوا في أعيادهم الألبسة الأنيقة الرفيعة، بينما سكان البادية لبسوا الثياب الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان[3]، وكانت النساء أكثر حرصا على الظهور في ثوب جديد وأنيق، على أنها كانت تستعمل أيام الأعياد مختلف أدوات الزينة من الحناء المنقوشة والسواك والكحل وتتعطر بأنواع المسك[4]،وقد زينت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومد بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعاً بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حُليتها ورقمت الكفوف بالحناء، وأثني على الحسن وهو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء وغص الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار، ومشت الإماء أمام الأحرار وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار، وامتلأت الدنيا سرراً، وانقلب الكل إلى أهله مسروراً، والسلطان يهنئ الناس بالعيد.[5]

ثالثا: الاحتفال بموكب الحج

تعد فريضة الحج من أركان الإسلام وهي مضبوطة بمناسكها المعروفة، وقد أبدى الزيانيون اهتمامهم الخاص بهذه الفريضة ويتجلى ذلك من خلال مظاهر الاستعداد والتجهيز

1- الملف نسيج كان يرد من بلاد الروم إلى المغرب والأندلس، وكانت الجبة الملف المصنوعة من الجوخ من ثياب الطبقة الثرية، وكان للفقهاء موقف من هذا القماش على اعتبار أنه ملين بشحم الخنزير، أنظر في هذا الأمر الونشريسي: **المعيار**،3/1.

2- ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**،ط1، تح: سلوى الزاهري، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،2008م، ص 192-193.

3- خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص305؛ عبد العزيز، فيلالي: **تلمسان**،266/1؛ كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريسي**، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ص47.

4- خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص307.

5- ابن الخطيب: **الإحاطة**، 502/2.

لأدائها بتهيئة الثياب البيض وعقد جلسات الحناء، مما اعتاد الناس تحضيره لمثل هذه المناسبة التي تسبق كما هو معروف الاحتفال بعيد الأضحى،ومنها الاحتفال بالركب المتوجه إلى البقاع المقدسة بالحجاز لأداء فريضة الحج[1]، فقد حرص السلاطين الزيانيون على القيام بتنظيم قافلة الحج ويعينون في كل ركب يتوجه إلى الحجاز برئاسة أحد الشيوخ يختاره السلطان من بين رجاله المقربين إليه والمعترف له بالحكمة والتدين، أو برئاسة أحد أفراد أسرته، وكان الحجاج يحملون معهم المصاحف والكتب الصحاح التي نسخت بتلمسان وبعضها نسخ بخط بعض السلاطين أو الأمراء الذين كانوا يتنافسون في إرسالها إلى البقاع المقدسة، وتحبيسها على القراء في مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد الخليل بفلسطين.[2]

كما كانوا لا يتوانون في إرسال المحمل وهو عبارة عن حمل يحمل الهدايا الثمينة لحكام الحجاز والكسوة المخصصة لتغطية الكعبة الشريفة، ولا يفوتنا أن نذكر بأن الاستعداد للحج يكون في الغالب مطلع شهر ربيع الأول إذ ينادى في الناس بحلول موسم الحج حتى يتهيأ القاصدون للحج بنداء المنادي بين الناس معلنا لهم بقدوم الموسم حتى يستعد كل واحد منهم في عقد النية، وتبدأ الوفود تصل إلى عاصمة بني زيان من الضواحي والأطراف، ثم ينطلق منها الحجاج في موكب رسمي على الجمال والخيل والدواب يخترقون المدينة في جو من الابتهاج والتهليل والتكبير، ولا سيما إذا كان الموكب يضم أحد أفراد العائلة الحاكمة فيخرج الآهل والأقارب وسكان تلمسان في بهجة وسرور لتوديعهم.[3]

1- لم تقتصر الاحتفال على خروج موكب الحج بل تعداه لاستقبال الحجيج عند عودتهم كما حدث مع يوسف بن يعقوب الملاري أثناء عودته من البقاع المقدسة وخروج الناس لاستقباله. عبد العزيز فيلالي: **الزاوية الملارية – تأثير شيوخها الروحي والديني على الدولة والمجتمع**، ص ص 53-71، ضمن كتاب **دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي**، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص114.

2 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي أحمد بن مرزوق التلمساني (سيرته- مناقبه- رحلته إلى المشرق)، ص ص 222-256**، ضمن كتاب **دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي**، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، 2012م،ص230-231.

3 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي**، ص230-231.

وكان الشيخ أبو زكريا عمر بن جرار أحد أفراد العائلة الحاكمة بتلمسان قد ترأس بنفسه الموكب الذي انطلق من عاصمة بني زيان في شهر ربيع الأول من سنة 724هـ/1324م، وكان أبو العباس أحمد بن مرزوق(ت741هـ/1314م) وابنه الخطيب(ت781هـ/1379م) ضمن هذا الموكب، وهي الحجة الثانية لهما التي أقاما فيها مجاورين بمكة والمدينة نحو خمس سنوات[1].

ولم يغفل ابن مرزوق الخطيب(781هـ/1379م) من الإشارة إلى قافلة الحج التي خرج فيها مع والده في المرة الثالثة أيضا، فقد انطلقت هذه القافلة من مدينة تلمسان في أول فصل الربيع المصادف لأول محرم من سنة 734هـ/1334م، وكانت القافلة تتكون من ثلاثمائة خيمة أو قيطون، تضم كل خيمة جماعة من المسلمين، فضلا عن الفرقة العسكرية التي كانت تحمي الحجيج والتي تتشكل من مائتين وثمانين فارسا، ومجموعة أخرى من الرماة لحماية القافلة والذود عنها أثناء الطريق ذهابا وإيابا وإقامة، ويرافقهم ضباطهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ويدفع لهم مقابل ذلك مالا يكفيهم في هذه المدة[2].

يعني هذا أن قافلة الحج التي كانت تنطلق من مدينة تلمسان في العهد الزياني يزيد عددها عن ألف حاج وحاجة، فضلا عن الجند والرماة ومن ينظم إليها في الطريق من المدن والقرى التي يمرون بها، وقد تدوم رحلة الحج من تلمسان إلى القاهرة عبر البر أكثر من ستة أشهر، بحيث تنطلق في شهر محرم وتصل إليها في شهر جمادى الآخرة، وكانت وسيلة النقل المعروفة هي الخيول والجمال والبغال والحمير، وكان الحجاج أحيانا يتعرضون إلى المخاطر الطبيعية كشدة الحر والجفاف، ويصابون بالأمراض الفتاكة والغلاء الفاحش وموت الدواب، وخطر اللصوص وقطاع الطرق من القبائل البدوية[3]، وبسبب اختلال موازين القوى خلال المنتصف الثاني من القرن 8هـ/14م، إذ لم يعد الطريق البحري آمنا إذ كثيرا ما يقع

1 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي**،ص242.

2 – ابن مرزوق: **المناقب**، ص254 ؛ عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي**،ص231.

3 – ابن مرزوق: **المناقب**، ص254؛ عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي**،ص231.

الحجاج أسرى في يد النصارى ربما هذا الأمر هو الذي دفع بأحد الفقهاء إلى المناداة بضرورة إسقاط فريضة الحج وإحياء فريضة الجهاد[1].

ويتعاطى أغلب الحجاج الزيانيون التجارة أثناء الرحلة، حيث كانوا يحملون معهم البضائع والسلع المغربية التي تلقى رواجا في المدن المشرقية والمدن التي يمرون بها، لأن التجارة بالنسبة لهم في موسم الحج شيء طبيعي وضروري للحصول على الموارد المالية من نقود البلد التي يمرون بها، إذا لم تتوفر ذخيرة الذهب الخام لتغطية نفقات الرحلة والإقامة ودفع الرسوم الجمركية المقررة في المدن التي يتاجرون فيها.[2]

وكعادات ثابتة عند الحجاج الزيانيين فإنهم يأخذون معهم ما يحتاجون إليه من مؤن ومواد غذائية وملابس، ويفضلون الطعام الخفيف المجفف من العجائن والذي يعرف عند أهل تلمسان بالفداوش لكونه خفيف الحمل من جهة ولمكوثه فترة طويلة من الزمن، يملأ في أكياس تعرف بالغرائر، وكانوا يحملون معهم أيضا نوعا آخر من الطعام من فصيلة العجائن يحمل خصائص الفداوش يعرف بالمحمصة والدشيش والكسكي.[3]

لقد كانت التجارة تسمح للحاج المسافر الحصول على ما يرغب فيه من زاد وعلف عن طريق المقايضة أو نقدا وكانت السلع المطلوبة في الطريق كما يشير العياشي (ت1090هـ/1679م) في رحلته هي الجلد الأحمر والقرنفل والكحل والسواك والزعفران والجاوي وشيء من الإبر والكاغد والألواح وجلد البقر والإبل وغيرها من السلع المطلوبة على طول الطريق، وأن التبر الجيد أولى من التبر المطبوع.[4]

وكان التجار الزيانيون ينتظرون خروج ركب الحجيج ليدبروا أمرهم ويخرجوا بتجارتهم ليمارسوها خلال الطريق مع الركب وكأنها دكاكين متنقلة، ومع سكان المدن والقرى التي يمرون بها، وأخيرا إلى البقاع المقدسة فيبيعون ما تبقى لهم من السلع والبضائع، ويشترون

---

[1] – حول هذا الموضوع ينظر المعيار للونشريسي في جزئه الثامن.

2 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي** ،ص232.

3 – نفسه ،ص232؛ خالد، بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص304.

4 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي** ،ص233 نقلا عن العياشي في رحلته.

بضائع أخرى تلقى الرواج في الأقطار والمدن الزيانية من الحجاز كالعقيق والعلك والفلفل والعود والمسك والكتب ونحو ذلك.[1]

رابعا:الاحتفال بعيد الأضحى

يختلف عيد الأضحى أو العيد الكبير عن عيد يوم الفطر، ويكون في اليوم العاشر من ذي الحجة من كل سنة ويتعلق الاختلاف بين العيدين (الأضحى والفطر) في الأضحية،[2] والتي تعد سنة واجبة على من استطاعها[3] وكان الناس يستعدون له بشراء الأضاحي، غير أن شراء كبش العيد لم يكن في مقدور كل فئات المجتمع ولذلك اقتصر على الفئات الميسورة[4]، وتخفيفا على غير القادرين ومساعدة لهم كان بعض السلاطين في هذه المناسبة يشترون أعداد كبيرة من الكباش ويقدمونها للرعية للتضحية بها يوم العيد، فالمنصور مثلا فرق ما يزيد عن ألف شاه من ضأن وماعز على مختلف الفئات الاجتماعية من أمراء جند وفقراء حسب ما رواه المقري[5] وكثيرا ما كان الميسورون من الرعية يقومون بهذا أيضا حبا منهم في إدخال البهجة والسرور على الأسر العاجزة عن شراء الأضاحي.[6]

---

1 – عبد العزيز، فيلالي: **أبو العباس السبتي**، ص233.

2 – ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص: 136. والأضحية تؤسس الصلة مع العالم القدسي وتتحول إلى طقس عبور من الدنيوي إلى القدسي على اعتبار أن الطقس يعمل دوما على تجسيد العلاقة بين العالمين. عبد الرحيم، العطري: **بركة الأولياء– بحث في المقدس الضرائحي**،ط1، الدار البيضاء–المغرب: المدارس للنشر والتوزيع ،2014م، ص127.

3– الإمام مالك بن أنس (ت179هـ): **الموطأ**، تخريج وتوثيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2002م، ص390.

4– ورد عن ابن مرزوق أن الصالحة ستم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب أخبرته عن أبيها لما أعطى رجلا ربع دينار وقال له: اشتر لي به كبشا مليحا لأضحيتي قال: فقلت: سبحان الله هو يعرف ربع دينار لا يوجد به ما طلب وعوايده يعطيني من غير تعين فلم يمكنني مراجعته وقلت في نفسي: لعل هذا سببا فتوجهت لمواضع الشاوية وقضيت غرضي ولم يبق بيدي إلا الربع دينار، وكنت بدوار أبي منصور قال: فمر بي رجل بقطعة غنم يقدمها كبش لم أر مثله فنظرت إليه ،وقلت مثل هذا ينبغي أن اشتري للشيخ قال: فقال الرجل: يا حسين! هات الربع دينار احمل الكبش للشيخ وأبلغه السلام، قال: فدهشت فأعاد على الكلام ثانية فأخذت الكبش وقبلت يده وانصرفت فلما وصلت إلى الشيخ قال لي: يا حسين! وعليه السلام هات الكبش واسكت. ابن مرزوق: **المناقب**، ص163.

5 – أحمد بن محمد التلمساني المقري (ت 1041هـ): **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الكتاب العربي، 8 أجزاء، 358/4.

6– ابن الزيات التادلي: **التشوف**، ص105.

وكما سبق الذكر فإن عيد الأضحى يعد أحد أهم احتفالين دينيين عند المسلمين[1]ويبدأ الاحتفال بالعيد بخروج المنادي إلى الشوارع ينادي بالعيد في اليوم التالي، ويخرج السلطان إلى المصلى في موكب مهيب ورجال الدولة في أحسن زي وخلفهم أعداد من العامة، ويسير السلطان بموكبه الذي له أبهة خاصة إلى القصر والناس يلوحون للسلطان ويدعون له[2].

وتبدأ احتفالات الزيانيين بعيد الأضحى بأداء صلاة العيد فجر اليوم الأول منه وقد اعتاد الناس أدائها في العراء خارج المساجد أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم من جهة وكذلك لكثرة عدد المصلين ذلك اليوم من جهة أخرى،كما أنها تجوز داخل المساجد أيضاويكون على رأس المصلين الأمير الزياني الذي يدعو بعد الصلاة للناس بدعائه وبعد أداء الصلاة يضحى السلطان بأضحيته أمام الملأ ويذبح الكبش بين يديه[3]،وما تقديم الصلاة على نحر الأضحية إلا لاجتماع الأمة حول الإمام المضحي كاجتماعهم على الإمام المصلي الأمر الذي يقضي إلى إعلان أسبقية طقوس الكلام على طقوس الفعل، ومن ثمة سيادة الفريضة على الطقس وهيمنة الجسد المحتجب وراء الحروف الكتابية –الجسد المصلي– على الجسد الظاهري في شكل أُضْحَوي الجسد الطُقُوسي.[4]

وتنقل بعدها الأضحية إلى القصر، وينتشر المصلون ليقوموا بذبح أضحياتهم تطبيقا للآية الكريمة من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[5]، وذلك بعد إتمام صلاة العيد كما سبق الذكر، وبعد توجه الإمام لذبح أضحيته بيده خارج الجامع الكبير

1– ويوافق هذا اليوم العاشر من ذي الحجة بعد انتهاء وقفة عرفة، ويعتبر هذا العيد ذكرى لقصة سيدنا إبراهيم عندما أراد التضحية بابنه سيدنا إسماعيل تلبية لأمر ربه، وهي القصة التي يحفظها الزيانيون ويذكرون بها أبنائهم في كل عيد.

2 – بوزياني الدراجي:**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م،**ص 287.**

3– عبد الملك محمد الباجي،ابن صاحب الصلاة(كان حيا سنة 594هـ/1198م): **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** ، ط1،تح: عبد الوهاب التازي، بيروت: دار الأندلس للنشر،1964م، ص457؛ وأفرد الإمام مالك بابا في الموطأ للنهي عن ذبح الأضحية قبل انصراف الإمام . ص296.

4 – نور الدين الزاهي: **المقدس الإسلامي**،ط1،الدار البيضاء: دار توبقال للنشر،2005م، ص12.

5 – سورة الكوثر، الآية 1، 2.

عند باب الضحية، حيث يراه المصلون ثم يذهبون بدورهم إلى ديارهم ويذبحوا أضحياتهم[1]، وتجدر الإشارة إلى أن الزيانيين كغيرهم من المسلمين اهتموا بصيام يوم عرفة واجتمعوا فيه بالمساجد للدعاء والتذاكر[2]،وكمظهر من مظاهر الاحتفال بهذا العيد فقد شاعت في المجتمع الزياني مظاهر التعاطف والتلاحم والتغافر والتي كانت تدوم طيلة ثلاثة أيام[3].

خامسا: الاحتفال بعاشوراء[4]

عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم في التقويم الهجري ويسمى عند المسلمين بيوم عاشوراء، وبحسب المصادر الإسلامية السنية فإن رسول الله محمد ﷺ قد صام ذلك اليوم وأمر الناس بصيامه، ويقارن ذلك اليوم العاشر يوم الغفران أو التكفير أو يوم كَيْبُورْ في التراث اليهودي، ويعتبر الفرصة الأخيرة لتغيير المصير الشخصي أو مصير العالم في السنة الآتية، فلقد كان لهذا اليوم تاريخ قديم، وكانت العرب تعظمه في الجاهلية وتكسو فيه الكعبة ولما قدم النبي ﷺالمدينة وجد اليهود يصومونه فقال لهم: لِمَ تصومونه ؟ فقالوا: يوماً نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه شكراً له، فصمناه. فقالﷺ :"نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"[5].

---

1 – محمد، بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**، 2/ 150.

2– جمال، أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص346.

3 – عبد العزيز، فيلالي: **تلمسان**، 1/ 274.

4– عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم الحرام، ميزه الله بأحداث تاريخية مهمة وفضائله ومنها أنه اليوم الذي تاب فيه الله على آدم، ونجا فيه نبيه موسى من فرعون وجنوده، وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي ونجاه الله ومن معه من الطوفان، وهو كذلك يوم يرتبط عند المسلمين بالصوم لكون الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود يصومونه فسألهم عن ذلك فقالوا إنه اليوم الذي نجا فيه سيدنا موسى من بطش فرعون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نحن أولى بصيامه، فصامه وأمر بصيامه، وحتى يتميز المسلمون عن اليهود أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصيام اليوم التاسع والعاشر ولأن شهد هذا اليوم اختلافا وتباينا في طرق الاحتفال به إلا أن صوم هذا اليوم يبقى القاسم المشترك الذي يوحد سكان المغرب الإسلامي. زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد ابن رجب (ت 795هـ) في **كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**،ط5، تح: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير: دمشق– بيروت،1999م، ص 102–113.

5 – **صحيح مسلم**: 176/2

وبالحديث عن الاحتفال بهده المناسبة التي تحتل في قلوب المسلمين عامة بما فيهم الزيانيين مكانة هامة فإن هذا يبرز من خلال الاستعداد القبلي لليلة عاشوراء، فقبل حلول شهر المحرم الذي يحتضن يومه العاشر هذه الذكرى، ينهمك الزيانيون بكل فئاتهم تحضيرا لهذه المناسبة، ويمثل هذا اليوم احتفالا دينيا وله عادات كالصوم التماسا للأجر، أما الرجال فإنهم لا يحلقون رؤوسهم والنساء يخضبن أيديهن بالحناء في شهر محرم.[1]

ويصف ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) مظاهر الاحتفال بهذا اليوم في قوله:«كانت عاشوراء من بين المناسبات التي احتفل بها الناس في تلك الفترة، واستمر حتى أيامنا واقترن أكل الدجاج بهذه المناسبة، وهذا اليوم كان يوم صوم وإحسان، وهناك من اعتبره يوم لهو وترويح فتتشبه الرجال بالنساء، وحتى اليهود والنصارى وضربوا آلات اللهو على أشكالها».[2]

من خلال هذا النص نستنتج انه من العادات الاحتفالية بهذه المناسبة أكل الدجاج والعزف والغناء وغيرها من العادات التي اشترك فيها المسلمون مع غيرهم من الأقليات التي تعيش في المجتمع الزياني، ولعل من أبرز مظاهر الطاعة والتعبد في هذا اليوم هو إخراج الزكاة والتي هي ركن من أركان الإسلام، ومنه فالزيانيون غالباً ما يوقتون إخراجها بموسم عاشوراء إلى جانب الصيام والتوسعة على العيال، مع حث الأطفال على تجريب الصوم،ومن ذلك أيضا يكثر التخضيب بالحناء، مع الاكتحال والاستياك والتزين والتجمل، واستعمال البخور وأكل الفاكهة المجففة، وهي عادات دالة على الفرح، إلا أنه يمكن تسجيل بعض المظاهر الأخرى كزيارة المقابر والأضرحة والقيام ببعض الطقوس التي لا تمت للإسلام بأي صلة كعادة خروج الأطفال لجمع النقود وهم يحملون عظم كبش والمسمى عندهم" بعيشور" والذي يحتفظ به من عيد الأضحى، ثم يدفن هذا العظم في طقوس احتفالية خاصة بهم، ثم عادة قص شعر الفتيات ليلة عاشوراء اعتقادا منهن ببركة عاشوراء، وهو ما أرجات الحديث حوله إلى الفصل الثالث تحت عنوان المقابر والأضرحة كأماكن للاحتفال.

1- محمد، بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**، 2/ 46-47.

2- **الإحاطة**، ص 501.

سادسا: الاحتفال بالمولد النبوي

بدأت ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب الإسلامي أيام الدولة الفاطمية بمصر منذ عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/953-975م) الذي سن للمجتمع المصري احتفال بستة مواليد وهي: مولد النبي ﷺفي الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ومواليد آل البيت رضي الله عنهم[1]، وأول من سن هذه المبادرة أمير سبتة الشيخ الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد العزفي اللخمي السبتي (557-633هـ/1161-1235م) وألف في ذلك كتاب بعنوان **الدر المنظم في مولد النبي المعظم** لكنه توفي قبل إكماله فأتمه ابنه من بعده وهو الشيخ أبو القاسم محمد (633-677هـ/1226-1278م)،وعلل سبب مبادرته للاحتفال بهذا المولد لمشاركة وتقليد مسلمي الأندلس للمسيحيين في كثير من مظاهر حياتهم واحتفالاتهم، من ذلك عيد المسيح وامتداد هذه الظاهرة لمدن العُدْوَة الاندلسية.[2]

وقد اعتاد الزيانيون الاحتفال بالمولد النبوي في قاعة كبرى من قصر المشور[3]،فتضاء ثرياته الضخمة ويجلس السلطان وقرابته وحاشيته في أجمل ملابسهم فيستمعون للمدائح

---

1 - وهي مواليد علي ابن أبي طالب(23 قبل الهجرة/660م)، الحسن بن علي(3هـ/624م)، الحسين بن علي(4هـ/625م)، فاطمة بنت الرسول ﷺ (17 قبل الهجرة/605م)، وآخر هذه الاحتفالات مولد الخليفة الفاطمي الحاضر. تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م): **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، مطبعة الأوفست: مؤسسة الحلبي وشركاؤه: القاهرة، (د.ت)،490/1،491.=

=عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 1/ 274-275.

2 - صابرة خطيف: **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**،ط01، جسور للنشر والتوزيع: الجزائر،2011م،ص230 ،231.

3- **المشور** : قلعة المشور التي قاومت صروف الدهر قرونا تتوسط المدينة، أنشاها الموحدون بعد سيطرتهم على المدينة في القرن 12م وبداخلها دور للسكنى، ومسجدها جميل ما يزال حتى اليوم، و بنا يغمراسن بن زيان قصر المشور وعمره أوائل القرن الثالث عشر عند مغادرته القصر المرابطي الذي كان موازيا للجامع الأعظم، فقد وصف التنسي منازله الجليلة وحدائقه النضرة، وقد هدم بعض حجراته باي الجزائر، إثر ثورة قام بها التلمسانيون على الحاكمين، ثم قضى الفرنسيون على ما تبقي منها سنة 1843 واتخذوا موضعه معسكرا إلا أنهم تركوا صومعة قصيرة جميلة تدل على أنه كان للقصر مسجدا.يحي بوعزيز : **تلمسان**، ص37؛ وعبد العزيز فراح : **تلمسان المدينة المحراب**، تر: إنعام بيوض وآخرون، الجزائر: منشورات ابيك، 2011م، ص226.؛ومختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، الجزائر: دار الحكمة،2007م، 4 ج،9/4؛ عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 115/1.

الدينية وقراءة القرآن[1]، وقد تنافس كلا من بني زيان وبني مرين في الاحتفال بالمولد النبوي في الأبهة.[2]

كما اعتاد الناس بهذه المناسبة الخروج والزغردة فوق الأسطح ساعة من الزمن، أما الرجال فإنهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو المغرب بالمساجد الجامعة حول جماعة من الطلبة الذين ينشدون منظومة الشيخ العروسي (ت877هـ/1473م) في مدح النبي ﷺوعادة ما تدوم أربعة وعشرون يوما لأن المنظومة مقسمة من أربعة وعشرين جلسة وتدوم القراءة مصحوبة بالتصلية على النبي ﷺساعة من الزمن[3]، والتوجه إلى قرية العباد[4] يعتبر أمرا لا بد منه لأصحاب الزوايا لزيارة ضريح الشيخ أبي مدين بن شعيب (ت594هـ/1198م)[5] وهم يذكرون بأصوات عالية ذهابا وإيابا، فتثير إعجاب الناس بكثرة وخاصة إذا ما ميز ذلك قرع الطبول واستخدام المزامير للعزف[6]،إضافة إلى إشعال الشموع وترديد المدائح الدينية، كما تقوم ربات البيوت بتحضير أطباق تقليدية خاصة بالاحتفال بهذه المناسبة، وفي هذا الصدد أورد الونشريسي أن الناس اعتادوا في هذه المناسبة على إيقاد الشمع والتزيين وركوب فاره الدواب، كما تكثر فيه الصدقات وإعداد أنواع من الأطعمة وكذلك كان الأثرياء من الفقهاء

---

1 – ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص، 49–50.

2 – واعتبره ابن الأحمر بدعة جديدة بالمغربين: **تاريخ الدولة الزيانية** ، ص، 49.

3 – محمد بن رمضان الشاوش: **باقة السوسان**، 2/ 47–49.

4– العباد مدينة صغيرة شبه ربض تقع في الجبل على بعد ميل جنوب تلمسان، بها قبور الأولياء التلمسانيين ومنهم سيدي أبو مدين شعيب، وقد عمر هذه المدينة بنو مدين وأقاموا بها مسجدا ومدرسة هما من أجل ما شيده الصانع المديني، فالمجموعة كلها تحفة فنية يندر وجود مثلها في بلاد أخرى. مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم: محمد الميلي، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية،2004م ، 351/2.

5– أبو مدين شعيب ابن حسين الأنصاري الأشبيلي ثم البجائي الملقب بالغث شيخ مشايخ التصوف في زمنه، كان رجلا يلبس كساء خشنا وعليه هيبة، كثير القبض قليل البسط تخرج على يديه ألف شيخ، توفي في الطريق لما استدعي من بجاية إلى مراكش سنة 594هـ/1198م، ودفن بالعباد خارج تلمسان، من كتبه **أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد**. ابن الزيات التادلي:**التشوف**،ص319؛ أبو عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري، الرصاع (ت894هـ/1489م)،**فهرست الرصاع**، ط1، تح: محمد العنابي، تونس: المكتبة العتيقة، 1967م،ص14؛ ابن الأحمر: **تاريخ الدولة**، ص83؛ابن صعد: **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**،**ط1**،تح: محمد أحمد الديباجي، بيروت: دار صادر، ص380–396؛ابن قنفذ: **أنس الفقير**،ص11 و **الوفيات**،ص297.

6 – **نفسه** ، 2/ 50.

يحرصون أيضا على إقامة الولائم، أما الصبيان فيشترون الشمع ويقدمونه لمؤدبيهم في الكتاتيب.[1]

وسبقت الإشارة أن الاحتفال بهذه المناسبة لم يكن متداولا في القرون الثلاثة الأولى للهجرة[2]وقد ارتبط عمليا بقيام دولة الفاطميين بمصر والذين كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد وهي المولد النبوي ﷺ ومولد علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء والسادس هو مولد الخليفة الحاضر.[3]

يستفاد مما ذكرته المصادر التاريخية أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يعتبر من أهم الاحتفالات الرسمية والشعبية وقد بدأ هذا التقليد في تلمسان منذ عهد السلطان أبي حمو الثاني(760–792هـ/1357–1389م)، فلم تتحدث المصادر عن احتفالات بالمولد النبوي داخل تلمسان قبل ذلك، ويتم الاحتفال داخل القصر السلطاني المسمى المشور أين يكون السلطان الزياني مع بقية الحضور المحتفلين ومعه العامة والخاصة ووصف التنسي في نظم الدر هذا الاحتفال فقال:«ويحتفل لها بما فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشد لها الأشراف والسوقة» كانت هذه الاحتفالات أقرب إلى الحفلة الساهرة الاجتماعية منها إلى العيد الوطني[4]، وتبدو مظاهر الاحتفال في تلمسان من خلال الزينة والشموع والمرشات في الشوارع والأطفال الحاملين للمباخر، أما داخل قصر المشور فتلبس أثواب الحرير وتضاء الشموع والثريات[5]، ويدور الأطفال بالمباخر والمرشات على الحضور حتى تفوح الرائحة الزكية وتعرض على الحضور ميقاتة **المنجانة الشهيرة**[6].

---

1 – **المعيار**: 278/11 و 48/12–49.

2 – علي بن سلطان محمد هروي القاري: **المورد الروي في المولد النبوي** ، مخطوط رقم:1694، المكتبة الوطنية،34 ورقة. ورقة 3.

3 – محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**،ط2 ، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة ، 1996م،ص517 .

4 – محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**،ص43.

5 – التنسي: **نظم الدر**، ص 162؛ وابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص154.

6– المنجانة: كلمة المناجنة أو المنقانة أو المنكة معناها الساعة والكلمة حسب دوزي أصلها بنكان كلمة فارسية معناها آلة آلة كان القدماء يقيسون بها الزمن وعند أهل تلمسان تعني ساعة الحائط الكبيرة، والمكّانة تعني في المغرب الأقصى تعني الساعة على العموم، وتم اختراع هذه الساعة من قبل العالم الرياضي أبا الحسن علي بن أحمد المعروف بابن

ويكون ترتيب الحضور حسب مراتبهم السياسية ومكانتهم الاجتماعية، ويبدأ الاحتفال بالمولد النبوي منذ بداية المساء، ويقوم السلطان بإلقاء قصيدة في مدح النبيﷺ ثم يلقي الشعراء قصائدهم وتكون في مدح الرسولﷺ معبرين فيها عن شوقهم لزيارة قبره، طالبين المغفرة عن ذنوبهم التي ارتكبوها، ثم ينتقلون إلى مدح السلطان والتغني بتلمسان وساعة المنجانة التي تدق كلما مرت ساعة من الليل.[1]

وكمظهر آخر للاحتفال بالمولد النبوي تكثر السير والآداب الشعبية التي تخاطب الوجدان، ويضم هذا الفضاء الوجداني كتب المرائي النبوية ومعراجات الأولياء والأنبياء والبطولات المأثورة عن الصحابة أو الخلفاء الراشدين، والإسهاب في تحبير الرؤى والأحلام حول قيام الساعة والتلذذ بذكر نعم الجنة وأهوال الجحيم، وقد لعبت هذه الأدبيات دورا أيديولوجيا هام في دعم الاعتقاد في المعجزات وساعدت على انتشار القيم القدرية الداعية إلى الخنوع والتسليم، في حين عبرت الاستغاثات النبوية وأحزاب الذكر والوظائف من ناحيتها عن فظاعة الإحباط الذي لازم المجتمع وساهمت تبعا لذلك في التخفيف من الهزة النفسية التي اعترته.[2]

وتظهر لنا المولديات[3]والتي تحتل مكانة هامة في الشعر الزياني خاصة شعر أبي حمو الثاني(760-792هـ/1357-1389م) وقد أورد منها صاحب بغية الرواد11 قصيدة نظمها أبو حمو بين سنتي(760-771هـ)[4]كما أشار المؤرخون لدولة بني زيان إلى اهتمامه

الفحام==(ت758هـ/1357م)، ويقول عنه يحي بن خلدون: أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم سبط سلف الصالح أظهر على يديه من الأعمال الهندسية المنجانة المشهورة .التنسي: **نظم الدر**، ص 162.

1-التنسي: **نظم الدر**، ص 162.

2 - لطفي عيسى:**مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، تونس: سراس للنشر، 1994م، ص90.

3- حول شعر المولديات أنظر: مقال "**حركة الشعر المولدي في تلمسان في عهد أبي حمو الثاني**" لعبد الملك مرتاض، **مجلة الأصالة**، مج11، ع/26، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م، ص ص311-332.

4 - قال التنسي لما تحدث عن شعر أبو حمو، وما قاله المولى أبو حمو وقيل فيه من الشعر كثير لا يحتمله هذا المجموع ونحن نجمعه إن شاء الله في كتاب يختص به بعد فراغنا من هذا المجموع. **نظم الدر**، ص178. ومعناه يوجد كتاب آخر في الأمداح والقصائد عنوانه: **راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك=**

بالاحتفال بليلة المولد الشريف شأنه في ذلك شأن بني الأحمر بالأندلس وبني مرين بفاس وغيرهم من السلاطين.[1]

بعد مدح الرسول ﷺوذكر معجزاته وفضائله والإشادة بفضل ليلة المولد الشريف ويتلو ذلك غالبا مدح السلطان وذكر مزاياه ونبله وكرمه وعدله، وغير ذلك مما يدخل في باب مدح رجال السلطة، وتنتهي المولديات بالدعاء للسلطان وطلب المغفرة والرعاية من الخالق تعالى، وقد تقيد أبو حمو الثاني (760-792هـ/1357-1389م) بهذه التقاليد في أغلب مولدياته فاستهلها بذكر اشتياقه للأحبة وألمه للفراق.[2]

ولقد صادف **احتفال سنة (760هـ/1359م)** دخوله إلي تلمسان في غرة ربيع الأول المبارك من عام ستين (1 ربيع الأول 760هـ/ 31 جانفي 1359م) والذي أعتبر عام الفتح المبين لما تمهدت البلاد له وأتاه أهل الوطن وبايعوه البيعة الكبرى، وفي أثناء هذه المبايعة وافاه مولد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول موسم وافاه وهو إمامهم، فصنع ليلة باهرة عن كل خير مَرْفُوه أنفق فيها غاية الإنفاق وأوسع بوسيع الاختراق[3]، وبات الشعراء بالقصائد يذكرون ماله من المواقف والمُشَاهر، فقبل على نظامهم وتاب بنجوته إلى إكرامهم، وأظهر محبته للشعر وأنه يدين بالنظم، ثم أحسن لهم الجوائز وأجزلها وبادر بإعطائها وكملها فكانت ليلة عظيمة سامية العجائب، الآثار فيها سامية سلك فيها أنفس المسالك وظهر له بالطبع الفاضل بذلك، على حد تعبير صاحب زهرة البستان.[4]

=**حسب الاقتراح** مفقود. نقل عنه المقري في **نفح الطيب** 513/6-515؛ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م،243/1-244.وقد أورد عبد الحميد حاجيات جميع هذه القصائد تحت عنوان الشعر الديني في مؤلفه عن أبو حمو من ص 341 إلى ص 383.

1- المقري:**نفح الطيب** :215/9-218 وأنظر أيضا **أزهار الرياض**: 243/1-245.؛ عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو**، ص 220.

2- عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو**، ص 221.

3- مجهول: **زهر البستان**،ص40.

4 - نفسه: ص40-41.

وقد أشار يحي بن خلدون في بغيته إلى ذلك قوله:«هذه الليلة المباركة أقام بمشوار داره العلية مدعى كريما وعرسا حافلة احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة،[1]فكان فيها النمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة والمشامع كأنها الأسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة، والخليفة أيده الله صدر مجلسها مُمْتَطِئًا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه ويُثلج الصدور عزه».[2]

حفا فيه ملا التَجلة من قومه وأعيان الطبقات من أهل حضرة خلافته على مقاعد عينها الاختصاص ورتب بعضها فوق بعض المناصب تخالهم قطع الرياض النضرات قد أغضى الجلال من أبصارهم وخفضت المهابة من أصواتهم، فلا تبصر إلا جمالا ولا تسمع إلا همسا، يطوف عليهم ولدان أشعروا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات يغيم دخان عنبر تلك المُفْغَم للآناف الجو، فتمطر هذه الحفل وابلا من ماء الورد المنسوب إلى نصيبين[3]، وفي نفس السياق قال التنسي: كان أبو حمو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ينال منها كل بحضه.[4]

ولم يفارق الخليفة نصره الله مجلسه أول الليل إلى أن صلى الصبح في الجماعة ثم غدا على داره السعيدة ولسان الحال ينشده: (السريع).

يَا حُسْنَهَا لَيْلَةً تَوَلَّتْ *** لَوْ مُدَّ في بَاعِهَا النَّهَارُ

ولمْ تَكُنْ تَبْتَلِي لِتُبْلَى *** بِنَهْرٍ فَجَّرَ لهُ انْفِجَارُ

1- يحي بن خلدون: **البغية**، 100/2.

2 - يحي بن خلدون: **البغية**، 101/2؛التنسي: **نظم الدر**،ص162.

3- يحي بن خلدون: **البغية** ، 101/2.

4- التنسي: **نظم الدر**، ص162.

وعلى هذا الحال مرت المواليد النبوية في مدته السعيدة طالت أيامه وانتشرت في هضاب المعالي أعلامه[1]، وأهم ما تنافس السلاطين الزيانيين على استعراضه في هذه الليلة كعادة لا غني عنها في إظهار فرحهم بهذا الاحتفال هي خزانة المنجانة أو المنكانة[2] والتي وصفها يحي بن خلدون(ت780هـ/1378م) وشاركه كل من التنسي(ت 899هـ / 1494م) والمقري(ت1041هـ/1610م) في وصفها حيث قال عنها: «وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة، قائمة المصنع تجاهه بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ويختاله فيهم الأرقم خارج من كوة بجذر الأيكة صعدا، وبصدرها أبواب موجفة عدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان موجفان أطول من الأولى وأعرض، فوق جميعها ودوين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط إستواء سير نظيره في الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان بفي كل واحد منهما صنجة صفر، يلقيها إلى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب، يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه فهناك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة

1- يحي بن خلدون:**البغية**، 123/2.

2- المنجانة أو المنقانة أو الميقاتة أو المنغالة أو المنكانة : آلة لمعرفة الوقت تقوم مقام الساعة الآن وأصل كلمة منكانة فارسي ويبدوا أن ظهورها كان بالأندلس إذ ذكر أن عباس بن فرناس التاكروني هو مخترعها، إذ جاء في المقتبس لابن حيان : « وعمل عباس بن فرناس (ت274هـ/887م) الآلة المسماة المنقالة لمعرفة الأوقات فأحكمها ورفعها إلى الأمير محمد بن عبد الرحمان ونقش فيها هذه الأبيات:

أَلاَ إِنَّنِي للدِّينِ خَيْرُ أَدَاةٍ *** إِذْ غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلاَةٍ

ولَمْ تُرَ شَمْسٌ بالنَّهَارِ ولمْ تُنِرْ *** كَوَاكِبُ لَيْلٍ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

بِيُمْنِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ *** تَجَلَّتْ عَنِ الأَوْقَاتِ كُلُّ صَلاَةٍ ».**المقتبس**، ص282-283؛ وابن سعيد :**المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

وورد في **البغية:** أن من اخترعها هو العالم الرياضي أبا الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام هو مخترع هذه الساعة الدقاة أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم سبط سلف صالح ظهر على يديه من الأعمال الهندسية المنجانة المشهورة بالمغرب، 56/2.

كأظرف ما أنت راء، بيمناه إذبارة[1] فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين أيده الله».[2]

الساعة الأولى (المتقارب):[3]

أَقَمْتَ بِمَوْلِدِ خَيْرِ الوَرَى *** سُرُورًا لَكُمْ بالمَعَالِي حَكَمْ

طَوَيْتَ الفُؤادَ على حُبِّهِ *** فَفِعْلُكَ هَذَا عَلى ذَاكَنَمْ

والاحتفال بالمولد النبوي لا يختلف عن غيره من احتفالات السابقة الذكر من حيث التنوع في الطعام والشراب المخصص لهذا الاحتفال، كعادة متجذرة ومرتبطة بهذه المناسبة وعليه فالطعام المقدم في الاحتفال بالمولد اشتمل على مجموعة من الأطعمة، وينقل لنا يحي بن خلدون في بغيته وصفا دقيقا لأهم ما يقدم من طعام في هذه الليلة بقوله: «وجيء آخر الليل بالخرس الشهي الملاذ الحافل الملامح والمشام المتعدد الخوانات[4]، مما أرجت ساحته وحبرت بروده[5] وناء بالعصبة أولي القوة محمله، ثم الفواكه فالحلواء، وطعم الناس بين الخليفة وشكروا الله سبحانه ودعوه لجابر صدعهم ولم شعثهم»،[6]وأضاف نص آخر«نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة، وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ومباخر صفر منصوبة كالقباب، يخالها المبصر من تبر مذاب ويقاض، على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر».[7]

---

1 – لوحة أو قطعة بها كتابة

2 – يحي ابن خلدون:**البغية**: 102/2–103؛ والتنسي: **نظم الدر**،ص162–163؛المقري:**نفح الطيب**:513/6–515 و**أزهار الرياض**، 224/1– 226.

3– يحي ابن خلدون: **البغية**، 414/2.أنظر الملحق رقم 01 ص 131–132–133.

4– جمع خوان: وهو السفرة أي ما يوضع عليه الطعام بغرض الأكل.

5– البرود: ثياب مزدانة بالخطوط الجميلة.

6 – يحي ابن خلدون: **البغية**، 123/2.

7– المقري: **نفح الطيب**513/6 **وأزهار الرياض**:243/1–244؛ التنسي: **نظم الدر**، ص27 النص ورد في الأصل في راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح.

«ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا قد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم، على ألوان تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين وتلذ بسماع أساميها الأذان، ويشره مبصرها للقرب منها، والتناول وإن كان ليس بغرثان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه»[1] هنا يظهر لنا جليا أن الزيانيين ركزوا على توظيف الحواس البصر، السمع والشم وغيرها من الحواس.

ولعل ما ميز الاحتفال بالمولد النبوي عن بقية الاحتفالات الدينية التي يحييها الزيانيون هو بروز لون جديد وجميل من الشعر عرف بالمولديات أو المديح النبوي،وهو فن أدبي نشأ في البيئات الصوفية[2]، ووجد صيغته المكتملة حينما احتك بالتصوف، بعد أن ازدهر هذا الأخير وانتشرت مذاهبه وطرقه[3]،ولقد ساهم الشيعة في تبلور ظاهرة المديحيات وشكلت قصائدهم انطلاقة جديدة في سيرة هذا الفن، خصوصا حينما ابتدعوا الاحتفال بالمولد النبوي. فكان لهذا الابتداع إشعاع في مختلف المناطق العربية والاسلامية.[4]

وقد أثمر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف طوال هذه العصور نشاطا أدبيا كبيرا، لما أنشد فيه من القصائد المادحة النبوية،وشارك المغاربة منذ وقت مبكر في هذا النشاط الأدبي، خصوصا في الفترة الزيانية، وقد كان أبو حمو موسى الثاني(760-792هـ/1357-1389م) وأبنائه من بعده من الذين كرسوا الاحتفال بالمولد النبوي في الدولة الزيانية، ومنذ ذلك الحين، تعلق الزيانيون بهذه الذكرى ونظموا فيها القصائد والمدائح، لكن معظم الدارسين يتوقفون عند منعطف حاسم في مسيرة المدائح النبوية،ويخصونه بالدراسة والعناية الفائقة وهو المنعطف التاريخي والثقافي الذي شهد ظهور قصيدة البردة[5] للإمام شرف الدين البصيري (ت696هـ/1296م) وقد ساهم التصوف في ذيوع هذه القصيدة وفي انتشارها بين الخاصة

---

1 – التنسي: **نظم الدر**، ص163-164.

2 – زكي مبارك: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، القاهرة: دار الشعب ، 1971م، ص 14 . 15 .

3 – عباس الجراري : **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، ط6، الرباط: مكتبة المعارف،1979م،ج143/1.

4 – نفسه، ج 1 / 144.

5 – **ديوان البصيري، ط2**، تح: محمد سيد كيلاني، مصر: مطبعة حلبي، 1973م، ص117-119.

والعامة، والبردة هي القصيدة المعروفة التي نظمها في مدح النبي ﷺ شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي المعروف بالبيصري (ت696هـ/1296م) وعنوانها الكامل الكواكب الدرية في مدح خير البرية.[1]

لقد نقلت لنا الكتب أخبار المهرجانات الشعرية التي كان ينظمها أكثر الملوك كل سنة عند حلول ليلة المولد النبوي[2]، ففي مولد1 ربيع الأول 760هـ/31 جانفي 1359منظمت لأجله الكثير من المدائح، ومن قصائد هذا المولد السعيد المبرر ما تخير على وجه التبرك بالمولد السعيد والظهور، فمن ذلك ما قاله الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني المعروف بابن يعلى (ت723هـ/1323م).(الوافر).

بِمَقْدَمَيْكَ إلاَّ أنَّ هَلاَ المُحَلَّى *** بِأنْـــوارِ البَشَائِرْ والتَّهَـــــانِي

مُحَمَّـــــــدُ النَّبِيُ الهَاشِمِـيُ *** شَفِيعُ الخَلْقِ في يَوْمِ الهَـــوَانِ

أمَوْلاَنَا رَسُولُ اللهِ شَكْـــــوَى *** مُضَيِّعُ نَصَائِعَ بالضَّرْب شانِ

وفي نفس المولد قال الفقيه: أبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني عفا الله عنه[3]: (الكامل).

مَدْحُ النَّبي المُصْطَفَى العَدْنَانِ *** هُوَ عُدَّتِي لِقِيَامِي وكَـــفَانِ

وضَعَتْهُ أمُّهُ لمْ تَجِدْ في وَضْعِهِ *** ألَمًا كَمَا يَأَتِي إلى النِّسْـوانِ

في لَيْلَةٍ أهْدَتْ لنَا كُلَّ المُنَى *** بِظُهُورِ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ عَدْنَانِ

أرَبيعُ زُرْتَ زِيارَةً مَحْمُـــودةً *** أزْهَارُهَا عَبَقَتْ بَكُلِّ مَكَـــانِ

لَكَ ياَ ربيعُ عَلَى الشُّهورِ مَزِيةً *** أجْذَبَتْهَا بالحُسْنِ والإحْسَـانِ

1– من بين الشروح الكثيرة التي خصصها علماء المغرب الأوسط لهذه القصيدة نذكر ثلاثة شروح لابن مرزوق الحفيد الشرح الأكبر– الشرح الأوسط– الشرح الأصغر.محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**، ص73.

2 – **نفسه**، ص53.

3 – مجهول: **زهر البستان**: ص44. ملحق رقم 02، ص 134-135-136.

ولم تزل الأمداح تلقى بين يدي السلطان أبو حمو الثاني (760-792هـ/1357-1389م) والقدر حان له على ما يوافقه ويواتيه إلى أن رفعت له الدواوين من الأمداح وانتشر عنه من الكرم والجد أين ما استمال روحنيه الأرواح.[1]

أما المولد النبوي لـ12ربيع الأول761هـ/01 فيفري 1360م فصادف محاربة السلطان أبو حمو لقبائل الأعراب وقهرهم والظفر بهم، وهذا الظرف لم يمنعه من إعطاء المولد حقه ولنا في هذا نصان:« وفي عام إحدى وستين وسبعمائة في هذا العام قابل السلطان المولى أبي حمو وقهر الأعراب وظفر»[2] والثاني:«جاءه مولد سيد الأنام فقام بحقه أتم القيام وضاعف في الإنفاق والوسع في الأجواق وخرق المعتاد وضاعف في كل فضيلة»[3] «وزاد حضرتها بشيوخ البلاد ووجوه أهل تلمسان وبنو عبد الواد...عم طعامها البادي والحاضر والمقيم والعابر...حرق من العود والجاوي والعنبر... ما قام ليلة متواليا من غير أن يختصره، وأظهر للناس فضله فجاءه شعراء تلمسان بالمولديات فنشدت بين يديه تلحينا على حسب الأعاريض والصناعات السمعيات».[4]

ولما جاء مولد 12 ربيع الأول 762هـ/ 23 جانفي 1361م:« أمر أبو حمو الثاني بإقامة هذه الليلة الشريفة المخصوصة بالأسرار اللطيفة،فضاعف فيها الإنفاق وزاد بزيادة الملك من كل ما حسن وراق، فكانت ليلة رائقة الجمال بديعة الاحتفال...أفاد المرائح الشعراء وواسى المزمزين الفقراء وتليت الأمداح صورا على الشادين ونثرت دررا بصناعة الأستاذين»[5]، وكما هي العادة في الاحتفال بهذه المناسبة فبقدوم مولد 12 ربيع الأول765هـ/

---

1 - مجهول: **زهر البستان:** ، ص49.

2- **نفسه**، ص84.

3- **نفسه**.

4- مجهول: **زهر البستان**، ص84 ومن بين أهم شعراء البلاط الزياني في عهد أبو حمو موسى ومن أكثرهم نظما للشعر بمناسبة المولد النبوي نذكر أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالسي والذي كان طبيبا له. عبد الحميد حاجيات: **أبو حمو**، ص173-174.

5- **نفسه**، ص100.

1363م، كان الاحتفال لمدعاها عجيبا ومما أنشده مسمعها من نظم مولانا الخليفة أيده الله مدحا في شفيعه[1] قوله: (المتقارب)

فَشَهْرُ ربيــعٍ أتَى بِـــــرَفِيع *** نَـبِيٍّ شَفِيعٍ لمَـــــنْ أذْنَـبَا
وأَسْرَى بِهِ لَيْلَةَ الإرْتِـــــــقَا *** إلىَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أقْـرْبَا
يَخُصُّكَ مُوسَى بِأزْكَى سَـــلاَمٍ *** يَرُوقُ النُّفُوسَ كَنَشْرِ الكِبَا[2]

ولما أطلت ليلة المولد النبوي الشريف سنة 766هـ/1364م، فاحتفل أيده الله بمدعاها احتفاله بأمثاله[3] فكان مما انشده مسمعها من نظم أبي حمو الثاني(760-792هـ/1357-1389م)[4]: (البسيط).

مَنْ عَطَّرَ الكَوْنَ طيبًا عنْدَ مَـــوْلِدِهِ *** وأشْرَقَ الأفْقُ مِنْ نُورٍ لَهُ بَهِـــجِ
مُحَمَّدٌ خَيْـــرُ خَلْـــقِ الله قَاطِبَـــــــةً*** نُورُ الهُدَى وإمَامُ الرُّسْلِ والسُّرُجِ
يَارَبْ عَبْدُكَ مُوسَى قَدْ دَعَاكَ عَسَى*** تُنِيلُهُ نَفْحَةً مِــــنْ نَصْرِكَ الأَرِجِ.

لم تختلف العادات الاحتفالية بالمولد النبوي الشريف بعد أبو حمو الثاني (760-792هـ/1357-1389م) إذ واصل أبنائه الأمراء الزيانيون على سنة والدهم فيما كان يخصصه لهذا الاحتفال، ففي في عهد أبي تاشفين الثاني (791-795هـ/1389-1383م) فكان يحتفل لليلة مولد المصطفىﷺمن دوحته يوليه محاربة الأعداء،[5] وكان يحتفل لليلة مولد المصطفى ﷺبأعظم الاحتفال، ونسجه ونسج أبيه في ذلك على منوال ويرفع إليه من الممادح الغر الحجال، ويثبت عليها من عظيم النوال بما لم يسمع بمثله في سالف الأحوال.[6]

1- يحي ابن خلدون: **البغية**، 287/2.
2-**نفسه**، 287/2-288.
3- **نفسه**، 308/2.
4-**نفسه**، 310/2-311.
5 - التنسي: **نظم الدر**،ص186.
6- **نفسه**،ص186-187.

ومن أبدعها ما رفعه إلى حضرته العلية أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري[1]في أول مولد أقامه صدر تملكه مادحا له ولوالده ومعزيا له[2] به قوله: (الكامل).

فَهَنَا بَلَيْلَةِ مَوْلِدِ الهادِي الذِي *** عَظُمَتْ لأُمَّتِهِ بِهَا بُشْرَاهَا[3]

واستمر الاحتفال بالمولد لليلة السابعة والتي احتفل لها أيضا بمثل احتفاله لليلة المولد أو أعظم[4]،أما عن الاحتفال بالمولد النبوي في عهد أبي زيان محمد بن أبي حمو (796-801هـ/1394-1399م)،فقد كان يحتفل بها احتفال أسلافه الكرام ويرفع فيها إلى حضرته العلية من الأمداح ما يزري بنور وجه الصباح[5]الاحتفال في عهد أبي مالك عبد الواحد (814-827هـ/ 1411-1424م)،كان يقيم ليلة مولد المصطفى ويحتفي به غاية الاحتفاء ويقيم فيها المنجانة على الوجه المتقدم في رسم والده ويقتفي أثره في المستحسن من عوائده. [6]

عوائده. [6]

سابعا:الاحتفال بحذق القرآن(حفظه)

من الاحتفالات التي أولاها الزيانيون عناية خاصة وأقاموا لها مدعاة حافلة هي حفظ أحد أبنائهم للقرآن أو جزء منه وحسبنا في ذلكما ذكره أبي يحي ابن خلدون:«في السنة 770هحذق من أولاد أمير المسلمين المولى الأمير الناصر أسعده الله سورة البقرة، فأقام نصره الله لذلك بمشوار داره الكريمة مدعى حافلا وعرسا شامخا، اجتمعت له الأمم عربها

1- هو الفقيه الكاتب العلامة الناظر الناثر كاتب السلطان أبو حمو موسبن يوسف الزياني ولد بالأندلس ألف عددا من القصائد في المديح الديني بمناسبة المولد النبوي في قصر المشور .المقري: **نفح الطيب**، 515/6؛ جيلالي صاري: **تلمسان الزيانية – إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث**، تر: مسعود حاج مسعود، الجزائر: دار القصبة للنشر 2001م، ص110.

2- التنسي: **نظم الدر**، 187.

3 - **نفسه**، 195.

4 - **نفسه**، ص196.

5- قول محمد بن يوسف الثغري. **نفسه**، ص212.

6- التنسي: **نظم الدر**، ص236.

والعجم وحشر فيها المغنون على اختلاف أصنافهم وأطوارهم فكان يوما لسرور مشهودا وحفلا للفخر جامعا».[1]

ومن القرائن أيضا احتفال السلطان أبو حمو بابنه محمد أبو زيان هو الآخر بمناسبة ختمه لسورة البقرة، فأقام له بدوره حفلة كبيرة في المشور دعا إليها الناس وأسمعهم الغناء والعزف[2]، وفي شهر رجب 776هـ/1374م فأقام نصره الله لسروره مدعي كريما وعرسا حافلا، جمعت فيه الأشراف والمشرفون والرفيع والوضيع ونودي في أرباب الغناء والعزف والطبرخانات والكريج وغيرهم بالمدينة حاشرين فأجمعوا بمشوار داره الكريمة يروقون الأبصار ويبهجون الأسماع وأستتاب أيده الله للحضور ولده الأمير الأعلى أبا تاشفين أبقاه الله، وجيء بخوانات الطعام العديدة من كل ما حلا في الفم وحلى في العين فطعم الناس وحمدوا الله تعالى على ما منح مولاهم من قرة العين، في النفس والمال والبنين[3]، فكان العامة يشاركون في هذا الاحتفال ويقدم لهم الطعام الفاخر.

وفي هذا الاحتفال أنشد محمد بن يوسف القيسي الأندلسي قوله:[4] (الطويل).

وإِنَّ أَبَا زَيَّـانْ زَيْنٌ لِـذَاتِهِ *** زَكَا مَنْهُ نَجْلٌ حِينِ طَابَ لـهُ نَجَرُ

وَقَدْ حَذَقَ القُرْءانَ حِذْقَ مُجَوِّدٍ *** فَأَشْرَقَ مِنْهُ القَلْبُ وانْشَرحَ الصَّـدْرُ

وهَشَّتْ لهُ الجَوْزاءُ تَخْدُمُ حَفْلِهِ *** وقَدْ شَدَّ مِنْ عَقْدِ النَّطَاقِ لهَا خَصْرُ.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم تسعفنا المصادر بتقديم نماذج من مظاهر التكريم لدى أبناء العامة.

ثامنا: الاحتفال بيوم الجمعة

عني الإسلام بيوم الجمعة وصلاتها والحث على أدائها والحفاوة بها من اغتسال وطيب وتبكير إليها، ولكن من غير غلو ولا إفـراط، ولذا نجد أن الزيانيين وكعادتهم في

1- **البغية**، 421/2.
2- شقدان بسام: **تلمسان**، ص 164.
3 - يحي ابن خلدون: **البغية**،550/2-551.
4- **نفسه**، 553/2

الاحتفال والاحتفاء بأيام مخصوصة لقداستها عندهم، فاهتمامهم بيوم الجمعة اعتقادا منهم أنه يوم آدم عليه السلام ففيه خلق، وفيه خلقت الروح، وفيه أسكن الجنة، وفيه أنزل إلى الأرض، وفيه تِيبَ عليه.

ومن التقاليد التي أحدثت في يوم الجمعة والتي اعتبرت من البدع، قراءة القرآن جماعة[1]،والتي شهدتها جل مساجد الدولة الزيانية في المدن والبوادي، والحقيقة أنها مباحة إذا كانت سليمة غير مُحرفَّة، وكذا بقراءة "الحزب" الذي رسَّمته الدولة الموحدية والتي استمر بعدها، وقد اعتاد الناس في هذا اليوم يخصصون يوم الجمعة بعد الصلاة على الزيارات وبما تقتضيه هذه المناسبة العظيمة في نفوسهم فقد كانت لها قدسية خاصة فأبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق كان يزور إخوانه في الله بعد صلاة الجمعة، كما أنه لم يركب بل اشتغل من أول النهار بوظائف يوم الجمعة، وكانت صلاته يومها بمسجد تلمسان القديمة.[2]

من خلال دراستي لمظاهر الاحتفالات الدينية بالدولة الزيانية، تبين لي أنها كانت تحظى بمكانة خاصة في نفوس الزيانيين رغم ما شابها من طقوس جانبت مبادئ الشريعة الإسلامية لكن عكست في مجملها تمسك الزيانيين بإحياء المناسبات الدينية وبكل ما يصاحبها من عادات وتقاليد وأعراف.

---

1 – للمزيد حول موقف المذهب الملكي من هذه البدعة ينظر: مصطفى باحو: **علماء المغرب ومقومتهم للبدع والمتصوفة والقبورية والمواسم**، ط01، جريدة السبيل: تونس، 2007م، ص22.

2– ابن مرزوق: **المناقب**، ص155؛ أورد البخاري (ت256ه) في هذا الصدد حديثا في باب الجمعة في القرى والمدن تحت رقم 892 علق عليه الشيخ العثيميين بقوله: «أن القرى هي البلاد الصغيرة والمدن هي البلاد الكبيرة، مع أنه يجوز إطلاق القرى على المدن الكبيرة كما في القرآن الكريم وأرد بهذه الترجمة أنه لا جمعة في البراري، فآل الخيام من البادية وغيرهم لا يجمعون لأنهم ليسوا في القرى ولا في المدن، وقد كان الناس في عهد النبي ﷺ من أهل البوادي لا يقيمون صلاة الجمعة ولم يأمرهم النبي بذلك، والواجب ألا يكون في المدينة والقرية إلا جمعة واحدة ولا يجوز أن تتعدد الجمعة إلا للضرورة»، 379/1.

الفصل الثاني

الاحتفالات المدنية والعسكرية

الاحتفالات المدنية:

أولا: الاحتفال بميلاد الأطفال والختان

ثانيا: الاحتفال بالزواج

ثالثا: الاحتفال بيناير

رابعا: الاحتفال بتدشين المنشآت

الاحتفالات العسكرية:

أولا: استعراض الجيش

ثانيا: سباق الخيل

ثالثا: استقبال السلطان في الحروب

عرف المجتمع الزياني مجموعة من الظواهر الطقوسية، التي تتمثل في مجموعة من العادات والتقاليد الاحتفالية ذات الخصوصيات الاجتماعية والأنثروبولوجية[1]، والتي ترتبط بدورة الحياة من ولادة وعقيقة وختان وخطبة وزواج ومراسم احتفالية أخرى، وبغيرها من السلوكيات التي تعمل على ترسيخ القيم التي ورثها الخلف عن السلف والتي تعد مكونا رئيسيا من مكونات الهوية والذهنية التي ميزت المجتمع الزياني، وسأعمل في هذا الفصل على رصد أهم هذه الاحتفالات وما حوته من عادات تداخل فيها البعد الاجتماعي بالغيبي والعسكري بالاستعراضي والطقوسي.

أولا: الاحتفال بميلاد الأطفال والختان

أ) احتفالات الولادة:

شهدت احتفالات الولادة عند الزيانيين استعدادات خاصة لاستقبال المولود الجديد وتجدر الإشارة إلى أن الزوج كان يحبذ إنجاب الذكور على الإناث لإعانتهم له على أعباء الحياة في المستقبل،هذا ما كان شائعا في اعتقادهم ذلك الوقت، ولهذا الغرض استخدم الناس طرق بسيطة وبدائية لتحديد جنس المولود، بالإضافة إلى أنه خلال فترة الحمل عمل الزوج على تلبية رغبات زوجته، وخاصة ما تشتهيه من مأكولات حتى لو كان أمر جلبها صعبا[2]، وتدعى هذه الفترة بفترة الوحم أو الوحام، وعند ازدياد المولود يحتفل أهله، ويكون هذا الحفل خاصا من أجل المرأة النفساء التي وضعت هذا المولود، فتذبح الشاة لليوم السابع بعد الولادة وتسمى "العقيقة"، ومن عادات هذا اليوم تخضيب يد المولود بالحناء[3]، وسنتعرف على العادات الاحتفالية بمناسبة العقيقة بشكل موسع في العنصر الموالي.

---

1 – تعني كلمة الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان في أصوله التاريخية التي تمس جوانبه العضوية والاجتماعية والحضارية ، وما تفرزه نشاطات الإنسان من أنماط وتراكيب ووظائف وعلاقات اجتماعية متباينة.عيسى الشماس: **مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا**،اتحاد الكتاب العرب 2004م.

2– إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص33–34.

3 – محمد رمضان شاوش: **باقة السوسان**، ص: 54.

وبالرجوع إلى عملية الولادة في حد ذاتها فقد اختصت بها المرأة الزيانية وأتقنتها، وفي هذا يقول ابن خلدون(ت808هـ/1405م) في مقدمته عن عملية التوليد ما نصه:«هي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه، من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك، ثم ما يصلحه بعد الخروج، وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر، وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة وهي أبصر بأدوية النفاس من الطبيب الماهر».[1]

بعد الولادة تبدأ وفود المهنئين بالقدوم للمباركة وإبداء الفرحة بالمولود الجديد، واعتاد الناس بهذه المناسبة تقديم الهدايا لأهل المولود، وكانت بعض الأسر التلمسانية كغيرها من الأسر المغربية بصفة عامة تتعامل مع ميلاد الذكور عكس ميلاد الإناث، ومنه فميلاد الذكر كان مدعاة الفرحة والسرور في الأسرة أكثر من ميلاد الأنثى[2]، وبمناسبة الاحتفال بميلاد الأطفال تم إعداد حلوى المدائن الكبيرة التي تحتوي على أصناف من الفواكه وهذا النوع من الحلويات صنع في الأسر الثرية دون غيرها.

ب)**الاحتفال بالعقيقة**[3]:

ظهرت في بلاد المغرب عادة احتفال الناس بمولودهم حيث يعدون العقيقة لذلك، وتتكون من خروف أو أكثر ونوع من الحلوى يسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب أسرة المولود، ويكون الاحتفال عند قص أول خصلة من شعر الطفل وتكون غالبا في اليوم السابع من ولادته.[4]

1- **المقدمة**، ص263.

2 – الونشريسي: **المعيار**، 344/8

3– العقيقة: معناها لغة القطع، أما شرعا فتعني الذبح عن المولود، وحكمها شرعا سنة مؤكدة لقوله صلى الله عليه وسلم وفعله، أما قوله: فهو ما أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الضبي قال: قال رسول الله ﷺمع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى، أما فعله: فلحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا وكبشا، وفي رواية أخرى عن أنس كبشين .500/2.

4 – ابن الزيات التادلي: **التشوف**، ص381؛وفي موضع آخر ذكر التادلي أن المتصوف أبو يلخيت الأسود (ت 602هـ/ 1202م) أهدى أحد الفقراء ثورا ليطعمه أهله لأن زوجته نفست ولم يجد ما يطعمها إياه أو يقيم به حفل العقيقة. النص=

والمشهور عند الناس أنه حين يولد الطفل يعق له يوم السابع، كما هي السنة على الأرجح، وقد يؤخذ شيء من شعره وفي هذا قال الونشريسي: «وفي ذلك اليوم تقص خصلة من شعر المولود[1]، ثم يؤذَّن له في أذنيه بقدر ما يَسمع، وقد تلجأ الأمهات لوضع بعض التمائم والحروز التي تعلق في أعناق أولادهن حفظاً لهم من العين[2]، وتقام الوليمة في العقيقة بذبح خروف وتحضر العصيدة من الشعير ويطعم منها الأهل والفقراء من الناس».[3]

ج) الختان[4]:

يعد الاحتفال بختان الأطفال عند الزيانيين من أهم مظاهر الاحتفالات المدنية ويبدأ التحضير له بمجرد وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ، هذا إذا لم يكن قد ختن في صغره بمناسبة العقيقة، ويُطلق على هذه المناسبة: "الَخْتَان" و"الطّْهارا" و"الإعذار"[5]، ويكون الختان في العرف مرحلة فاصلة تظهر فيها الذكورة، وفي نفس الوقت تحقيق هذا الفعل الذي يعتبر سنة مؤكدة، ومن خصال الفطرة التي يكتمل بها نمو الإنسان، وتعامل الزيانيون مع عملية الختان بحفاوة كبيرة فأقاموا لها احتفالات فاخرة، وغالبا ما كان الوقت الذي يختن فيه الصبية

=دليل واضح على أن العديد من الأسر المغربية بما فيها الزيانية كانت تولي احتفال العقيقة أهمية خاصة كما يدل على الدور البارز للمتصوفة ومساهمتهم في الحياة الاجتماعية وتفاعلهم معها. ص387. جاء في **موطأ الإمام مالك** أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزنت شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنته فضة. ص306.

1- الونشريسي:**المعيار**،22/1.

2 – عبد القادر محمدي: **أنثربولوجيا الجسد الأسطوري بحيث في الهوية والامتداد**، المغرب: مطبعة فاس بريس، 2013م، ص34.

3- الونشريسي: **المعيار**،22/1.

4- الختان: فالختن هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، ويقال له: الختان بالنسبة للذكر والأنثى، فما يقطع من الذكر يقال له: ختان، والقطع من الأنثى يقال له: ختان، إلا أن القطع من الأنثى يقال له: الإعذار والخفض، والنبي – صلى الله عليه وسلم قال للمرأة الخاتنة: « اخفضي ولا تنهكي» رواه البيهقي في السنن الكبرى، برقم (17339)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (8062)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (722).

5- الإعذار في اللغة العربية هو الاسم الذي يطلق على الطعام الذي يقدم في هذه المناسبة، وسموه كذلك : العِذار والعَذِيرة و العَذِير، ولعل أصله من العُذْرة التي هي قُلفة الصبي، وكذلك العُذرة التي هي البكارة، ومنها وصفت البنت البِكر بالعذراء، وعلى هذا الأسلوب في التسمية أطلقوا على وليمة الزواج "العُرس"، وعلى طعام الولادة: "الخُرْس"، وعلى طعام القادم من السفر: "النقيعة".

وقد جمع معظمها في هذا البيت:كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبيعَةَ   الخُرْسُ و الإعْذَارُ و النَّقِيعَة

هو بلوغهم سن الخمس سنوات أو ما يقرب منها، مما يعني لزوم ختانه فيأتي الحَجَامْ[1]إلى الدار ويباشر العملية بحضور المدعوين الذين يقدمون للطفل نقودا لتشجيعه على ما يقاسيه من ألم، وعادة ما يتم دعوة الأهل والأقارب إلى حفل موسيقي لتلك الليلة، وتحضر مجموعة من الأطعمة في شكل وليمة لهذه المناسبة أطلق عليها كما سبق الذكر "الطهارة".[2]

ثانيا: الاحتفال بالزواج

لما كانت الأسرة وحدة اجتماعية تقوم في الإسلام على أسس دينية وأخلاقية ومجموعة مبادئ تتحكم في العلاقات الأسرية، من بين هذه العلاقات التي تجمع بين هذه الأسر الزواج، والذي يعد رباطا شرعيا حث عليه الدين الإسلامي وورد في العديد من الأحاديث النبوية، كما اتفق جمهور العلماء على الاستكثار من النساء في حد ما نصت عليه الشريعة الإسلامية[3]، بينما هناك من الزهاد من اعتبر الزواج على أنه أمر غير قادح في زهدهم[4].

ولا تكاد عادة الزواج في الدولة الزيانية تختلف عما كان موجودا في البلاد الإسلامية في القرون الأولى بحكم التواصل والاحتكاك، بالإضافة لخضوعهم لنفس العادات والتقاليد، فإذا وقع اختيار شاب على فتاة ورضيها زوجة له أرسل وفدا خاصا لخطبتها من ولي أمرها

1- الحَجَام المَصَاصْ يقال للحَجَامِ مَصَاصْ لامْتِصَاصِهِ فَمِ المِحجمة وقد حَجَمَ يَحْجِمُ حَجْمًا وحَاجِم وحَجُوم . ابن منظور:**لسان العرب**، 47/4. والحجم المص والحجام المصاص ويدخل ضمن وظائفه الختان، والشراط محترف الشراطة وهو أخذ الدم من الجسم بآلة تسمى المشرط ويرادفها الحجام والشلاط. أبو الحسن علي بن محمد التلمساني، الخزاعي (ت789هـ/1387م): **مختصر الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعملات الشرعية**، ط1، إعداد: أحمد مبارك البغدادي، (د.م): مكتبة السندس، 1990م، ص351؛ أبو العباس أحمد بن سعيد،المجيلدي (ت1094هـ/1683م):**كتاب التيسير في أحكام التسعير**، **تح**: موسى لقبال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م، ص94-95؛ نازلة عن جدة لأم أتت بحفيدها إلى الحجام يوم سابعه فختنه فمات. الونشريسي : **المعيار** ، 344/8..

2 – كمال السيد :**جوانب من الحياة**، ص45؛ بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص166 ؛ محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**، 2/ 54

3 – عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 1/ 287-288.

4 – ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص: 121.

غير أن المصاهرة كانت تخضع للطبقية[1]، فترى الأسر العريقة تتقدم إلى مثيلتها في الجاه والمال والعلم أو النسب الشريف، ومثال ذلك زواج أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت681هـ/1282م) جد الخطيب بابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني الذي كان من كبار أعيان مدينة تلمسان مالا وجاها[2]، بينما الطبقات الفقيرة أو المعدومة فكانت هي الأخرى تتصاهر فيما بينها، إذ سجلت لنا بعض النوازل لأن هناك نساء في البوادي والقرى ممن وصفن بأنهن من أهل الدناءة والفساد في قدرهن، إذا أردنا الزواج ولم يكن لهن ولي فإنهن كن يقصدن إمام مسجد القرية ليتولى تزويجهن بغرض إصلاح حالهن وشأنهن عن طريق الزواج.[3]

تعد الخطبة أولى خطوات الزواج، ولا تتم هذه المرحلة إلى بمساعدة الخاطبة، وهي امرأة تتولى مهمة البحث عن عروس تتوفر على شروط يطلبها أهل الخاطب، وغالبا ما تبالغ الخاطبة في مدح الخاطب بغية الوصول إلى مقصدها، وبعد الوصول إلى الفتاة المعنية تتولى أيضا الخاطبة مهمة التمهيد بين أهل العروسين، ليذهب بعدها أهل العريس لطلب الفتاة للزواج رسميا[4]، وفي نفس الوقت كانت بعض الأسر التلمسانية في العهد الزياني تقوم بخطبة إحدى البنات لأحد أبنائها، أو الكلام عنها وهي في سن صغيرة نتيجة الصداقة أو القرابة، إذ لا يلجأ للخاطبة في مثل هذه الحالة كما فعل الشيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم التنسي(680هـ/1281م) عندما أوصى بأن تزف ابنته خديجة لأبي العباس أحمد بن مرزوق والد الخطيب(ت741هـ/1314م).[5]

وأحيانا أخرى لم يكن يلجأ للخاطبة، إذ يبعث والد الابن الراغب بتزويجه بأحد أصحابه إلى والد البنت أو وليها ويتحدث له في أمر الخطبة، فإن قبل يتقدم حينئذ الوالد مع جماعة من الصلحاء وكبار المشايخ إلى بيت العروس، وهذا الأمر كان شائعا في البوادي

1- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**،288/1؛ مختار حساني:**تاريخ الدولة**، ص183؛ خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**،ص297.

2- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 289/1.

3 – الونشريسي: **المعيار**، 121/3-198.

4 – كمال السيد: **جوانب من الحياة** ،ص11.

5- ابن مريم: **البستان**،ص29؛ خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص297-298.

والأرياف أكثر منه في المدن، فيقيم لهم والدها مأدبة عشاء، وبعد الانتهاء يتم التفاوض حول المهر [1] والذي أجلت الحديث بشأنه لوقته.

وتجد الخاطبة نفسها أحيانا في مواجهة الشروط التي يتم وضعها من الطرفين، والتي كانت في الغالب تتفق على مجموعة من الأمور المتعارف عليها، فعن الصفات المطلوبة في زوجة المستقبل تتلخص عادة في ثلاث خصال هي: طيب الأصل وحسن الخلق وكمال الدين وتعدتها في بعض الأحيان إلى التركيز على الجمال، كما لم تستهو النساء النحيفات الرجال في تلك الفترة، إذ كانوا يفضلون النساء البدينات، وهو ما جعل النسوة يقمن بزيادة أوزانهن، ووصل بهن الحد إلى الإفطار في شهر رمضان وما إلي ذلك من معصية، كما امتنع بعض الرجال عن الزواج بالسودانيات وعدوه مجلبة للذل للعار.[2]

وبعد مرحلة الخطبة والاتفاق بين أهل العروسين تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة **الإعلان**[3]، ويتم في المدينة أو القرية الإخبار بأن فلانا قد خطب فلانة بنت فلان، عندها يتقدم الأهل والأصحاب بالتهاني للعائلتين، وطوال فترة الخطوبة كان الزوج يقدم العديد من الهدايا لعروسه، وذلك في الأعياد والمناسبات وغالبا ما كانت الهدايا بسيطة عبارة عن حناء وصابون وفاكهة وغيرها، والشائع أن يقدم الخاطب لعروسه أحيانا عصفر لصبغ الثياب وقصب الذهب وثوبان من الحرير وعقد جوهر وقطيفتان وجوربان[4]، وهناك مناسبات أخرى لإهداء العروس وحتى في يوم يناير –سيأتي الحديث عنه لاحقا– كان الخاطب يهدي مخطوبته طيفورا (سلة) مملوءا بالثمار والحلويات ويسمى بالقطانية.[5]

---

1 – مؤلف مجهول: **مخطوط سيرة زواوة**: المكتبة الوطنية، الحامة– الجزائر، رقم: 1024 ، ورقة2.

2 – ابن قنفذ القسنطيني: **أنس الفقير**، ص46؛ الونشريسي:**المعيار**، 2/487–488

3– تكون مرحلة الإعلان مقترة بعقد القران –النكاح– بالصيغة التالية:« الحمد لله الذي أباح النكاح وحرم السفاح وخلق آدم من الماء فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا، اللهم ألف بينهما كما ألفت بين آدم وحواء» ثم يقولون لأب البنت أعطيت فيقول نعم وللخاطب قبلت فيجيب بالقبول وتختم جلستهم بقراءة خاتمة الكتاب. مؤلف مجهول: **سيرة زواوة**،ورقة2.

4– الونشريسي: **المعيار**،3/96 و3/129–130، مؤلف مجهول: **سيرة زواوة**،ورقة2.

5– محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**، 2/ 53.

أما عن **الجْهَازْ** فقد جرت العادة أن يقوم الآهل بتجهيز ابنتهم في وقت مبكر حتى قبل خطبتها بسنوات، فالعادة تشهد أن الآباء يعدون للبنات في صغرهن من الهبات والعطايا ما يكون لجهازهن[1]، ومن أمثلة ذلك أنرجل امتلك نصف دار خصص ثمن بيعها لتجهيز ابنته واضطرت بعض الأمهات إلى بيع ما يملكن لتجهيز بناتهن[2]، في المقابل اكتفى بعض الآباء بما حصلوا عليه من الزوج كمهر لتجهيز بناتهم[3]، وأحيانا أخرى اضطرت بعض اليتيمات إلى بيع ما يمتلكن إن كان لهن لتجهيز أنفسهن [4] ، وورد عن ابن مرزوق(ت781هـ/1379م) أن أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق(ت842هـ) قد عمل لكل بنت من بناته وكن جملة، حليا بألف دينار من الذهب عدا ما جعل لهن من الفرش والثياب.[5]

وبالحديث عن ما تأخذه العروس معها من أثواب وأدوات للزينة وحلي وغيرها، وهو ما يعرف بجهاز العرائس فقد كان أحيانا سببا في حيرة أهل العروس لعدم قدرة البعض منهم على تكاليف تجهيزه بناتهن، مما اضطر البعض منهم إلى الاستدانة للتكفل بهذه المصاريف[6]، بينما لجأ البعض الآخر من الآباء لإخراج ثياب ثمينة باسم الزوج ضمن الجهاز ثم يستردها بعد الزفاف على أساس أنها كانت عارية، وأنها وضعت مع الجهاز بهدف التزيين والتباهي والافتخار لا على سبيل العطية[7]، وشاع في الفترة موضوع الدراسة اهتمام الكثير من الأولياء الصالحين بشؤون الناس والعمل على التخفيف عنهم، وكان من

1 – ورد في إحدى نوازل **المعيار** أن هناك من الآباء في المغرب من كان يهب إبنته في صغرها بعض الهبات والعطايا لتجهيزها عند زواجها، فهناك إشارة إلى رجل وهب ابنته خمسين رأسا من الغنم ونصف كرمه من أجل جهازها. الونشريسي:**المعيار**، 246/3.

2 – الونشريسي: **المعيار**،77/6.

3 –**نفسه**،282/2.

4– **نفسه**، 133/3.

5 – ابن مرزوق: **المناقب**، ص163

6 – جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص301.

7– الونشريسي: **المعيار**، 36/3.

بين المسائل التي اهتموا بها تجهيز العرائس، فكان الكثير منهم يعمل على تجهيز اليتيمات والفقيرات من النساء[1]، اللواتي استعصى عليهن الجهاز.

وحري بي كذلك ذكر بعض ما اشتمل عليه هذا الجهاز، فقد احتوى على الكثير من الثياب منها الغفائر والمحرزة والرازي والثياب المحشوة والقطيفة والسراويل والمنطقة[2]، أما فيما يخص أمتعة البيت فقد أخذت العرائس معهن الطست والمنارة والقباب والحجال والفرش والبسط، والحلي وعلى عكس عروس المدينة كان جهاز عروس البادية بسيطا إذ لم يتعد غالبا فراشا ولحافا وبعض الملابس والحلي[3]، هذا جل ما تلعق بالجهاز.

أما **الصداق** في الدولة الزيانية وخاصة في عهد يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م)[4] فكان الناس لا يبالغون فيه، إذا كان يخضع للحالة الاجتماعية والمادية للزوج والزوجة، فقد قدم أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) لابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني صداقا من الحلي والفرش والألبسة[5]، ومن أنواع هذا الحلي نجد القرط والخواتم

1- ابن مريم: **البستان**،ص101.

2 - إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص27

3 -**نفسه**، ص29.

4- هو أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي ولد (653هـ/1206م) وبويع للملك يوم وفاة أخيه أبي أبي عزة زجدان في 24 ذي القعدة سنة 633هـ/1239-1240م وكان معروفا بين قومه بالدهاء السياسي، والشجاعة والحزم وكثير مجالسة للصلحاء توفي برهيو من واد شلف منسلخ ذي القعدة سنة 681هـ وكان سنه 76سنة ومدة خلافته 44سنة و5 أشهر و12 يوم. وابن الخطيب: **الإحاطة**، 563/1 و97/2؛ **ورقم الحلل في نظم الدول**، تونس: المطبعة العمومية، 1906م ، ص66؛ويحي ابن خلدون:**البغية**، 204/1و207 ؛وابن خلدون : **العبر**، 105/7 إلى 108؛والتنسي: **نظم الدر**، ص111- 125-126 -128؛ وابن الأحمر: **تاريخ الدولة**، ينفرد بذكر تاريخ 21 ذي القعدة سنة 631هـ كتاريخ لبيعة يغمراسن بن زيان وذكر أن مدة حكمه 50سنة وليست 44 سنة، وعبد الرحمن بن محمد الجيلالي **:تاريخ الجزائر العام**،ط4، بيروت: دار الثقافة،1980م، 132/2؛ والمعسكري أبي راس الناصر (ت1238هـ): **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان**، دراسة وتح: حمدادو بن عمر، ط2، الجزائر: منشورات دار قرطبة ، 2012م ، ص145؛ويحي بوعزيز : **تلمسان** ،ص52.

5 - عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 289/1؛ خالد بالعربي: **الدولة الزيانية**، ص28؛ مفتاح خلفات: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)- دراسة في دورها السياسي والحضاري**- تيزي وزو-الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 201م،ص231.

والأساور والخلاخيل، كما كان المهر في كثير من الأوقات يحدد بالدنانير [1]، ربما يرجع هذا الأمر للتسهيل على العروس في حرية اقتناء ما تحتاجه من أدوات وحلي حسب رغبتها وحاجتها، أما صداق النقد بالمغرب فكان عبارة عن خلاخل فضة قيمتها عشرة دنانير من الذهب وأقراص الذهب من دينارين، وعقد جوهر قيمته ستة دنانير من الذهب، أما الثياب أو الكسوة فمنها ثوب من الكتان وآخر من الحرير وملحفة قطن وفراش من القطيفة، علاوة على هدية طعام، وأحيانا كان يشترى من الصداق وطاء ولحاف وفرش وبعض الصحاف والأقداح.[2]

في مرحلة متقدمة من الاحتفال بالزواج تأتي مرحلة تزيين العروس، ففي ليلة الزفاف كانت العروس تحرص على أن تكون في أبهى حلتها[3]، وليست هي فقط من يعمل على ذلك، فكل النسوة اللواتي يحضرن العرس يحرصن على ذلك فكن يأتين في أبهى الحلل[4] وأحسن الثياب كما استعملت النسوة وسائل كثيرة للتزيين فكانت الماشطة تشرف على تصفيف شعورهن[5] وكانت تقوم أحيانا بتقطيع شعر إحداهن وتعطيه لمن لا شعر لها وتعمل لها سالفا لتزيينها[6]، مما يدل على الأهمية الكبيرة التي كانت توليها العرائس لشعورهن كرمز من رموز الجمال أثناء الأعراس.

لم تكتف النسوة في الأعراس بتزيين أيديهن بالحناء والذهاب إلى الماشطة، لكنهن رسمن على أجسامهن بما يعرف بالوشم، وهو ما كان يتخذ للتزيُّن والتجمل،ولم يقتصر على

1- أورد لنا الونشريسي العديد من النوازل دار موضوعها حول قيمة الصداق مثل: قدم أحدهم مبلغ سبعين دينار كصداق لزوجته كان النقد 30 دينار وقدم آخر 200 دينار كصداق وهناك من زاد على الصداق فقدم لزوجته خادما ونصف أملاكه والأمثلة كثيرة. 3/ ص156و 270 و299.

2- الونشريسي: **المعيار**، 3/100-116.

3 -**نفسه**، 3/278.

4 - ابن الزيات التادلي: **التشوف**، ص152.

5- الونشريسي: **المعيار**، 3/278-11/145.

6 - **نفسه**، 11/145.

هذا فقط بل أتخذ للاحتماء من العين والأرواح الشريرة، وأشرفت على هذه العملية امرأة عرفت بالواشمة، والتي كانت تقوم بشق الجلد ثم تحشوه أي الجرح بالكحل حتى يخضر.[1]

ولا شك أن الناظر في هذه الرسوم وما هو متداول منها لحد الآن، يلاحظ اعتمادها على الأشكال والتكوينات المجردة، وعلى خطوط تتخذ في الغالب شكل صليب أو نجمة أو دوائر، فالصليب كان يعتبر رمزاً للشمس ولإله بابل الشمسي، وإن انصرف الذهن إلى ربطه بالمسيحية، أما الدوائر فكانت بدورها تعتبر رموزاً لإله الشمس فيما بين النهرين ومصر، وما كان منها متداخلاً فيمثل الشمس في حركتها، وما كان منها على شكل أقراص فيرمز للشمس في حال الغروب، إضافة إلى النجمة فمرتبطة بخاتم النبي سليمان الذي عرف بسلطته على الجان والأرواح الشريرة، وقد تكون هذه النجمة خماسية أو سداسية أو ثمانية، وإن كان شيوع النجمة الخماسية جعل الناس يعتبرون العدد دون الشكل، ويعبرون عنه باليد التي كان شائعاً أن القرطاجيين كانوا يرسمونها على أبواب البيوت، حتى تقيهم من العين القبيحة.

وهكذا لو تتبعنا كثيراً من العادات الاحتفالية في الأعراس الزيانية، لألفينا فيها أثراً من آثار المعتقدات والمقدسات التي عرفها المغاربة في العهود القديمة، والتي انحدرت إليه من المشرق في الغالب، والتي وجدت في البيئة المغربية مجالاً خصباً لرعايتها وتثبيتها في النفوس، وهي بطبيعتها بيئة تساعد على تغذية تخيل الإنسان لما وراء الكون المنظور.

تستمر بعض العادات الاحتفالية الزيانية، وتستمر معها النسوة في الاجتهاد على إبراز جمالهن في الأعراس حتى لو اقتضت الحاجة استعارتهن للحلي لحضور الزفاف، ومن كانت تفتقر إلى كسب ما تذهب به لحفل الزفاف من الحلي كانت تستعير ما يلزمها من صديقاتها[2]، وهذا ما تسبب في الكثير من المشاكل بين الزوجين لأنه في العرس كانت بعض النساء تفقدن بعض الأشياء المستعارة وهذا ما دفع الرجال إلى نهي زوجاتهم عن هذا التصرف[3]، وعلى كل فإن النسوة الحاضرات كن يتميزن بالأناقة والجمال، حتى كان يصعب

---

1 – الونشريسي: **المعيار**، 145/11.

2– ابن الزيات التادلي: **التشوف** ، ص100.

3 – إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص30.

التفريق بينهن وبين العروس، لولا التاج الذي كانت تضعه العروس على رأسها، بينما تشترك مع باقي النسوة في التحلي بسوار الذهب وخلاخل الفضة وعقود الجواهر.[1]

استعمل الزيانيون في احتفالاتهم كلها آلات الطرب والغناء[2]، كما استعملوا المغنيين وكانت أكثر احتفالاتهم مجالا للغناء هي الأعراس، واستعان المغنون بمجموعة من الأدوات مثل الشبابة المزمار البوق القانون الطسوت[3]، والغناء حسب ابن خلدون يحدث في العمران إذا توفر وتجاوز حد الضروري إلى الحاجي ثم إلى الكمالي وتفننوا فتحدث هذه الصناعة لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفننا في مذاهب الملذوذات[4]، من خلال ما سبق يمكننا الاستنتاج أن حفلات الأعراس في البادية الزيانية كانت تفتقر لمثل هذا المظهر من مظاهر الاحتفال.

وبالعودة للغناء فقد كان للجواري أثر كبير في الحياة الاجتماعية من حيث انتشار الغواني وعادة الغناء في المجتمع الزياني وخاصة في الأعراس، وقد تحدث بعض الشعراء عن الغواني مثل الشاعر أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري:

حَيْثُ مَغْنَى الهَوَى ومَلْهىَ الغَوَانِي*** وَمُرَادُ المُنَى وَنَيْلُ المُرَادِ.[5]

كما تم استدعاء المغنون والمغنيات وغالبا ما كانوا من السودان لاشتهارهم بالرقص والضرب على الدفوف[6]، ولم يقتصر الأمر عليهم فقد احترف آخرون هذا العمل، فالعديد من

1 – الونشريسي: **المعيار**، 347/10 و 637/12.

2–وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر جمالها للأسماع هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة ثم تلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب ابن خلدون: **المقدمة** ، ص258و 269.

3– **نفسه**، ص270.

4–**نفسه**، ص271.

5– المقري: **نفح الطيب** ،328/9.

6 – الونشريسي: **المعيار**،251/3.

الزهاد قبل اعتزالهم لحياة اللهو والمجون كانوا يغنون في الأعراس[1]، وظهر نوع جديد من الموسيقى تولدت عن الانصهار بين الموسيقى المحلية والموسيقى الوافدة من الأندلس وهي الحوزي[2] والذي يعد من أنواع الموسيقى الخفيفة ظهر بالمغرب الأوسط إلى جانب الموسيقى الأصلية ووافق أذواق العامة.[3]

ومعروف أن الرقص كان عند الزيانيين كما كان عند المجتمعات القديمة قبلهم وعبر عن نشاط الإنسان في حياته العقدية والعملية، ورمزاً للنمو والازدهار، وارتباطه بالحركة والإشارة يوحي بما له من علاقة بطقوس قديمة، واستعمل الرقص في العادات الاحتفالية الزيانية كرمز للفرح وإبداء السرور، وكان الجسد الراقص في الاحتفالات يعد جسدا مقنعا بألاعيب طقوسية وإيقاعات موسيقية لا يتم استنباطها وفك تسنيناتها، إلا بما يتولد عن هذا الجسد من هزات وإيماءات وآهات تعطيها حضرة الطقس وحرارة الرقص والموسيقى وطبيعة الفضاء ونوعية الزمان كمظهر آخر يجعلها تلعب دور قناة للعبور من البعد الخفي إلى الظاهر والجلي، الذي يجدد جوهره ملامح الكيان العرقي للأقليات الثقافية التي تحن إلى استعادة أصولها.[4]

ومن العادات الاحتفالية الأخرى في الأعراس الزيانية عادة **الوليمة**، إذ لا يمكن أن يقام عرس الزفاف بدونها، لذا نجد أن اليوم الأول من العرس يخصص لذبح الخراف والشياه بينما يكون اليوم الثاني مخصصا لاستقبال الضيوف وإطعامهم، وفي الليل يقام حفل الزفاف

1- ابن الزيات التادلي: **التشوف**،ص307. أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الصنهاجي (ت596هـ) كان سبب توبته أنه كان في حداثته محبا للهو يغني في الأعراس ويضرب الدف فخرج يوما مع جماعة من الشباب يغني لهم ويضرب دفه لهم فأبصروا أبا شعيب أيوب السارية وهو مقبل إلى جهتهم ففروا حياءا منه وبقي وحده فوصل إليه أبو شعيب ودعا له فنفعه الله بدعوته، ص311 وكذلك أبو علي منصور الصنهاجي كان مسرفا على نفسه يغني في الأعراس ويلعب فيها ثم نزعت به إلى الله همة عالية فلحق بالصالحين وتوجه من بلده إلى مكة كرمها الله على قدميه ثلاث مرات.ص419.

2- سمي بالحوزي لأن الحوز هو ضاحية المدينة وكان في الغالب مكانا لسكن العامة من الناس. محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**، ص87.

3-**نفسه**، ص86-87.

4- عبد القادر محمدي: **أنثربولوجيا الجسد الأسطوري بحث في الهوية والامتداد**، مطبعة فاس بريس: المغرب، 2013م، 2013م، ص11.

والذي انقسم إلى حفلين واحد يقام في النهار للرجال والثاني يقام ليلا للنساء[1]، وكان من المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من جُزُورْ أو لحم إلى بيت والد العروس كي يعدوا طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف[2]، وفي العرس استخدم الطهاة لطهي الطعام وتهيئ الحلويات اللازمة للعرس[3]، ومنه فالاحتفالات التي تقام بمناسبة الزواج تكون على شكل وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء، وتسمى وليمة العرس، تذبح فيها الذبائح وتقدم بها الأطعمة للمدعوين، والواقع أن وليمة العرس وليمتان إحداهما للنساء وتقام في بيت العروس والأخرى في بيت العريس، وربما أقيمت الوليمتان في بيت واحد.[4]

أما المحطة الأخيرة من مراحل الاحتفال في العرس هي **ليلة الدخول بالعروس** إذ تدخل العروس مع عريسها إلى غرفة من غرف المنزل الذي يقام فيه الحفل، وتجلس امرأة إلى جانب باب الغرفة تنتظر إعلان فض بكارة العروسة.[5]

ومن العادات في بعض مناطق المغرب الأوسط عند خروج العروس من بيت أبيها تصحبها النسوة ولا تبقى معها إلا واحدة من أهلها، وإذا مضى ثلث الليل تصحبها إلى غرفة زوجها حاملة معها كيس من التمر والجوز وبيض مسلوق تقدمه كهدية له ليعطيها هو بدوره لأحد مرافقيه ليوزعها على أصحابه، ومن عاداتهم أيضا أن تقدم العجوز المصاحبة للعروسة إناء من الماء وتصب منه في كفيها ليشرب منها العريس ثم تعيد نفس العملية مع العروس، لكن يقوم بإفراغه في الصحن وذلك لتكون كلمتها أدنى من كلمة الرجل، ثم يقوم العريس ليصلي ركعتين ويضع يد على ناصيتها ويدعو الله.[6]

1- الونشريسي:**المعيار**،251/3.

2- كمال السيد: **جوانب من الحياة**، ص15.

3- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**،ص31.

4- ابن مريم: **البستان**، ص30.

5- الوزان: **وصف إفريقيا**،199/1-200

6- مؤلف مجهول:**سيرة زواوة**، ورقة3-4؛ مفتاح خلفات: **قبيلة زواوة**،ص 231، 232.

ويستمر الاحتفال بالزواج سبعة أيام متتالية، وعرف اليوم الأخير بسابع العروسة[1] وفيه يعود إليها أهلها ويلبسونها حزاما من الحرير، ويبارك لهما الحضور من أهلها وأهل العريس بما يقدمونه من الدراهم كل حسب طاقته.[2]

وحفظ لنا زهر البستان نصا تاريخيا حوا معلومات قيمة حول العادات الاحتفالية في العرس الزياني جاء فيه: «وفي هذا العام (764هـ/1363م) وصلت العروسة من المغرب لتلمسان، وهي بنت المولى أبي تاشفين هذه العروسة المباركة أصغر أولاد المولى أبي تاشفين...واستصحبها بهدية من صاحب المغرب سنية مؤدية باتصال الوداد والمهادنة والأمنية، أحبرت على عسل ومطايا وذخائر مما يليق بالهدايا، فكان لعراسيتها يسر عظيم وتنويه جسيم، ركب لركوبها خمسون جارية، وأقام لها خمسين عمارية دون ما تبعها من كرائم العبد الواديات ونساء الخدام الأحرارت المشرفيات، ثم أمر أن يخرج بالطبول والعلامات وأن تركب لها الجيوش والساقات، فكان الفرسان يلعبون والناس من ذلك الهيكل يعجبون»[3] وهناك نصان آخران يصبان في نفس السياق جاء فيهما: «فكانت ركبة لم تصنع إلا لأبناء جنسها وحاشى أن يكون عرس قبل عرسها، ذبحت فيه الأبقار والأغنام وجرى الأسبوع بالشراب والطعام، فكأنها عراسية شاع ذكرها في الآفاق وسرت بذكرها في الأقاليم الرفاق، أظهر فيها صلب الملوك الكرام وأسبوع سوابع العطايا والإنعام».[4]

«وفي أثناء وصول هذه العروسة وصل الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية وشهد عن هذه العراسية التي جاوزت النهاية[5]... ولما كمل أسبوع العراسية صرف موصلها يوسف المذكور إلى مرسله على أكمل الوجوه المرضية مستصحبا بهدية »[6]

1- الونشريسي:**المعيار**،362/4.

2- مؤلف مجهول: **سيرة زواوة**، ورقة4؛ مفتاح خلفات: قبيلة زواوة، ص232.

3 - مجهول: **زهر البستان**،ص225.

4 - **نفسه**،ص226.

5 - **نفسه**، ص228.

6 - **نفسه**،ص266.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى أن نكاح الكتابيات من أهل الذمة[1] في العهد الزياني لم يختلف عن عقد نكاح النساء الزيانيات، أما فيما يخص الولي فإن لم يكن لها ولي فيتولى أخ لها أو الأسقف تزويجها إذا طلبت منه ذلك، على أن تلتزم الكتابية بالاغتسال وتجتنب أكل كل ما هو محرم، وأن لا تقترب مما يكرهه زوجها المسلم ويشهد على عقد القران مسلمين،[2] أما فيما يخص باقي العادات الاحتفالية فلا توجد الكثير من الاختلافات بحكم التداخل والتجاور.

ثالثا: الاحتفال بيناير[3]

يجمع العارفون بتاريخ منطقة المغرب أن الاحتفال بموسم يناير يضم عدة أبعاد، ففي المجال الزراعي تتعلق المناسبة بالحرث والبذر وغرس الأشجار، وعلى هذا الأساس ووفق هذه المفاهيم التي تتعلق بالزراعة يتم تقسيم الفصول في السنة البربرية، وتحي بعض العائلات الزيانية هذه المناسبة بعادات وطقوس خاصة توارثتها العائلات على مر العصور فالموسم كاحتفال قروي وحضري غارق في القدم وهو كما تدل على ذلك تسميته يرتبط بدورة زمنية تحيل على موسم الحصاد أو موسم الحرث.[4]

ويعد الاحتفال بيناير من بين الأعياد التي احتفل بها سكان بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وجرى الاحتفال به وفقا للعرف وتعود الناس عليه في كل سنة شمسية ويدعونه برأس العام، ويقع الموسم في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من شهر جانفي

1–لفظ"**الذمة**" يعني حق المواطنة والحرمة والأمان وحرية المعتقد وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى. عبد العزيز فيلالي: **الأقليات المسحية**، ص53.

2– جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص30.

3 – يعود التاريخ الأمازيغي – حسبما تداولته الكتب التاريخية – إلى 950 قبل الميلاد، أين قاد الملك الأمازيغي شاشناق معركة ضد الفراعنة وانتصر فيها، ليكون أول ملك في عصره يقهر الفراعنة ويترأس مملكة الأمازيغ في مصر، ومنذ ذلك الحين بدأت الرزنامة الخاصة بالأمازيغ في عد أيامها.

4 – عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**، ص146. كما أن للموسم مسميات أخرى كالزردة – الطعم – المعروف– الوعدة الوعدة – الركب وهي مسميات لمسمى واحد هو الاحتفال الذي يقام بشكل سنوي أو دوري حول ضريح ولي صالح معين. **نفسه** ، ص148.

ويسمى الأول يوم نفقة الكرموس أي التين، واليوم الثاني يوم نفقة اللحم ففي اليوم الأول تعجن الأمهات لأولادهن قرصا من الخبز، وتثبت فوق كل قرصة بيضة تشبكها بالعجين حتى لا تسقط، بالإضافة إلى إعداد مأكولات أخرى تخصص لهذا اليوم مثل الفطائر والإسفنج ويشتري الآباء من السوق الثمار اليابسة من الكرموس والتمر والجوز واللوز، وفي اليوم التالي تعد أطباق من اللحم[1]، وكما جرت العادة مع اقتراب هذه المناسبة تبدأ ربات البيوت بالتحضير لها مسبقا، عن طريق اقتناء بعض الحاجيات كالدقيق والسميد لصنع بعض المعجنات، وتقوم بعض العائلات بوضع الطفل الصغير في جفن أوقصعة، ثم تصب عليه مختلف أنواع الحلوى على رأسه، ليتم توزيعها بعد ذلك على الحاضرين من ضيوف أو أفراد العائلة كفأل خير عليه بحلول سنة جديدة حلوة ملئها الخير والبركة[2].

رابعا: الاحتفال بتدشين المنشآت

يبدو من خلال ما أوردته المصادر التاريخية أن مظاهر الاحتفال بتدشين المنشآت من مدارس ومساجد وأبواب وأسوار وقنوات ماء في تلمسان قليلة، فقد تحدث التنسي في نظم الدر عن افتتاح السلطان أبو حمو الثاني (760-792هـ/1357-1389م) لمدرسة بناها في تلمسان «فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم واطعم فيه الناس، وكان موسما عظيما»[3] والاحتفال الذي أقامه السلطان أبوعنان[4](ت759هـ/1355م) عند افتتاح جامع الخطبة الأعظم ووصف النميري في فيض العباب ذلك الاحتفال «وأبدى الاحتفال به ما شاء من البدائع»[5]

1- محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان**،2/ 52.

2- **نفسه**، 53/2.

3- التنسي: **نظم الدر**، ص180؛ بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص165.

4- هو الأمير المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، الملقب بأبي عنان، ثامن سلاطين بني مرين ولد سنة 729هـ/1329م بفاس وأمه جارية مسيحية اسمها شمس الضحى، ثار ابن عنان على والده أبي الحسن بتلمسان سنة 749هـ/1349م، واستولى على ملك المغرب الأقصى توفي مخنوقا سنة 759هـ/1359م على يد وزيره الحسن بن عمر الفدودي. ابن الأحمر: **روضة النسرين**، ص37-40.

5- إبراهيم بن الحاج، النميري (ت768هـ/1366م): **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، ط1، تح: محمد بن شقرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص488، بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص165.

وهناك نص آخر جاء فيه أن أبو حمو بنا مدرسة ابني الإمام فأكرم مثواهما واحتفل بهما وبنا لهما المدرسة التي تسمى بهما.[1]

الاحتفالات العسكرية:

أولا: استعراض الجيش

قبل الحديث عن استعراض الجيش أرى من المفيد جدا ضرورة التعرف إلى تقسيماته وحسب ما أورده أبو حمو الثاني(760-792هـ/1357-1389م) في كتابه **واسطة السلوك** فإن الجيش ينقسم إلى أربعة أقسام ميمنة وميسرة وتقدمة وساقة، وهذا التقسيم له علاقة بشكل الاستعراض العسكري الزياني«شهدت تلمسان عرضا عسكريا سنة 652هـ/1254محضره السلطان يغمراسن(633-687هـ/1235/1281م) في باب القرميدين وكانت مراسم الاحتفال بأن يقف الجنود في الساحة خارج تلمسان بمنطقة المنية[2]، قرب الملعب شمال أسوار تلمسان ويمر السلطان من أمام الجند».[3]

«تغير هذا النمط من العرض العسكري زمن السلطان أبو حمو موسى الثاني، بأن يجلس السلطان في أحد الأخبية على هضبة تشرف على الساحة ثم تبدأ الكتائب تمر أمام السلطان مثل احتفال سنة 767هـ/ 1365م الذي استمر شهرا كاملا»[4].

وعن طريقة استعراض الجيش الزياني وتقسيماتهم نورد نص أبو حمو موسى الثاني نفسه وهو يوصي ابنه في قوله: «فأما الميمنة يا بني فلتخترهم من ذوي الشدة والكفاية والنجدة والحماية وتقدم عليهم من خاصتك الأجواد قائدا من القواد رابط الجأش صادق الناس، وأن يكون نزولهم في محلتك عن يمينك في المنزلة متزينين أحسن زي وأجمله... أما الميسرة فلتتخذهم أيضا من حماة الأبطال...من مشاهرة الفرسان، وتقدم عليهم قائدا ثابت القلب عارفا بمواقع الحرب صابر للطعن والضرب ويكون نزولهم في محلتك عن

1- التنسي: **نظم الدر**، ص139.

2 - ابن خلدون:**العبر**،102/7؛ بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص 165.

3- بوزياني الدراجي:**نظم الحكم**، ص285 ؛ بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص 165.

4- يحي ابن خلدون:**البغية**: 181/2 ، بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص 165.

يسارك...التقدمة من أصحاب الخيول السوابق وتقدم عليه قائدا بصيرا قد مارس الحرب المدة بعد المدة...يكون نزولهم في محلتك أمامك لا يتجاوزون غرضك ومرامك...أما الساقة هم أهل دخلتك المخصوصين بمولاتك...من سراة القبائل...تدور عليهم الحروب»[1]، وعن العروض العسكرية تكشف مصادر فترة موضوع البحث أن الجيش الزياني كان يقدم عروضا عسكرية يحضرها السلطان وكبار الموظفين في الدولة والعامة من الناس، وذلك بهدف الرفع من معنويات الشعب واستعراض قوة الدولة والسلطان.[2]

وحسبنا في ذلك ما ذكره يحي ابن خلدون في بغيته: «وفي شعبان هذه السنة (767هـ/1365م) صدرت الأوامر العلية للقبيل الأغر وكافة القواد المذكورين، بحشد العساكر إلى الحضرة الكريمة لتعرض بين يدي خليفة الله نصره الله، وفي أول شوال اجتمعت المحلات كافة بالبسيط الأفيح من ظاهر الحضرة، فجلس أمير المسلمين أيده الله تعالى لعرض جيوشه المظفرة في خباء مطل من أعلى هضبة على بسيط مستو اصطفت به الكتائب، لا يحويها العدو ولا تحيط بأقطاره الأبصار، من كل شاكي السلاح منحدب على قناة المنا لا يعرف إلا سيفه ولا يستثير غير عزمه، قد آخذو زينتهم تحسبهم الخمائل المزهرات من فوق الكثبان الهائلة، وسط كل كتيبة فنيق جلد الوشي زخلخل اللجين يخمطه بسلسلة من الفضة غلمان لبسوا فيه الخز الملون وعليه هودج معشى بأنواع الحلل قد برزت منه قنية يسبي جمالها وصقال ملبسها الناظرين فأمسكت بشجاره تغني بأشعار زناتية مما يهيج أريحبات الهمم ويبعث حمايات النفوس ثم زحفوا للسلام عليه دراكا من ضحى اليوم إلى غروب شمسه، وحداق الكتبة بين يديه الكريمتين يحصون جمل القبائل والشعوب، وينوعون الرامح منها والنابل فكانت فذلكة حساب الجميع اثنا عشر ألف فارس مرتزقة»[3]، وهو ما يؤكده أبو حمو الثاني في واسطة السلوك بقوله:«يكون لهم ترتيب في اللباس يمتازون بذلك

1- موسى بن زيان العبد وادي أبو حمو موسى (ت792هـ/1389م): **كتابواسطة السلوك في سياسة الملوك**، تونس: (د.م)، 1892م، ص144.

2- بسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص165.

3- **البغية**:2/356-357.

يتزينون بالأقبية الحسان المختلفات الألوان وبأيديهم الحراب عليها صغار الرايات من أنواع الحرير المختلفات». [1]

استمرت الاحتفالات والاستعراضات العسكرية الزيانية في تلمسان حتى في الفترة التي سيطر عليها بنو مرين وهذا دليل على التشابه في الأعياد العسكرية، وأقام بنو مرين عروضا عسكرية في تلمسان وذلك بهدف إخافة الرعية وإبراز قوة بني مرين فقد أقام السلطان أبو عنان ابن الحسن المريني [2] (ت759هـ/1355م) عرضا مشهودا في تلمسان واحتفل أهل تلمسان في البروز المشهور وخرجوا عن بكرة أبيهم إظهارا للسرور وسرورا بالظهور. [3]

ثانيا: سباق الخيل

يرى ابن خلدون (808هـ/1406م) أن أهل الحضر لا يبلغون في فروسيتهم مستوى أهل البادية، لأنهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع إلا غرارا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب[4]، لذا فإن اشتهار الزيانيين بالفروسية أمر طبيعي لسيادة الطابع البدوي، لدولتهم فقد اعتنوا بتربية الخيول وتربية أولادهم عليها، وكثيرا ما تغنوا بالفروسية والخيول، ولعل هذا راجع لاتباعهم سنة النبي ﷺ في اعتنائه بالخيل وإضمارها للسبق، فقد ورد حديث في صحيح البخاري (ت256هـ)، في باب السبق بين الخيل: حدثنا قبيصة وحدثنا سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال رضي الله عنهما قال: «أجرى النبي ﷺ ما ضمر من الخيل...وكنت فيمن أجرى». [5]

شهدت الدولة الزيانية احتفالات ومهرجانات في سباق الخيل، وأوجدت لذلك ساحة مخصصة خارج تلمسان لهذا السباق، وهي المنطقة المعروفة بالمنية أو الملعب وتقع شمال

1- أبو حمو موسى: **واسطة السلوك**، ص145-146.

2- أحمد بن محمد بن أبي العفيةالمكناسي، ابن القاضي: **لقط الفرائدمن لفاظة حقق الفوائد**، تح: محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م، ص209.

3- النميري: **فيض اللباب**، ص484.

4- ابن خلدون: **المقدمة**، ص358.

5- الحديث رقم: 2868. 297/2.

أسوار تلمسان وأمامها السهول الواسعة، وهذا يدل على وجود اللهو واللعب عند السكان ويشير يحي بن خلدون لاهتمام الزيانيين بالفروسية والخيول وسرجها والاحتفال بها، إذ يورد نص للفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري الأندلسي[1]قال فيه:

وَبِمَلْعَبِ الخَيْلِ الفَسِيحِ مَجَالُهُ**** أَجَلَّ النَوَاظِرَ في العِتَاقِ الحُقَّلِ

فَلِحَلْبَةِ الأَفْرَاسِ كُلَّ عَشِيَـــةٍ**** لَعِبٌ بِذَاكَ المَلْعَبُ المُتَسَهِّلِ

ثالثا: استقبال السلطان أثناء الخروج للحرب

أقام الزيانيون احتفالات واستعراضات ضخمة أثناء خروج سلاطينهم للحرب أو استقبالا لهم عند الرجوع منها، وأول من اشتهر بها هو السلطان الزياني يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) الذي كان يقيم حفلات الاستقبال الكبرى في قصر المشور وبين أرجائه[2]، مخصصة للاستقبال أثناء العودة من الحروب التي كانت تدور رحاها ضد بني مرين أو الحفصيين أو العرب الهلاليين وعلى قدر النصر يكون حجم الاحتفال.

«أما حروبه ووقائعه في العرب وزناتة وسوق عمال بني مرين إليه في السلاسل وحركاته إلى بلادهم وتحركهم عليه وما كان بينه وبينهم من الوقائع فأمر لا يحيط به هذا المجموع وقد تولى ذلك صاحب بغية الرواد وصاحب زهر البستان فلا نطول به»[3] الحديث عن الحرب والاحتفالات العسكرية قليل عند التنسي بحجة أن هناك من كتب في الموضوع قبله.

كما استغل الزيانيون الاحتفالات خاصة لدى أعدائهم كوسيلة لتقصي الأخبار وتوظيفها في الحروب، إذ في الحرب لم يكن السلاطين الزيانيون يتخلفون عن تقديم التهنئة والهدايا بالعيد لأعدائهم كطريقة للتجسس ومعرفة أخبارهم، وهو ما عبر عنه أبو حمو الثاني(760-792هـ/1357-1389م) في وصيته لابنه:«يا بني وفي الأعياد تكون هداياك

1-كان عضوا في ديوان أبو حمو موسى الثاني . (740-744هـ/ 1348-1352). يحي ابن خلدون : **البغية**، 1/88-89 ؛ و الجيلالي صاري: **تلمسان**، ص111.

2 – خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص293

3 – التنسي، **نظم الدر**، ص178.

لعدوك وفيها تظهر إقامتك وسموك، لتتعرف أحواله في أعياده وما يزداد في أجناده وقواده، يعلمونك إذا رجعوا إليك حتى لا يخفى عليك شيء من حاله».[1]

ومن القرائن على كثرة الحروب التي كانت تخوضها الدولة ما رواه التنسي بقوله:«كما كان سلاطين بني زيان الأوائل يحرصون على إحضار مصحف عثمان على عادة الموحدين، ويستصحبونه في كل حركاتهم للقتال تبركا به، ولهم في ذلك ترتيب حسن وذلك أنهم في سفرهم أول ما يتقدم بين يدي الأمير على راية عظيمة بيضاء على أطول ما يكون من العصي، ويتلوها **المصحف** الكريم محمولا على أضخم بختي، يوجد مجعولا في قبة حرير مربعة بأعلاها جَامُورْ أبدع ما يكون في رأس ركن من أركان القبة، راية عظيمة تخفق بأقل ريح ولو لم يكن إلا حركة الجمل في سيره، ويتلوها بغل من أفره البغال يحمل رُبْعَة كبيرة مربعة مُغَشَاةْ بحرير تضمنت الموطأ والبخاري ومسلما والترمذي والنسائي وأبا داود، ويليها الأمير في صدر الجيش والعساكر خلفه وعن يمينه ويساره، فلما كانت وقعة السعيد انتهب المصحف الكريم في جملة ما انتهب، فأخذ ما عليه من الحلية الموجبة لغنى الدهر وطرح عاريا، فوجده رجل ودخل به تلمسان وهو غير عالم بمقداره، وعرضه للبيع فكان السمسار ينادي عليه بسوق بيع الكتب بسبعة عشر درهما، فرآه بعض من يعرفه فأسرع إلى أمير المسلمين يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) وعرفه به.[2]

فبادر بالأمر بأخذه وأمر بصونه والاحتياط عليه والقيام بحقه فكان **المرتضى متولي مراكش**[3] بعد السعيد و**المستنصر**[4] صاحب تونس وابن **الأحمر**[5] صاحب الأندلس يطيلون

1- أبو حمو موسى: **واسطة السلوك**، ص192.

2- التنسي: **نظم الدر**، ص124.

3- الخليفة الموحدي المرتضى تولى الحكم بعد السعيد من (646-665هـ/1249-1266م). محمد عبد الله عنان: **كتاب دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 4 أجزاء، 1990م، 528/4.

4- أبو عبد الله محمد المنتصر ابن أبي زكريا بن عبد الله أبي محمد عبد الواحد المستنصر الحفصي، تولى الحكم من سنة (647-675هـ / 1249-1277م). ابن قنفذ: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م، ص 117-134.

5- هو أبو عبد الله محمد الغالب من بني الأحمر الذي تولى الحكم من سنة (629-671هـ / 1232-1273م).يوسف شكري فرحات: **غرناطة في ظل بني الأحمر**، بيروت: دار الجيل، ط1، 1993م، ص19 وما بعدها.

البحث عليه ويكثرون الحرص في تحصيله حتى ماتوا كلهم متأسفين عليه، وبقي بعدهم في يد من اختاره الله له، إذ هم أهل البيت الذين أنزل عليهم فكانوا يتوارثونه، قلت ولم نجد له في وقتنا هذا خبرا والغالب على أن سبب ذهابه استيلاء بني مرين على تلمسان والله أعلم.[1]

بعد الانتهاء من رصد أهم المظاهر الاحتفالية التي قام بها الزيانيون في حياتهم اليومية من خلال عنصر الاحتفالات المدنية والعسكرية، قد خلصت إلى أن هناك بعض العادات الاحتفالية الدخيلة على المجتمع الزياني أصبحت كواجبات ملزمة يقوم بها المحتفلون.

1 – التنسي: **نظم الدر**، ص124–125.

الفصل الثالث

العادات الاحتفالية بين الضمور والتفاعل

أولا: التأثير الهلالي على العادات الاحتفالية في المجال الحضري
ثانيا: السلوكات الاحتفالية لدى النخب والعامة
ثالثا: موقف الفقهاء من بعض العادات الاحتفالية
رابعا: موقف المدرسة الفرنسي من مظاهر الاحتفال بالمغرب الأوسط

أولا: التأثير الهلالي على العادات الاحتفالية في المجال الحضري

بعد عملية التوطن القبلي للهلاليين[1] على مشارف المدن والحواضر لا سيما الناحية الشرقية والجنوبية من الدولة الزيانية، ثم دخولهم فيما بعد إلى قلب المدن واختلاطهم بأهلها اختلاطا كليا بالمصاهرة[2]،ومن القبائل الهلالية التي أثرت على الحياة الاجتماعية بصفة عامة والعادات والتقاليد بصفة خاصة نذكر قبائل زغبة وبطونها[3]، وقبائل المعقل وأولاد سباع بن يحي من رياح، فبعد استيلاء يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) على المغرب الأوسط زحفت زغبة من أوطانها إلى المناطق التلية واستقروا فيها ووضعوا الإتاوة على الكثير من أهلها.[4]

ويستفاد مما ذكرته المصادر التاريخية أن القبائل الهلالية لعبت دورا كبيرا في تدعيم ومؤازرة بني عبد الواد في إقامة دولتهم، وربما لهذا السبب ومن باب رد الجميل أقطعهم السلطان يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) أراضي خصبة مقابل المساندة والمحالفة والطاعة[5]فأسكن بنو عامر مثلا بنواحي تلمسان ووهران وقربهم إليه فساندوه ضد الحفصيين والمرينيين[6]، وعمل بقية سلاطين الدولة الزيانية على إسكان القبائل العربية في محيط تلمسان وأهمها ذوي عبيد الله الذين سكنوا بين تلمسان ووجدة، وسكنت بعض القبائل داخل المدينة نفسها مثل فرع العاصم من الأثبج[7]،الذين دخلوا المدينة سنة 633هـ/1235م.[8]

---

[1] – حول التوزيع القبلي للهلاليين أنظر ملحق رقم 03.

2- من الأمثلة على ذلك مصاهرة الشيخ أبي سعيد للشيخ عامر بن إبراهيم بن حميد العامري سنة 750هـ /1349م . ابن خلدون: **العبر**، 52/7 ؛ وعمر بلوط: **فنادق مدينة تلمسان الزيانية –دراسة أثرية–**، ط1، الجزائر: مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2001م، ص64 ؛ وبسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص131.

3- من بطون زَغْبَة بنو عامر – بنو حُصين – بنو مالك – بنو يزيد . ابن خلدون : **العبر** ،121/7.

4- ابن خلدون :**العبر** ،40/6؛ وخالد بلعربي :"**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني 698-845هـ/1299-1442م**"، دورية كان التاريخية،ع4/ جويلية 2009م، ص19-29، ص127؛ ومبارك الميلي : **تاريخ الجزائر** ، 440/2.

5- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة** .مقدمة المحقق ص45 ؛ وخالد بلعربي :**الدولة الزيانية**، ص128.

6- ابن خلدون: **العبر** ، 51/6-52 ؛ وخالد بلعربي :**الدولة الزيانية**، ص29.

7- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة**، ص22.

8- ابن خلدون: **العبر**، 114/7 ؛ وبسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص147.

لا جدال أن التوطن الهلالي في الدولة الزيانية وبخاصة بنو عامر[1]كان لهم تأثير بالغ على حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل خاص، إذ استوطن الهلاليون المجالات الحضرية الزيانية وانسجموا مع السكان الزيانيين وبالتالي حدث نوع من التفاعل والتلاقح الاجتماعي، وبحكم أن الاحتفالات حدث اجتماعي وديني فقد تأثرت هي الأخرى بهذا التفاعل الحاصل.

سبقت الإشارة أنه عاش على أرض الدولة الزيانية العديد من القبائل منها من كان مواليا للسلطة ومنها من كان مناوئا لها[2]،فبنو حصين تغلب عليهم بنو زيان وأثقلوا كاهلهم بالضرائب لذا تحالفوا مع أعداء الزيانيين[3]،وذكر خالد بلعربي أن الزيانيين خاضوا حروبا عديدة مع العرب الهلالية بلغت لوحدها ما يزيد عن اثنان وسبعون على حد تعبيره[4]، ووصف ووصف ابن أبي زرع الفاسي الحملة التي قام بها السلطان المريني أبي يعقوب(685-706هـ/1286-1306م) على تلمسان سنة 670هـ، وقيام قبائل بني توجين التي كانت مناوئة للسلطة الزيانية باستغلال الفرصة، حيث راحت تعمل على تخريب جهات تلمسان فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار وخربوا الربوع وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم[5] إن الأعمال التخريبية التي قام بها الهلاليون أعطتنا صورة أوضح عما ألت إليه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي المناسبات الاحتفالية بالدولة الزيانية إذ لا يمكن تسجيل حضور احتفالات كما كانت عليه في ظل هكذا ظروف صعبة أضرت بمصالح

1- قبيلة بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوْزَان بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قيس بن عيلان.الدراجي بوزياني: "**بنو هلال وأحلافهم المنشأ والهجرة والاستقرار**"، المجلة الخلدونية (بسكرة)،ع9/جانفي 2011م، ص25.

2-ومن أهم القبائل بنو واسين – أولاد منديل – كُومِيَة – بني يَلُومي – بني مَانُو – بني تَغْرين – هُوَارَة – ازْدَاجَة – وبني وبني وَرْنيد – ووجْديجَنْ – وغيرها . عبد العزيز فيلالي : **تلمسان** ، 17/1.

3- ابن خلدون: **العبر** ، 43/6؛ وخالد بلعربي : **المجاعات** ،ص29.

4- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة** ، ص24 ؛ وخالد بلعربي :**المجاعات**، ص134.

5-ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 131-132.

الدولة وساكنتها، وإن وجدت فهي تخلو من مظاهر الأبهة والفخامة، بمعنى تخليهم عن العديد من العادات الاحتفالية، ومرد ذلك بتقديري إلى حالة الخوف أو العوز.

لكن هذه الأعمال التخريبية لم تستمر طويلا خاصة مع ما قام به السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307م-1318) اتجاه القبائل الهلالية إذ أخذ الرهن من المناطق الثائرة وأنزلهم بالقصبة، وأذن لهم في ابتناء المنازل واختط لهم المساجد ونفقت بها الأسواق والصنائع وفرض عليهم الضرائب[1]، الأمر الذي سهل عليهم خيارات الاندماج في منظومة المجتمع ومن ثم الاستقرار وبناء المدشر للالتجاء إليه من البرد وخطر اللصوص بالليل[2]، وبالتالي فإن هذا الاندماج شمل منظومة العادات والتقاليد بكل ماحوته من مظاهر احتفالية وما يصحبها من طقوس سواء دينية كانت كالمولد النبوي الشريف، أو المدنيةكالزواج والختان وغيرها وإن تشابهت في البيئتين، إلا أن الحضور الهلالي في عاداته الاحتفالية يمثل بالنسبة للخصوصية المغربية إضافة.

ثانيا: السلوكات الاحتفالية بين النخب والعامة

لا يمكننا الحديث عن ظاهرة العادات الاحتفالية في الدولة الزيانية دون التطرق لتقسيمات المجتمع الزياني الذي تباينت في تصنيف طبقاته بين من لها مكانة خاصة نظرا لدورها وبين من هي دونها وحسبنا في ذلك ما ذكره ابن خلدون(ت808هـ/ 1406م)في **مقدمته** إذ صنف طبقات العمران البشري نوعين "طبقات العمران البدوي" و"طبقات العمران الحضري"[3]وسنحاول من خلال هذا التقسيم تبيين كيف تعاملت كل طبقة مع الاحتفالات

1- محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984م، ص118.

2- الطاهر بونابي: "**ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية (قسنطينة)،ع 2011/12م، ص141-169، ص145؛ **وحركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط**، المجلة الخلدونية (بسكرة)، ع9/جانفي 2011م، ص ص56-73 ، ص61.

3- يوافق كل من عبد المجيد مزيان: **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية واجتماعية-**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص361 وعبد العزيز فيلالي: **تلمسان** ، 216/1 إلى 222 وخالد بلعربي: **الدولة الزيانية** ، ص109. على التقسيم الذي جاء به ابن خلدون.

الدينية والمدنية وما هي العادات والطقوس التي اتبعتها؟ وهل تشترك أو تختلف في هذه العادات؟

طبقات العمران البدوي وجلهم رحل القفار احترفوا الزراعة وتربية الإبل والماشية لذا فإن احتفالاتهم بسيطة بساطة حياتهم اليومية، أما طبقات العمران الحضري فكانوا يعيشون حياة راقية.

وهناك طبقات لها صلة بالإقطاعية السلطانية، وهي طبقات غنية وربما أمكننا إدراج بعض الفقهاء ضمن هذه الفئة وكبار التجار والمُتَمَوِّلون[1] وأهل السلطان وهم بطانته وأهل عصبيته مثل الأمراء والولاة وقادة الجيوش، والذين كانت لهم الأولوية والسبق والمكانة الرفيعة في الاحتفالات التي كانت تقام بالقصر السلطاني في المشور.

يستفاد مما ذكره أبو حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م)[2]في كتابه أن المجتمع كان مقسما إلى فئات بدءا بالشرفاء ثم الفقهاء وأشياخ البلد، والجند والقراء والزعماء وكان إذا جلس لاستقبال الفئات الاجتماعية في احتفالاته يعقب أهل الحرف بعد الأشراف والفقهاء.[3]

لا جدال أن الأسرة الحاكمة أي البيت العبدوادي كان يتمتع بمكانة السيادة والرئاسة في المجتمع[4]، ثم يليهم القضاة والفقهاء بوصفهم فئة اجتماعية قريبة من السلطة، ينافسهم فيها الأولياء بوجودهم وهيبتهم وتأثيرهم على أوساط الحكم والرعية، ويودون أن لا يتقاضى الأولياء مع السلطة ويبقون على انقباضهم وسكوتهم[5]، إن هذه التراتبية الاجتماعية هي المعمول بها في الاستعراضات والاحتفالات الزيانية وفي هذا الصدد يقول أبو حمو الثاني عن ترتيب الناس أثناء جلوسهم في الاحتفالات، ويؤكد في وصيته لابنه قوله: «فيكون

1- المَمْتُوِلاَت من التَمَول وهو المستوى المعيشي الأعلى من الادخار في عصر ابن خلدون. عبد المجيد مزيان : **النظريات الاقتصادية**، ص338.

2- **واسطة السلوك:** ص86-87.

3- الطاهر بونابي: **الحرف والحرفيون**، ص3.

4 - خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص292.

5 - عبد العزيز فيلالي: **الزاوية الملارية**،ص121.

الشرفاء عندك أرفع الناس في الترتيب لأنهم أشرفهم في الحسب وأعلاهم في النسب، ثم الفقهاء لأنهم مصابيح الدين وبهم اقتداء المسلمين بهم تقام الشرائع وتسد الذرائع وتعتصم بهم الأهوال والبدع، ثم أشياخ البلد والأمناء والوجوه والفضلاء والضابطين لجموعهم الرابطين لمتبوعيهم مثل أهل التجارات وأهل الحرف...فتنزل كل جماعة منزلتها وترتبها في طبقتها... فربما تدعوك الضرورة إلى الانتفاع بهم في الشدائد».[1]

والملاحظ أن السلطة التي شكلها الولي على الأمير في الواقع ما هي إلا مظهر من مظاهر السيطرة الكاريزماتية التي أصبح الولي يمارسها في المجتمع وخاصة في علاقته بالسلطة، والتي يمكن أن نعتبرها علاقة جدلية وتنافس وتعاون في نفس الوقت[2]، فنفوذ الأولياء ومكانته هي التي دفعت الناس لتقربهم من السلطة لما كانوا يعتقدون في كرامات هؤلاء، وهو ما ساعد على تركيز سلطتهم بين الناس من خلال تنفيذ رغباتهم وتجسيد طلباتهم وإقرار حرمة الزاوية واحترامهم لها[3]،وأن السلطان الزياني كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشوره من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة[4]، ومن بين طبقات العامة نجد الفلاحين وأصحاب الماشية، المزارعون، الصناع، صغار التجار والعبيد[5]«**وأما العامة** والدهماء فتسلك بهم طريقة واحدة يقفون عندها ولا يتعدون حدها وتجريهم على ما تعودوا من السير الحميدة والموالاة المجيدة، ثم لا تتركهم لأغراضهم الفاسدة وعقولهم التي هي عن الصواب شاردة فإن العامة مجبولة على الفساد وعلى أتباع الأهواء وقلة السداد لأن العامة في الغالب عليها الشرار والهرج والاضطرار فإن

1- أبو حمو موسى: **واسطة السلوك**، ص152.

2- عبد العزيز فيلالي: **الزاوية الملارية**، ص113.

3- **نفسه**، ص113؛ ونيللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع- مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لافريقية في العهد الحفصي**، منوبة- تونس: منشورات كلية الآداب،(د.ت)، ص33.

4- التنسي، **نظم الدر**،ص27.

5 - خالد بلعربي: **الدولة الزيانية** ، ص 289-290.

العامة إذا قدرت أن تقول قدرت أن تصول»[1]بينما يجلس عامة الناس فوق البسط المفروشة ويتسامرون بأصوات خافتة احتراما لروعة الموقف وهيبة السلطان.[2]

الاحتفال بالمولد النبوي في قصر المشور(مجتمع الخاصة):

عشية ذكرى المولد النبوي في كل عام، يفتح قصر المشور أبوابه لاستقبال أقارب السلطان من بني عبد الواد وكبار رجالات الدولة، وعلية القوم من سكان المدينة الذين يفدون إلى القصر فيقصدون القاعة الشرفية الفخمة لإحياء هذه المناسبة المباركة...وكانت حاشية السلطان تتربع على الأرائك المصفوفة على طول الحائط المقابل للمنغانة، بينما يجلس السلطان على كرسي العرش يشرف على الجميع من عل، ويجلس زعماء القبيلة وكبار شخصيات المملكة على جانبي العرش الملكي كل حسب مقامه ومرتبته... يطوف السقاة بين الصفوف وهم يرتدون ثيابا من حرير مزركش، وبأيديهم مباخر يتصاعد منها دخان معطر وينشرون ماء الورد على رؤوس الحاضرين المستغرقين في الاستماع لقصائد المديح التي تتلى بهذه المناسبة[3]، هذا عن أبهة الاستعراض السلطاني أما العامة فهناك حديث آخر.

إن الحديث عن العامة يقودنا للحديث عن مختلف الفئات الاجتماعية التي تعيش في كنف الدولة، وبخاصة اليهود والنصارى والأندلسيون وغيرهم ممن اندمجوا في المجتمع الزياني وكانت لهم طقوسهم الاحتفالية وأسهموا في خلق نمط معين من الاحتفالات تزاوجت فيه العادات الإسلامية ببعض العادات الوافدة، امتزجت هذه العناصر فيما بينها لتخلق نمطا جديدا من الاحتفال ما لبث أن صار عرفا وعادة متعارف عليها.

وكانت أي مناسبة للاحتفال في المجتمع الزياني هي فرصة لخلق جو من البهجة والفرجة في بقية الأوساط على اختلاف توجهاتهم، وكان العامة يحتفلون بالأعياد الدينية أو

---

1 – أبو حمو موسى :**واسطة السلوك**،ص152.

2–Georges Marcais**Tlemcenvielle et Dhistoir**, Paris: edition laurens collection, P83-85 ,1950؛ جيلالي صاري: **تلمسان الزيانية**، ص113.

3–Marcais Georges, ipid, P83-85 ؛ جيلالي صاري: **تلمسان الزيانية**، ص113

الأسرية أو مناسبات عامة رسمية، تحددها الظروف السياسية للدولة من انتصارات في الحروب أو استعراضات للجيوش بل تعداها الأمر إلى خلق وابتكار أعياد واحتفالات لم تكن موجودة قبلا، فمثلا هناك احتفال أدخله الأندلسيون إلى المغرب الأوسط الزياني خاص بموسم صباغة الحرير وفيه كانوا يخرجون لجمع القرمز ويقيمون خيامهم في بطون الأودية والحقول ويصطحبون معهم آلاتهم الموسيقية ويقضون أوقاتهم في الغناء والرقص[1]، كما احتفلوا بمواسم جني محصول العنب وعرف هذا الاحتفال بعيد العصر وساده جو من الرقص والغناء والفرح والسرور، كما شهدت احتفالات الأندلسيين مجالس اللهو والطرب والتي صحبها النفخ على البوق والضرب على العود واحتساء وشرب المصطيار (عصير العنب قبل طبخه أو تخمره).[2]

منذ وقت طويل ظل الاحتفال بالمولد النبوي من الثوابت الأساسية التي طبعت المجتمع الزياني، وتعددت مظاهر ذلك الاحتفال الديني بين الرسمي الذي أشرف عليه السلاطين الزيانيين، وبين الاحتفالات الشعبية المتمثلة في شعائر الزوايا وإقامة المواسم والمواكب واحتفالات الأسر بمختلف المدن الزيانية، وإن كانت الاحتفالات السلطانية والأسرية تحكمت فيها مظاهر الالتزام الديني والذكر النبوي واجتماع الأسر وزيارة الأقارب، فإن احتفالات الطرق الصوفية والمواسم طغى عليها البعد الروحاني والفولكلوري وامتزجت فيها الخرافة بالسحر، والدين بالشعوذة، وتم تغليف المقدس بالمدنس،خاصة وأن الطرق الصوفية في الدولة الزيانية سيطرت وبشكل جلي على كل مظاهر الحياة وتفاعلت مع ثقافة المجتمع الزياني وتجاربه التاريخية، مما جعلها تكون ثقافة خاصة ظهرت من خلال التمثلات الفردية والجماعية في الطقوس والممارسات الاحتفالية، عبر مؤسسة الزاوية التي أصبحت مكان مقدس لإقامة الاحتفال عند الزيانيين، وهو ما سنتطرق إليه في المبحث الرابع من الفصل الرابع من هذه الدراسة.

1- المقري: **نفح الطيب**، 172/1.

2 - كمال السيد: **جوانب من الحياة**، ص45-46.

لقد سبقت الإشارة إلى أن الفضل في سن عادة الاحتفال بالمولد النبوي بالمغرب الإسلامي إلى القاضي أحمد أبو العباس السبتي في القرن السابع الهجري(ت633هـ/1235م) والذي دعا ابنه والي سبتة إلى إقامة احتفال بالمناسبة لردع التأثير المسيحي، بعدما عاين مشاركة المسلمين للمسيحيين في تخليد ذكرى مولد عيسى عليه السلام، وشرع في تأليف كتاب وسمه ب"الدرر المنظم في مولد النبي المعظم" لم يكتب له النصيب أن يتمه بعدما وافته المنية، فعكف ابنه على تتمة فصوله وتقديمه هدية لسلطان المغرب عصرئذ عمر المرتضى الموحدي (ت665هـ) ورجاه بالاحتفال بالمناسبة، فما كان من الخليفة إلا الاستجابة لهذا الطلب، وأمر رعيته بتخليد الذكرى بمراسيم احتفالية محددة، ودأب على هذه الحال خلال مرحلة حكمه، ثم سار السلاطين الذين أعقبوه على هذا المنوال، وانتقل من عندهم إلى سلاطين بني زيان الذين أولوه عناية خاصة ولا زال هذا الاهتمام يومنا هذا.[1]

وتشير بعض المصادر إلى أن السلاطين الزيانيين كانوا ينظمون مسابقة للشعراء يتنافسون في قرض أبلغ القصائد في مدح الرسولﷺ وأطلق على تلك القصائد المولديات، ودأب السلاطين الزيانيين على تخليد ذكرى المولد واعتبارها مناسبة دينية شريفة في ليلتها يترأس السلطان حفلا دينيا كبيرا يتخلله السماع الصوفي وقراءة مقاطع من خيرة ما جادت به قريحة الشعراء في وصف خير البشرية كبردة وهمزية البصيري وغيرها، في هذا الحفل يجلس السلطان على سدة ذات لون أخضر يرمز للطهارة والصفاء، وقد استمد قداسته من لون الحناء التي يقال أنها من نبات الجنة، بينما تتصاعد من مجامر الأبخرة المتعددة سحابة عطرة تفوح روائحها في فضاء الاحتفال للتطهير الأجواء.

احتفالات العامة بالمولد النبوي:

انطلاقا من تعلق الزيانيين بدين الإسلام وتصديقهم بالرسول الحبيب أَلِفوا تخليد ذكرى مولده بطقوس تختلف من منطقة إلى أخرى، معتبرين الثاني عشر من ربيع الأول عيدا

1 – عباس الجراري: **الأدب المغربي، 143/1**. ورد التفصيل حول أسباب مبادرته بهذا الاحتفال في الهامش 6 ص18 من هذا البحث.

رسميا لا يجوز الاشتغال فيه، فتراهم يستعدون لقدومه بأيام من خلال كنس الدور وطلاء الجدران واقتناء الطعام، وتتنافس النساء في إعداد الحلويات من مختلف الأشكال والأذواق بل هناك من يسارع لشراء ملابس جديدة للأطفال والأهل حتى صارت مظهرا من مظاهر التباهي بين الأسر.

وجرت العادة ببعض المناطق بالمغرب الأوسط أن يبدأ الاحتفال منذ حلول مغرب ليلة العيد حيت تتداخل أهازيج الفرحة بتراتيل الأذكار والأدعية، إذ يجتمع الرجال بالمساجد لتلاوة بعض سور القرآن والتذكير بالسيرة النبوية واستحضار قصائد البردة والهمزية وقصائد القاضي عياض وغيرها وكان يستمر الاحتفال إلى غاية الفجر، بينما كانت النسوة تجتمعن بإحدى الدور وبعد تذكير إحداهن بخصال النبيﷺ وبعضٍ من ملامح سيرته ثم يشرعن في الإنشاد والذكر بشكل جماعي وباستعمال آلات موسيقية كالبنادير والتعاريج وغيرها.[1]

ثالثا: موقف الفقهاء من بعض العادات الاحتفالية

أثير جدل كبير بين الفقهاء فيما يتعلق بالعديد من المناسبات والعادات الاحتفالية بين منكر لها ومن اعتبرها بدعة ومن استحسنها، وذلك لما وقع فيها من الإفراط والتفريط، وإذا نظرت إلى شريعة الإسلام وأحداثها عامة وخاصة، تجد المناسبات أو الأعياد على قسمين: مناسبة معتبرة عني بها الشرع لما فيها من عظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام والأجيال وتعود على الفرد والجماعة بالتزود منها، ومناسبة لم تعتبر، إما لاقتصارها في ذاتها، أو عدم استطاعة الأفراد مسايرتها.

وبما أن الإسلام هو الاستسلام لله وأداء ما تقتضيه طاعته من عبادات، فإنه يرتبط بأعمال ظاهرة مكشوفة قد تعتريها بعض الممارسات التي سرعان ما تتحول إلى طقوس ربما تتجاوز العبادات، لتنعكس على كثير من العادات الاجتماعية التي تتحول إلى تقاليد لا تلبث

1 – أنظر محمد أديوان: **الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)**، الرباط: مطبعة سلمى، 2002م، ص 116 وما بعدها.

مع مرور الزمن أن تكتسي شيئا من القداسة، حتى حين تحيد عن الجادة وتبتعد قليلاً أو كثيراً عن متطلبات الدين الصحيح وتعد من البدع المستنكرة.

وبناء عليه أقول أن البحث عن موقف الفقهاء من العادات الاحتفالية في العهد الزياني يتطلب الاعتماد على المصادر التي تناولت الحياة اليومية في المنطقة، وهي عملية صعبة جدا ومن هنا يفرض العمل العودة إلى نوع مغمور من المصادر، وهي مصادر التشريع والمؤلفات القانونية التي تعرف في العالم الإسلامي بكتب النوازل أو الفتاوى، وهي أساسا عبارة عن آراء فقهاء الفترة موضوع البحث، والتي سنعالجها في القضايا المطروحة عليهم من أجل إبداء الحكم الشرعي فيها،بمعنى أن مادة التاريخ الاجتماعي في المغرب الإسلامي وبالأخص الدولة الزيانية"تحتضنها وتتضمنها مؤلفات الفقهاء سواء كانت"**كتب أحكام** "أو" **كتب نوازل** "التي تعالج في مجموعها العام أحكام الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء والنخبة العلمية في حل القضايا الدينية والاجتماعية اليومية على تنوعها واختلافها.

إن مواقف الفقهاء من بعض العادات الاحتفالية في المجتمع الزياني، كانت تهدف إلى بناء نظام حياتي يتطلب الالتزام والانقياد والخضوع إلى قواعد وأسس دينية، تؤدي بدورها إلى وظائف اجتماعية ونفسية وضبط السلوك والأخلاق والقيم في المجتمع، خاصة في ظل رصد العديد من الممارسات التي شاعت لدى مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية والتي تكشف عن اجتياح العقلية الخرافية لجميعها وافتقارها لأي وازع نقدي، مما أثار ارتياب العلماء والفقهاء وقرب وجهات نظرهم حول ما اعتبروه أنه انزياح عن الدين وخروج عن الشرع والسنة، وفي المجمل فإن بعض العادات الاحتفالية لا تنال رضى الفقهاء لكنها حاضرة وبقوة في المخيال الاجتماعي لسكان المغرب الأوسط، وبعد التعرف على محتويات تلك الممارسات الاحتفالية وحول مخزونها الرمزي حري بنا الآن استعراض مواقف الفقهاء اتجاهها، والتي انصبت في مجملها في اتجاهين رئيسين مؤيد[1] ومعارض[2].

1- مثل ابن عمار في مؤلفه: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، الجزائر: مطبعة فونتانة، 1904م، ص92-93.
2- مثل الونشريسي في: **المعيار**،280/11.

موقف الفقهاء من الاحتفال بمولد النبي ﷺ:احتفل الناس في الدولة الزيانية بالمولد النبوي كل عام كباقي دول المغرب الإسلامي، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاحتفال لم يكن موجودا في القرون الأولى للإسلام وإنما أحدثه الفاطميون في القرن الرابع للهجرة /العاشر للميلاد، ويمكن القول أن الناس افترقوا في هذا الأمر إلى فريقين: فريق ينكره وينكر على من يفعله، لعدم فعل السلف إياه ولا مجيء أثر في ذلك، ومن المنكرين كما سبق الذكر الونشريسي في معياره ، وفريق يراه جائزاً لعدم النهي عنه، ولكل حجته في هذا، ولا أنسى هنا أن التأثير المريني كان واضحا.

تبنى فقهاء تلمسان مبادرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ومنهم الفقيه المتصوف أبي الحسن التنسي الذي خرج من تلمسان في سفارة لأبي يعقوب يوسف أيام حصاره لتلمسان، وحضر الاحتفال بالمولد النبوي وباليوم السابع منه بناء على رغبة السلطان.[1]

وهناك الفقيه أبو موسى بن الإمام وهو من كبار فقهاء ومدرسي تلمسان وممن دخل في خدمة أبي الحسن المريني، فهو ممن استحسن مبادرة أبي العباس العزفي وابنه أبي القاسم ردا على من أنكروا ذلك من فقهاء المغرب.[2]

الفقيه ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)، تحدث بإعجاب حول عناية أبي الحسن المريني الشديدة بالمولد النبوي، فهو من المؤيدين والمدافعين عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ويكفي دليلا عنوان مصنفه «**جنى الجنتين في شرف الليلتين**»ويقصد بهما ليلة القدر وليلة المولد النبوي.[3]

والاحتفال بالمولد وما يحدثه بعض الناس بهذا الموسم فهو إما مضاهاة للنصارى في عيد ميلاد المسيح، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، ويحتج منكري هذا الاحتفال ممن يقولون بعدم جوازه واعتباره من البدع المحرمة شرعا لحديث النبي ﷺ: من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد "وقوله:كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

1- صابرة خطيف: **فقهاء تلمسان**، ص234.

2-**نفسه**، ص234.

3- **المسند الصحيح**، ص 152، 154.

بالإضافة إلى وجود اختلاف في تاريخ مولده ﷺإذ لا يستطيع أحد أن يجزم بأن مولد الرسول عليه الصلاة والسلام في الثاني عشر من ربيع أول، فقد كان العرب يؤرخون بالحوادث، والثابت أن النبي ﷺولد يوم الاثنين من ربيع أول عام الفيل، ولكن تاريخ ولادته عليه السلام مختلف فيه والموثوق فيه والمؤكد هو تاريخ وفاته في الثاني عشر من ربيع أول، لأن المذاهب المخالفة للسنة النبوية هي من ابتدعت الاحتفال بالمولد النبوي أو بالأحرى الاحتفال بوفاته لكراهتهم في السنة النبوية الشريفة.

وكثير من الزيانيين يحتفلون بالمولد النبوي تأثرا بتقليد النصارى في احتفالاتهم بمولد المسيح عليه السلام، ثم بدأت فرق أخرى كالصوفية تتبنى هذا الاحتفال، وبخلاف المعتقدات الباطلة التي تبنوها فإن مجالسهم لا تخلو من محرمات، كاستخدام المعازف واختلاط الرجال بالنساء، كل هذا بدعوى تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام والتعظيم وما يكون بإتباع سنته واجتناب ما نهى عنه.

وهناك فريق آخر يجيز الاحتفال بالمولد النبوي بصورة مقبولة أو محافظة كمجرد ذكرى طيبة في شهر ربيع الأول، يتم فيها دراسة سيرة النبي الكريم ﷺوالتقرب إلى الله تعالى ببعض الطاعات ومنها صوم ذلك اليوم، دون تشجيع على الاحتفالات المنكرة التي يتم فيها ارتكاب بعض المخالفات، من مدح مبالغ فيه للنبي ﷺ، ورفعه فوق منزلة العبودية أو النبوة، ومن وقوع الاختلاط المذموم والمنكرات، والرقص واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك من مظاهر صارت مشهورة ومعروفة تقام كل عام، وأجازوا اتخاذه يوم شكر وعبادة وصلاة على النبي المعدة من القربات المشروعة في جميع الأوقات،[1]وبعض أصحاب هذا الاتجاه يستدل بحديث الرسول ﷺإجابة لمن سأله عن صيام يوم الاثنين فقال:"ذلك يوم ولدت فيه وأحب أن أبعث فيه".

تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من البدع توارثتها الأجيال حتى أصبحت عادة وكانت أحيانا أقوى من العبادة، ذلك أن العادة هي ناظمة الحس فهي سبب الاستمرار في أفعال

1- الونشريسي: **المعيار**، 280/11؛ ابن مرزوق: **المسند**، ص 153، 154.

الإنسان وهي ناظمة حياة الفرد وهي دعامة الحياة الاجتماعية أيضا والأمر الشاق في حياة الأمة هو أن تبتدع لنفسها عادات اجتماعية وألا تصمد إزاء هذه العادات[1]، حيث أنه على الرغم من إيضاح علماء الدين والأئمة في المساجد والدعاة أن الاحتفالات ما هي إلا بدع ومنكرات ربما يشكو في أحاديثهم بسبب تراكم العادة على الاحتفال لديهم من جيل إلى جيل، وأضاف أن هذه العادات من الصعوبة محاربتها خاصة عند الجُهّال.

لو كان في الاحتفال خيراً لما قال الرسول ﷺ:"لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ"، ورغم موافقة بعض علماء تلمسان على احتفالات المولد النبوي وتفضيل هذه الليلة على ليلة القدر، كما ذهب إلى ذلك الخطيب ابن مرزوق (ت781هـ/1379م)، فإن علماء آخرين عارضوا بعض السلوكات المصاحبة لهذه الاحتفالات واعتبر المفتي أحمد الونشريسي (ت917هـ/1508م) اتخاذ الطعام مخصوص من المولد النبوي في بعض الاحتفالات بدعة من البدع، وأنكر اجتماع النساء والرجال به[2] .

أما عن موقف الفقه من الاحتفال بالولادة والعقيقة وما يصاحبه من طقوس وعادات فقد أجازوه واستحبوا البشارة بالمولود الجديد لقوله تعالى: «فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب»[3]وقوله: «إن الله يبشرك بيحي»[4] بالإضافة إلى ما سبق فقد استحبوا تحنيكه عندما يولد والتحنيك مضغ تمرة ثم يدلك بها حنك المولود لما في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺفسماه إبراهيم وحنكه بتمرة»، أما عن موقف الفقهاء من الاحتفال بإقامة العقيقة للمولود فإنهم استدلوا بقول الإمام مالك بوجوبها

1 – غوستاف لوبون: **الآراء والمعتقدات**، ترجمة: عادل زعيتر، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: مصر، 2014م، ص30.

2 - الونشريسي : **المعيار**،280/11

3 – سورة هود الآية 71.

4 – سورة آل عمران 39 الآية.

واستحباب العمل بها كما بين شروط الشاة التي يعق بها[1] لذا نجد أن الزيانيين تنافسوا في إقامتها احتفالا منهم بمواليدهم ذكرانا كانوا أو إناث.

ولما كان الختان من سنن الفطرة لقوله ﷺ: «الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط»[2] ولقوله ﷺللرجل الذي أتاه فقال: «قد أسلمت يا رسول الله قال ﷺألق عنك شعر الكفر واختتن»[3] فإن الزيانيين كغيرهم من المسلمين كانوا يختتون أبنائهم ويقيمون لهذا الحدث احتفالات باهرة، وهناك من كان يبالغ فيها خاصة من الطبقة الخاصة والسلاطين الزيانيين وكانت تصرف أموال جمة ويستدعى المغنون وهو ما أنكره بعض الفقهاء لكن هناك منهم من حضر لمثل هذه الاحتفالات.

موقف الفقه من الاحتفال بالزواج والذي اعتبر رمزا للتعفف وتجنب الوقوع في الرذيلة لذا نظر المجتمع إلى رافضيه نظرة ريب وشك في أخلاقهم وسلوكياتهم ورأى أحد المتصوفة أن الزواج يذهب الفقر،ولاشتمال حفلات الزواج على الكثير من المناكر والمفاسد فإن الفقهاء قد دعوا إلى تجنب الحضور في مثل هذه الحفلات، ويذكر الونشريسي لنا صفة العرس قائلا: «صفة العرس أن يحضر المزامير...فيجتمع مع الفساق ويخرجوا لهم إلى موضع واسع فيجلبون الخمر ويشربونها، وإن كان الليل يحضرون النساء والزواني مختلطات معهم، وتجمع أهل الموضع الرجال معهم النساء فوق أسقاف الديار وعلى الجدران والطرق».[4]

ولأن الناس استعملوا الغناء والموسيقى في إقامة أفراحهم واحتفالاتهم، فإن الفقهاء نددوا بهذه الظاهرة وانتشارها بالدولة الزيانية، ويؤكد لنا هذا الطرح تنديد العقباني «باجتماع

1- قال الإمام مالك: «الأمر عندنا في العقيقة أن من عق فإنما يعق عن ولده بشاة شاة الذكور والإناث وليست العقيقة واجبة ولكنها يستحب العمل بها وهي من الأمر الذي لم يزل عليه الناس عندنا فمن عق عن ولده فإنما هي بمنزلة النسك والضحايا لا يجوز فيها عوراء ولا عجفاء ولا مكسورة ولا مريضة ولا يباع من لحمها شيء ولا جلدها ويكسر عظامها» **الموطأ**، ص307.

2 – متفق عليه.

3 – رواه أبو داود وإسناده حسن.

4 – الونشريسي: **المعيار**، 251/3.

النساء على احتفال أو تزيين فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهن ويطربهن»[1] وفي تنديده أيضا «باجتماعهن للملاهي والرقص»[2] وفي «منع استعمال البوق والعود».[3]

ومن الجلي أن المجتمع التلمساني لم يذعن لآراء الفقهاء المالكية المتشددة ضد بعض الأنواع من الموسيقى، فكونه قد استقبل الموسيقى الواردة من الأندلس وأصحابها المهاجرين من هناك وأواها ثم حافظ عليها عبر القرون لدليل على تمكنها في حضارة المغرب الأوسط في عهد بني زيان.[4]

أما عن بعض العادات الاحتفالية والطقوس التي كان يحييها المجتمع الزياني بحكم تجاوره وتعايشه مع غيره من غير المسلمين كاليهود والنصارى وغيرهم ومشاركتهم احتفالاتهم، فقد كان موقف فقهاء الدولة الزيانية مبنيا على رأي علماء وفقهاء المذهب المالكي الذين سبقوهم بما فيهم الإمام مالك، واحتجوا بمجموعة من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لتوضيح موقفهم والحكم من مشاركة المشركين من يهود ونصارى و غيرهم في أعيادهم أو إتباع بعض عاداتهم الاحتفالية،وأول هذه النصوص قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾[5]، أما أول الآراء الفقهية فهو موقف إمام دار الهجرة مالك بن أنس والذي قال عنه عبد الملك بن حبيب المالكي رحمه الله: «وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني في عيده مكافأة له ورآه من تعظيم عيده، وعونًا له على كفره، ألا ترى أنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا من النصارى شيئًا من مصلحة عيدهم، لا لحمًا، ولا أدمًا، ولا ثوبًا، ولا يُعَارُون دابة، ولا يُعَاوَنُون على شيء من عيدهم، لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني العقباني (ت871هـ/1467م): **كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، نشر بولتان للدراسات الاستشراقية:المعهد الفرنسي بدمشق: , 1967، ص77.

2 – نفسه، ص72.

3 – نفسه، ص99.

4 – محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**، ص86.

5 – المائدة 51

للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك ، وهو قول الإمام مالك وغيره لم أعلم أنه أُختلِفَ فيه، وأكل ذبائح أعيادهم داخل في هذا الذي اجتمع على كراهيته»[1] يتضح لنا من خلال هذا النص أن الموقف واضح وصريح وجمع بين الكراهة والتحريم في قوله: وكره وقوله لا يحل وهو ما أعتبر أمرا زاجرا لكل متبع ومقلد لعادات اليهود والنصارى في احتفالاتهم.

موقف الإمام عبد الرحمن ابن القاسم العتقي صاحب مالك المتوفى عام 192هـ قال: «من ذبح بطيخة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيرا»، وسئل القاضي أبو عبد الله بن الأزرق الغرناطي المتوفى سنة 895هـ عن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم يسمونه عيد الفطر، ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين، فهل يجوز قبولها منهم وأكلها أم لا ؟ فأجاب: قبول هدية الكافر منهي عنه على الإطلاق نهي كراهة.[2]

أما موقف القاضي أبو الوليد محمد ابن رشد المعروف بابن رشد الجد (ت520هـ/1122م) منع اللعب والملاعب المصنوعة في أعياد المشركين والتجارة فيها، حيث قال: «لا يحل عمل شيء من هذه الصور، ولا يجوز بيعها ولا التجارة بها والواجب أن يمنعوا من ذلك وبالله التوفيق» وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني في عيده مكافأة ورأى من تعظيم عيده عونا له على كفره، كما لا يجوز التشبه بالكفار في الأعياد لا يعان المسلم المتشبه بهم في ذلك بل ينهى عن ذلك فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تجب دعوته، ومن أهدى المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات غير هذا العيد لم تقبل هديته خصوصا إن كانت الهدية مما يستعان بها على التشبه بهم مثل إهداء الشمع ونحوه في عيد الميلاد.[3]

وفي نفس السياق أجمع الفقهاء المالكية قبل وخلال العهد الزياني على أن التشبه بالنصارى واليهود في أعيادهم يتعدى أحيانا درجة الكراهة ليدخل في باب التحريم، كشراء اللعب في عيد النيروز والذي يمثل أول يوم من السنة الشمسية الفارسية والتي كان يعد لها

1 – ابن القيم: **أحكام أهل الذمة** (1250/3).

2 – الونشريسي: **المعيار**،111/11.

3– **نفسه**، 70/6.

الأندلسيون أنواعا عديدة ولذيذة من الحلويات، وشاركهم فيها الزيانيون كما قام الكثير من الآباء بشراء أنواع من اللعب لأطفالهم في هذا العيد، وتمثلت هذه اللعب في بعض التماثيل والصور، إلا أن الفقهاء نهو الآباء عن شراء مثل هذه اللعب لأبنائهم وأباحوا لهم بعض اللعب كالدوامات والزرابيط.[1]

لقد طرح الوجود اليهودي داخل المجتمع الزياني العديد من المسائل الفقهية خاصة المتعلقة بحياتهم الاجتماعية في اللباس والمسكن والمركوب وفي أداء الطقوس الدينية[2]والأعياد والاحتفالات، فقد أقام اليهود عيد العنصرة ويمثل هذا العيد الأسابيع التي أنزل الله تعالى فيها على بني إسرائيل الفرائض المتضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى عليه السلام، والاسم العبري لهذا العيد هو عشرتا ويعني الاجتماع،وكذلك الأمر بالنسبة إلى موقف الفقهاء من أعياد النصارى والتي شارك فيها المسلمون كاحتفال دانتيسا وهو احتفال يقام عندما تبدأ أسنان الطفل في الظهور[3]،كما كان بلوغ الطفل سن السابعة من عمره مناسبة استدعت الاحتفال عند النصارى، فكان الأب يقيم وليمة يدعوا إليها الأهل والأقارب والأصدقاء إلى داره.[4]

وخلاصة لما سبق فإنه يمكنني القول أنه لم يخلُ زمن من الأزمنة عبر تاريخ الدولة الزيانية إلا وسجل جهودا ودعوات لمحاربة واستئصال العادات الاحتفالية والمعتقدات الفاسدة والطقوس الوثنية التي لا تمت للإسلام بأي صلة، والتي تعود في مجملها إلى عصر ما قبل الإسلام، وتجدر الإشارة إلى الجهود والمواقف الأولى لعلماء المذهب المالكي الأوائل من أمثال الإمام القرطبي الذي حرم البناء على القبور واتخاذها مساجد، كما ذهب الحافظ ابن عبد البر أشهر علماء المالكية بالمغرب إلى استقصاء جهود المالكية المغاربة في إبطال اتخاذ القبور مساجد وقبابا أكثر من أن تحصي، والإمام أبو الوليد ابن رشد الذي كان يفتي

1 – الإمام مالك: **الموطأ**، ص 586.

2– المجيلدي :**كتاب التيسير**، ص32.

3 – إبراهيم القادري بوتشيش: **جوانب**، ص114.

4 – كمال السيد، **دراسات أندلسية**، ص18

بوجوب هدم القباب والسقائف المبنية على القبور والروضات، كما يسجل التاريخ موقف العلامة المكي الناصري الذي تأسف على مظاهر عبادة الأولياء والصالحين وغيرهم، ذامًّا بعض ما يحدث عند تلك المشاهد والمقامات من ذبح لغير الله ونذر للقبور وتزويق وتجميل للأضرحة وتبرك بترابها وأثوابها.

رابعا: موقف المدرسة الفرنسية من مظاهر الاحتفال بالمغرب الأوسط

لاحظ البعض من الأكاديميين والمؤرخيين على رأسهم الأستاذ الباحث عبد العزيز فيلالي مظاهر التطرف وغياب الموضوعية في كل ما أنجزه رواد المدرسة التاريخية الفرنسية في معظم مصنفاتهم حول تاريخ الجزائر في عصورها المختلفة، فوصفها بالعنصرية والتطرف والابتعاد عن الموضوعية أكثر من غيرها، وبلاد المغرب الكبير على وجه العموم، باعتمادها على مصادر يونانية ورومانية وبيزنطية وهي عناصر كان بعضها محتلا لهذه الربوع ومستغلا لشعوبها، بحيث نظر مؤرخو هذه العناصر إلى بلاد المغرب وأهله نظرة تتسم بالكثير من التشويه والتحامل يريدون بذلك أن يؤثروا على مجرى الأحداث والتطورات ويغيروها عن طريق خلق نظريات وفروضات عديدة تتصل بتاريخ بلاد المغرب القديم.[1]

لذا يمكن القول أن موقف عبد العزيز فيلالي وغيره من المؤرخين الجزائريين الذين يشاطرونه الرأي، جاء انطلاقا من اطلاعه على ما جاء في كتب القدماء وموقفهم من أهل المغرب، إذ ورد في وصف لأهل المغرب عند المؤرخ بوروكوب بأنهم أناس غير متحضرين يجسدون في رأيه كل مظاهر التخلف والهمجية، ولا يوجد منهم من يخشى الله ولا يحترم الإنسان والإنسانية ولا من يولي أي اعتبار للمعتقدات الدينية، ولهذا كما يشير بوروكوب لا يمكن أن نحافظ على السلم والأمن معهم ولا يمكن اعتبارهم من سلالة البشر، كما وصفهم بأنهم يحبون بطبعهم الفوضى.[2]

---

1 – عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**، ص11.

2 – نفسه، ص11؛ عبد الله العروي : **مجمل تاريخ المغرب**، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: المغرب، 1996م، ص124، 133.

ويرى عبد العزيز فيلالي أن المدرسة التاريخية الفرنسية لم تتورع في التحامل على المجتمع المغربي في عصوره المختلفة، بأحكام ظالمة مليئة بالقرارات الخاطئة التي بنتها على افتراضات وتخمينات اختلقتها للتنكر لحضارتهم والتجني على أعلامهم وثقافتهم وطبائعهم وتزوير حقائقهم وتزييف أخبارهم، ليس بالاعتماد على أمهات المصادر الأساسية والسند التاريخي الحقيقي، وإنما على الأفكار الواهية والانطباعات المغرضة والتأويلات الخالية من الصحة بالرغم من محاولاتها الاحتفاظ بالمظهر الأكاديمي في كتاباتها وتدوينها، إلا أنها كانت تخفي في كثير من الأحيان دوافع كامنة للسيطرة والهيمنة على السكان المحليين الأصليين[1]، وكان المؤرخون يبحثون عن نقاط الضعف في المجتمع المغربي ويتصيدون مواقع الزلل فيه، وإذا لم يجدوها اختلقوها فسعوا إلى تزييف الخبر وتشويه الأثر فاغتيال الحقائق وقتل الفضائل لا تقل جرما عن قتل البشر ووأد الخلائق[2]، وانطلاقا من هذا الرأي سنحاول تتبع بعض الكتابات والدراسات الفرنسية لأشكال الاحتفال بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط الزياني لنتعرف على مواقف أصحابها، وكيف نفسر بقاء بعض العادات الاحتفالية الوثنية طيلة العصر الوسيط واستمرارها لما بعده؟

ومن أهم الكتابات نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتابات الفرد بل(AlferdBel) عن **الدين الإسلامي لدى البربر**[3] وكتاب إدموند دوتي (EdmondeDoutté) **السحر والديانة في إفريقيا الشمالية** بالإضافة إلى كتاب ريني باسات (RenéBasset) عن **عبادة المغارات في المغرب والجزائر** و تسجيل ما كتبه إدوارد مونتي(EdurdMontet)عن **عبادة الأولياء المسلمين في إفريقيا الشمالية،** وجاك كاريت في **المرابطين والطرق الدينية الإسلامية في الجزائر** وغيرهم من المؤرخين، في مقابل بعض المؤرخين المغاربة والجزائريين وكيف كانت مواقفهم من العادات الاحتفالية وكيف تعامل معها مجتمع المغرب الإسلامي، في محاولة

---

1 – عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**، ص11.

2 – عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**، ص11– 12؛ وذكر عبد الله العروي أن المؤرخ الغربي يلجأ إلى تفسير الظواهر بمنطقه الفاسد دون أن يجرء أحد على توبيخه، **مجمل تاريخ**، ص83–84

3– **La Religion Muslman en Berberie:** Paris, librairie oriental, poulGenthner, 1938.

إثبات كل طرف لصحة نظريته والأكيد أن المؤرخ الأجنبي حاول إرجاع أصل العادات الاحتفالية لمسلمي المغرب الوسيط إلى أصول تخدم أهدافهم.

يرى جاك بارك(JacquesBerque) في كلامه عن مكانة المقدس في تاريخ المغرب الإسلامي أنه جمع لمدة طويلة الصوري والملموس أكثر وأحسن من أي نمط آخر من أنماط الممارسة الاجتماعية، بحيث وإن هو لم يشكل سوى وجها من أوجه النظام المغربي إلا أنه كان وجها فاعلا ومفكرا، من وجهة نظر المؤرخين الاجتماعيين[1]، ويرى في المقابل نور الدين الزاهي أن المقدس ينتمي إلى جهة الرمزي وبفضل هذا الانتماء تتهيكل تعبيريته بالصور والرموز المتجذرة في عمق المتخيل الجمعي لتظهر بألوان متعددة داخل المعرفي والطقوسي والمجالي والسياسي[2]، بينما عبد الرحيم العطري يرى أن أي مجتمع يعيد إنتاج معطياته من خلال المقدس والمدنس والمجال والذات والتقابلات أو الأزواج، وفي ظل هذه التقابلات يتحول المقدس إلى أهم رهان سياسي وبالضبط في مجتمعات يلعب المقدس فيها دورا مهما في استراتيجيات الشرف والعرض والبركة والكرامة[3]، وهو ما ينطبق على المجتمع الزياني لذا نجد أن السلاطين الزيانيين عملوا على احترام وتقريب كل من يملك سلطة روحية وقدسية سواء الفقهاء أو المتصوفة أو حتى أصحاب الكرامات، خاصة في مواسم الاحتفالات لما يضفيه هذا الأمر من شرعية لهم.

من هنا بدت لنا عمليات إعادة الترتيب المتتالية للمقدس هي التي تحي وتحرك تاريخ المغرب من الداخل، أكثر من التقلبات السياسية ومن القليل الذي نعرفه عن الاقتصاد أو نستحضره من الاثنولوجيا[4]، في حين أن هناك من رأى بأن ممارسات الأفراد بما فيها احتفالاتهم تكون الشعور الجمعي اتجاه المقدس، معتبرين أن المقدس هو إحدى مقولات

1 –**Ulemas Fondateurs insurges du Maghreb xvii siele**, la Biblitheque Arabe Editions sindbed, Paris,1982,P245.

2– **المقدس الإسلامي**، ص7.

3 – **بركة الأولياء**: ص10.

4– نيللي سلامة: **الولاية والمجتمع**، ص20–21.

الإحساس التي يبنى عليها السلوك الديني التي تمنحه خاصته النوعية وتفرض على المؤمن شعورا مميزا بالاحترام يحصن إيمانه ضد روح النقد كما تجعله بمنأى عن الجدل العقيم بوضعها إياه خارج نطاق العقل وما ورائه.[1] ملاحظا أن التاريخ المغربي في قراءته لذاته منح أولوية ثابتة للديني.[2]

إن الدراسات السوسيولوجية خاصة الفرنسية منها والتي تحسب على التراث الكلونيالي تمحورت حول الإسلام المغربي وممارساته تفيد أن سكان المغرب بعد دخول الإسلام لم يعيدوا إنتاج نفس الإسلام التاريخي، بل إنهم حافظوا على إيمانهم بمعتقداتهم الوثنية التي ورثوها عن سابقيهم والتي انصهرت بدورها مع نمط تدينهم الإسلامي، وعليه فإن مظاهر الاحتفال عندهم سواء الدينية أو المدنية كانت مشبعة بهذه المعتقدات الموروثة، ومنه فالتطرق للعادات الاحتفالية في المغرب الوسيط من منظور الدراسات الكولنيالية والدراسات الأنجلوساكسونية، التي انطلقت من التوجهات الفكرية والسوسيولوجية التي حكمت هذه الفترة والتي استقلت على مستوى الموضوع والمنهج والمفاهيم.

ومنه فهذا التوجه نجده حاضرا لدى الباحث **إدموند دوتي**(EdmondeDouté)الذي سعى لفهم معنى الطقوس المغربية بما فيها من عادات احتفالية من خلال سلوكات الأفراد، ويقول فراس السواح عن الممارسات الطقوسية والاحتفالية أنها مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع المعتقد، وأن الطقوس ممارسات فردية أو جماعية تترجم ما يشعر به المعتقد من إيمان داخلي ولا تقتصر وظيفة الطقس في ترجمة الأفكار والمعتقدات، وإنما تهدف إلى إحيائها واستمرارها فهي أيضا مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري،[3] والطقس – ممارسة الفعل الاحتفالي في قالب طقوسي– واقعة ثقافية

1– روجي كايوا: **الإنسان والمقدس**، ط01، ترجمة: سميرو باشا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010م، ص36.

2 – نيللي سلامة: **الولاية والمجتمع**، ص20–21.

3 – فراس السواح : **دين الإنسان** ، ط04، سورية: دار علاء الدين، 2002م، ص47 و54.

تؤشر على رمزية المجتمع وعلى تاريخ من القيم والمعايير التي تم التوافق عليها، فباتت تستعمل بشكل تكراري مضبوط ومنمط اجتماعيا.[1]

لقد اخترت مجموعة من الباحثين الذين توفرت لدي كتاباتهم من أجل خدمة هذا البحث كإدموند دوتي(Doutté Edmonde)وألفرد بل(Bel Alferd) وريني باسيه(René Basset) وإدوارد مونتي(EdourdMontet) ويمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف من الباحثين:الأول يتعلق بضباط المكاتب الأهلية، و الثاني بالهواة المدنيون، ثم الثالث يتعلق بالأكاديميين. وطبعا هناك دراسات أخرى أشرت إليها، ولكن لم أشتغل عليها إما لعدم ارتباطها بالمغرب الأوسط أو لعجزي عن الوصول إليها أملة العمل عليها في دراساتي المستقبلية.

أولا: الفئة الأولى

يأتي في مقدمتهم **إدموند دوتي**(EdmondeDoutté):[2]وصفه جاك بيرك(JacquesBerque) بالكاتب العظيم، وأول من دشن الأنتروبولوجيا الإسلام في المغرب العربي أو مؤسس أنثروبولوجيا الدين الكولنيالية بالمغرب، لكونه اقترح تصورا أنتروبولوجيا كاملا للثقافة المغربية التقليدية وعلاقة الإنسان المغربي بهذه الثقافة، ويبدو هذا التوجه جليا في الدراسات

---

1 – عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**، ص 27.

2– إدموند دوتيEdmond Doutté: ولد (1867–1926) بمدينة إيفرو الفرنسية، درسعلم المتاحف بباريس، و العلوم الطبيعيةثم الآداب.ألحق بالحكومة العامة في يناير 1892 كإداري مساعد في الأوراس الجزائرية، سنة 1898 أصبح أستاذا للآداب بمدرسة تلمسان الذي كان يديرها آنذاك ويليام مارساي .شغل ألفرد بل مكانه في مدرسة تلمسان بعد مرضه بالسُل، كُلف سنة 1899–1900 بمهمة إنجاز قائمة المخطوطات العربية للمساجد الجزائرية، شغل سنة 1901 منصبين في نفس الوقت، الأول في مصلحة المنشورات العربية للحكومة العامة في الجزائر، والثاني إلقاء دروس العامية العربية في مدرسة الآداب. وفضله جورج فير سنة 1903 لشغل كرسي التاريخ المعاصر للجزائر، وعوضت دروسه في اللغة بدروس تاريخ الحضارة الإسلامية فيسنة 1905– وهي ما شكلت كتاب السحر والدين نشر سنة 1900مقاله "ملاحظات حول الإسلام المغاربي: الأولياء" بمجلة تاريخ الأديانفي عددين متواليين. جاء المقال بعد 15 سنة من كتاب لويس رينان(Louis rini) المعنون **ألأولياء والخوانMarabouts et khouans** / وتوفي في باريس سنة 1926، عن سن تناهز التاسعة والخمسين.

التي تتعلق بظواهر دينية مباشرة، أحدها المعنون **بملاحظات حول الإسلام المغاربي: الزوايا** 1900. ثم الكتاب الأهم **السحر والدين في إفريقيا الشمالية**1909.

ملاحظات حول الإسلام المغاربي: (الأولياء) : Notes sur l'islam maghrébin (lesMarabouts)[1] يتناول دوتي(Doutté) في هذه الدراسة ظاهرة تقديس الأولياء فيالمنطقة المغاربية ويعرضها متسائلا، ومفسرا أسباب انتشارها في البيئة المغاربية المسلمة لدى العامة،ويعالج هذه القضايا في مقدمة عن مفارقة البساطة والتعقيد في الدين الإسلامي التوحيدي، وتقديس الأولياء ومفهوم الشرك في الإسلام، والبحث عن الوسيط بين الإنسان والله عبر الولاية[2]، ويقول بأن الرسول نفسه لم يسلم من هذه العبادة على الرغم من تحريم الإسلام لها بشكل واضح وصريح[3]، ورصد مظاهر تقديس الأولياء في المنطقة المغاربية، ومنح تفسيرات لتجذر ظاهرة تقديس الأولياء باستحضار فرضيات كولدزهير(Goldziher)، وتأصل ظاهرة تقديس الأولياء لدى الأمازيغ، واختلاف أشكال وتمظهرات تقديس الأولياء عبر المناطق والأثر الروحي السياسي لتواجد الولي في منطقة معينة، وتأثير كل هذا التقديس على بعض الممارسات والطقوس الاحتفالية في المغرب الإسلامي.

يرجع دوتي(Doutté)ظاهرة تقديس الأولياء إلى الإحساس الديني الذي يدفع العامة إلى«تصور الله وتخيله كما يحبون..إنه انتقام القلب والخيال من التجريد التوحيدي»[4] وقريب من هذا المنوال ويتفق مع كولدزيهر(Goldziher) بأن الأصل في تقديس الأولياء بشمال أفريقيا نابع من تقديس ضمني سابق لدى الأمازيغ للسحرة قبل الإسلام, إذ كانوا يعتبرون أصحاب نبوءات وكهنة دين أيضا[5]،كما تساءل عن جذور التقديس المغرب من خلال رأي دوتي(Doutté) يمكن القول بأن اعتباره لتقديس الأولياء كظاهرة تعود بجذورها إلى ما قبل

1- نشر إدموند دوتي « **ملاحظات حول الإسلام المغاربي: الأولياء** » في مجلة تاريخ الأديان، السنة العشرون، الجزء الرابع، بباريس، منشورات إرنستلورو، سنة1900م، باللغة الفرنسية لم أتحصل على ترجمة للمقال إلى اللغة العربية.

2 – **Notes surlislam**, p2.

3- **op cit**, p3.

4- Ibid, p11.

5-**Notes surlislam**, p11.

الإسلام في المغرب الوسيط، لدليل على تبنيه موقف حول العادات الاحتفالية وما سادها من ممارسات وطقوس ترجع في غالبيتها إلى الفترة السابقة وهي الذريعة التي تبناها في طرحه حول تفسير أصل بعض الممارسات الاحتفالية.

ادمونددوتي(dmondDoutté):

كتاب الإسلام الجزائري في سنة 1900–L'Islam Algérien en l'an 1900[1]في

توطئة الكتاب يقول دوتي(**Doutté**) أنه يسعى من خلال هذا الكتاب إلى تقديم فكرة لمجموع الإسلام الجزائري، نظرا لأن الدين مركب، وغالبا ما لا يعرف بشكل جيد، وهو الأمر الذي يريد إبرازه من مختلف جوانبه في الإسلام الجزائري، وذلك من خلال تناوله لمواضيع منها الاحتفالات، والأعياد الدينية،والخرافات، والبقايا، المعابد والمباني الدينية: الأولياء والمساجد، والزوايا وغيرها.

كتاب السحر والدين في إفريقيا الشماليةMagie et Religion du l'Afrique duNord[2]

موضوع الكتاب يتعلق بنشأة الفكرة السحرية والمقدس والتي قال عنها ابن خلدون(ت808 هـ/ 1406م) في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد أن السحر والطلسميات هي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية على التأثيرات في عالم العناصر إما بمعين أو غير معين من الأمور السماوية[3]، وهو الأمر الذي اشتملت عليه مواضيع كتاب دوتي(**Doutté**) إذ ركز على الطقوس السحرية[4] أو الطقوس المصورة

1- يوجد كتاب**الإسلام الجزائري في سنة 1900** النسخة باللغة الفرنسية في الموقع الإلكتروني للمكتبة الوطنية الفرنسية ﴿كاإليكا﴾، MAISONNEUVEPGeuthner, S.A Paris, 1909.

2- هذا الكتاب في الأصل دروس ألقاها إدموند دوتي في المدرسة العليا للآداب،التي كان أستاذا بها في الجزائر، وبدأت في ديسمبر 1905، وهو تاريخ إلقاء المحاضرة الأولى التي قدم بها الكتاب. وفي سنة 1909 نشر الكتاب بالجزائر عن مطبعة تيبوغرافي أدولف أوردان، وبعد قرن من تأليف إدموند دوتي لمؤلفه" الدين والسحر في إفريقيا الشمالية"، قام الناقد الأدبي فريد الزاهي،الباحث بالمركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس–السويسي، بترجمته إلى العربية سنة 2008. وصدر عن دار مرسم للطبع والنشر بالدار البيضاء .ترجمة سنة 2008. ولم أتمكن من الحصول على نسخة مترجمة لذا تعاملت مباشرة مع النص الأصلي.

3- **المقدمة**: ص311.

4 –**Magie et Religion** , p58.

والغايات العملية للسحر كذلك على العلاقة القائمة بين السحر والعلم والدين[1] ودور السحرة والكهنة والعرافون، وأنواع العرافة (الاستقرائية والحدسية)، الكرنفال[2] والأعياد الموسمية[3] وطقوس الطبيعة وغيرها من المواضيع[4]، يرى دوتي(**Doutté**) أن سكان الشمال الإفريقي اضطروا مع مجيء الإسلام إلى التحايل من أجل المحافظة على معتقداتهم الأصلية، وذلك بتكييف هذه المعتقدات الوثنية مع مقتضيات الدين الجديد عن طريق مزجها بطقوس وممارسات دينية إسلامية، ذلك أن الإسلام وبالرغم من قدرته الكبيرة على التأثير لم يكن بوسعه القضاء كليا على جميع الطقوس الوثنية القديمة، وبالتالي تمت أسلمتها[5]، خاصة أن الطبيعة كانت مثار خوف في ظل سيطرة التفكير الميتافيزيقي ما جعل الإنسان يبدع احتفالات متعددة مستعملا القناع والرقص والموسيقى، وبسبب تكرارية الوقائع فإن الاحتفال بات مكتسبا لملمح الطقس وأساسياته.[6]

كما أنه يقر بعدم ملاءمة النظرية الطوطمية لتفسير الحضارة الإسلامية التي يدرسها، والتي يعتبرها أكثر تطورا من حضارات أخرى طبقت عليها تلك النظرية، ويتطرق بعد ذلك إلى الفرضية التي سادت في وقته لدراسة الديانة الإسلامية وهي النظرية التطورية وفرضية البقايا الوثنية التي طرحها إدوار فيستر مارك (westermark Edward)، والذي يرى مثلا بأن عاشوراء مهرجان وثني تمت أسلمته بأن تحول توقيته من نهاية السنة الفلاحية ليدرج

1- **Magie et Religion** , p307.

2- أرجع دوتي ظاهرة الكرنفال إلى وقت طويل قبل مجيء الإسلام لبلاد المغرب، وتحدث عن الكرنفال في ورقلة وكذا في الشمال الإفريقي إذا قال عن الاحتفال بعاشوراء مثلا : حسب رأيه تأتي في اليوم العاشر من محرم في أول سنة هجرية هذه الفترة سماها عيد الفول وقال هو اليوم الذي تضرب فيه الأرض أي اليوم الذي نشأت فيه الأرض وفي السماء يرتدوا أقنعة الحيوانات كالجمل والأسد والنعامة، كما علق على أنواع اللباس في هذا الكرنفال (القندورة الطويلة، الشاشية الحمراء)، وأشار إلى بعض الطقوس كالمشيء حافيي الأقدام، والأعين المثبتة على الأرض، وهي المظاهر الاحتفالية التي أرجعها حسب رأيه إلى تقمصهم للأساطير القديمة. **Op.cit**, p497, 498.

3- وصف دوتي الأعياد الموسمية كيلة عاشوراء والتي وصف الاحتفال بها بالفنطازية الشعبية وقال: «بأن الاحتفال بعاشوراء ليس ليلة واحدة بل يمتد جميع ليالي الشهر».**Op.cit**, p499.

4 – ومن هذه المواضيع الاحتفال في الأغواط، ميزاب، توقرت، بسكرة. Ibid, p500, 541.

5 –Ibid , p15.

6– عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**، ص147.

ضمن التقويم الهجري، ويؤكد على أنها طقس شمال إفريقي لا ينتمي إلى الإسلام ولا إلى الوثنية العربية بل كان سائدا عند البرابرة القدماء قبل مجيء الإسلام.[1]

إذا كانت الطقوس الطبيعية والزراعية قد فقدت الشيء الكثير من أشكالها الأصلية بفعل عملية الأسلمة فإنها لم تنقرض وحافظت على استمرارها في الوجود، بيد أنه لم يكن من المتيسر رصدها والكشف عنها دن خبرة وحنكة الإثنوغرافيين والسوسيولوجيين.[2]

ويرجع دوتي (Doutté) وجود البقايا الوثنية في الاحتفالات إلى قدرة الطقوس بشكل عام على الاستمرارية، فمعظم هذه الطقوس كانت في الأصل ذات مغزى ديني ثم تحولت إلى مجرد طقوس سحرية، فعندما يتغير المعتقد يستمر الطقس في الوجود ويبقى كما تبقى تلك الصدفات الأحفورية للرخويات الغابرة، التي تساعدنا على تحديد الفترات الجيولوجية، فاستمرارية الطقس إذا هي سبب وجود هذه البقايا المتناثرة هنا وهناك.[3]

من خلال ما سبق يمكن القول بأن إدموند دوتي(EdmondeDoutté) قد تجاوز المجال الخاص بالظواهر الدينية، ليقترح تصورا أنثروبولوجيا كاملا للثقافة المغربية التقليدية وعلاقة الإنسان المغربي بهذه الثقافة،وقد اصطبغت أعماله بمنهج تأويلي، هذا المنهج حتمه التواصل النظري الذي يقيمه دوتي مع المدرسة الفرنسية،ولذلك يحضر بشكل جلي منهج المقارنة عنده.

في الأخير أقول بأن إدموند دوتي(EdmondeDouté) تبنى منهج أنتروبولوجي تأويلي، يعتمد على الوصف الجزئي للظواهر المدروسة، مع البحث عن معنى الطقوس المدروسة، حيث سعى هذا الباحث لإصباغ المعنى على مختلف الطقوس الملاحظة من أجل جعلها قابلة للفهم، هذا المنهج مكنه من دراسة مظاهر تقديس الأولياء في المنطقة

---

1 - **Magie et Religion**, p543, 544.عبد الغني منديب: **الدين والمجتمع – دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**– ، ط2، إفريقيا الشرق: المغرب، 2010م، ص23.

2- **Magie et Religion**, p15.

3- Ibid, p602.

المغاربية،ومنح تفسيرات لتجذرها، وربط علاقة ظاهرة زيارة الأولياء في الاحتفالات الدينية بالبعد الوثني لتقديس الأشخاص.[1]

ثانيا: الفئة الثانية

إدوارد مونتي (Edouard Montet):[2]

يرى بعض المؤرخون أن المظاهر والعادات الاحتفالية تعود إلى أصول رومانية نافين كل تجذر للمقومات الإسلامية في ثقافة شعوب المغرب الإسلامي ومن بين هؤلاء نجد السوسيولوجي إدوارد مونتي (EdouardMontet) الذي أورد في كتابه المقدسات الإسلامية في الشمال الإفريقي[3] أن مجموعة من القبائل البربرية لا يعرفون القرآن، ويأكلون لحم الخنزير، ولا يمارسون طقوس الختان، بحيث أنهم غير منسجمين مع المسلمين على مستوى سلوكاتهم.

ألفرد بل(Alfred Bel) :

وفي نفس السياق، نجد الأسئلة التي ينطلق منها الباحث ألفرد بل في كتابه الدين الإسلامي في بلاد البربر كانت محكومة بفرضية أسلمة بلاد الأمازيغ، حيث طرح التساؤلات التالية : كيف أصبح إسلام الرسول والخلفاء بعد ثلاثة عشر قرنا من التطور؟ وهل لحقه تحول بهذه البلاد؟ وما الذي تبقى حاليا من المعتقدات السحرية والدينية التي كان يمارسها الأمازيغ قبل الإسلام ؟ مضيفا أن الإسلام المغربي المرتكز على الأولياء هو نوع من الربط بين المعتقدات القديمة والمعتقدات الإسلامية، معتبرا أن أولياء المغرب عوضوا البقايا الإلهية القديمة لأنهم ظلوا مرتبطين بأرضهم وبآلهتهم المحلية أكثر من العقائد الإسلامية، موضحا

1-**Magie et Religion**, p597, 605.

2 – عمل أستاذا للثيولوجيا بكلية اللاهوت بجامعة جونيف، حيث تميزت أعماله بغلبة الطابع اللاهوتي، لمتكن أعمال مونتي الأكاديمية مرتبطة بالمصالح الكولونيالية، لكنه كان يحمل مشروع بحثي حول الإسلام، ما جعله يخصص أبحاث عدة حول الإسلام في شمـــال إفريقيا خصوصـا المغرب.عبد الغني منديب: **الدين والمجتمع**، ص33.

3- **Le culte des saints Musulmanes dans L'Afrique de Nord- et plus spécialement au Maroc.**Librairie Georg et Cie Genève, 1909.

السبب الرئيسي وراء دراسته المتعلقة بمعرفة النظام المجتمعي والديني والعقدي للدول الخاضعة لفرنسا لمعرفة عقليتهم التي وصفها بأنها عقلية دينية بالدرجة الأولى.[1]

يمكن القول أن ألفرد بل(AlfredBel) اعتمد على المنهج التاريخي الذي يدمج الأدوات السوسيولوجية المتعلقة بالمقابلة والملاحظة الشخصية والرواية الشفوية،من أجل معرفة طريقة تشكل الولي، وعلاقته بالبركة ووظائفها مبرزا أن **البركة** هي القوة القادرة على صنع الولي في مخيلة الأفراد، وبالتالي هي العامل الرئيسي المتحكم في شكل الطقس الاحتفالي سواء الديني أو المدني.

هنري باسيه(Renné Basset):

تبنى المنهج التاريخي الاثنوغرافي حيث اعتمد على الوثيقة في تأريخه للأحداث والملاحظة الميدانية في المجال الاثنوغرافي، إذ يعتبر كتابه عبادة الكهوف في المغرب من أشهر كتاباته، حيث أبرز مختلف الطقوس والمظاهر التي رتمارس داخل هذه الكهوف، وذلك من خلال زياراته الميدانية إلى هذه الأخيرة وتوثيقه للممارسات المتداولة داخلها، مرجعا إياها إلى بعدها التاريخي في محاولة منه صبغها بالطابع القديم السابق لظهور الإسلام بالمنطقة معتبرا أن كل الطقوس الاحتفالية الممارسة بها تعود في أصلها إلى ممارسات وعادات احتفالية سابقة، وركز في كتابه هذا على منطقة المغرب الأقصى ولم أجد فيه إشارات إلى مناطق من الجزائر[2]، لذا العمل الذي إشتغلت عليه هو مقاله حول التدين عند البربر والذي أورد فيه أنه أيا كان الرأي حول الجذور المعقدة للشعوب التي تسمى برير والتي تحتل شمال إفريقيا من البحر المتوسط إلى السودان والأطلسي إلى غاية حدود مصر، فإن البحث في معتقداتهم يرجعها إلى دينهم القديم حسب رأيه، لكنه لم ينف وجود صعوبات بسبب عدم قابليتهم للذوبان مع غيرهم بسبب اللغة والدين، ويقصد هنا الدين الوثني ونجده

1 –**La religion Musulmane en Berberie**, p09.

2 – لا جدال في أن الشمال الإفريقي كانت له عادات وطقوس متشابهة إن لم نقل نفسها وهو ما يعني أن عادات المغرب الأقصى لم تختلف عنها في الجزائر.

في طرحه هذا يحتج برأي هيرودوت والذي أرجع دين المغاربة إلى الفينقيين والرومان الذين استقروا منذ القدم.[1]

كما يقول بأن الكتابات اللاتينية في إفريقيا سجلت عبادة المغاربة للجبال والصخور لأنها توفر لهم الحماية ضد الرياح، لذا اعتقد المغاربة في وجود جني الجبال وأعطى مثالا على ذلك وهو عبادة حجر قايد بين تيارت وغليزان[2]، كما عبدوا بالاضافة إلى الجبال الكهوف والأنهار والنجوم والشمس والتي أخذوها عن النومديين وقدماء المصريين[3]، كما أكد على أن المسيحية بما حوته من طقوس وعادات بقيت لزمن طويل في شمال إفريقيا[4].

ومنه نستنتج أن أعمال المستشرقين قد اصطبغت بمنهج تأويلي واضح، في محاولة منهم لإثبات كيفية أسلمة كل الطقوس التي تطرقوا إليها بالدراسة من خلال تركيزهم على البقايا الوثنية التي لم تتعرض لعملية الأسلمة كما سموها وهو المنهج الذي تبنته المدرسة الفرنسية،خصوصا أنه يسعى إلى إصباغ المعنى على مختلف الطقوس والاحتفالات المدروسة.

من خلال طرح أفكار وأراء بعض المؤرخين الفرنسيين حول الممارسات الطقوسية والعادات الاحتفالية بالمغرب الإسلامي فإن الموقف المتبنى لا يختلف كثيرا عن موقف المؤرخ عبد العزيز فيلالي حول هذه الكتابات كون المؤرخين الفرنسين لم يحجموا عن ذكر المبالغات والمغالطات والأخطاء والتناقضات المعتمدة في تاريخهم للفترة القديمة، كما لم تخل كتاباتهم من الانحراف والتلفيق والتعصب العرقي والديني والايديولوجي خدمة للهيمنة والسلطة، وهي مسائل لا تدعو إلى الاستقرار والأمن.[5]

1- **Recherchessur la Religion**: P1, 2, 3.

2 -ipid : p6.

3-ipid : p11.

4 -ipid : p38.

5- عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**، ص 12.

بالإضافة إلى الأحكام المسبقة والنعوت السلبية للحياة الاجتماعية والدينية والعقدية وضرب الوسائل الوجدانية والروحية والهوية والتاريخ والانتماء الجغرافي والحضاري للشعوب المستعمرة، كانت من أهم العوامل المتحكمة في الكتابات الكولنيالية، وهي نظريات مبالغ فيها تدل دلالة واضحة على أن مؤرخي هذه المدرسة ابتعدوا عن المنهج العلمي السليم في علاج القضايا التاريخية والاجتماعية والمواضيع الحضارية، باعتمادها على زرع الشكوك في مقومات الشخصية المغربية ومكوناتها، وفي أصولهم وطبائعهم وقامت بتغذية النعرة القبلية والطائفية وإذكاء نارها حتى تسود وتتمكن من تهجين الأهالي ومسخهم وتغريبهم، ليسهل لها بذلك القيادة والسيطرة عليهم وعلى مقدراتهم الوطنية.

من خلال معالجة عنصر العادات الاحتفالية بين الضمور والتفاعل وما حواه من جزئيات تعلقت في معظمها حول هوية هذه العادات الاحتفالية بشقيها الديني والمدني العسكري، تبين لي أن الحضور الهلالي في حواضر الدولة الزيانية حمل معه خصوصيات اعتبرت إضافة لما كان موجودا، أما عن كيفية التفاعل مع الاحتفالات السابقة الذكر فإن الاختلاف في إحيائها بين الخاصة والعامة كان واضحا جدا من خلال مستويات الإنفاق والأبهة، وإن تشابه في مراحل هذه الأخيرة، وقد وقف فقهاء الدولة من بعض العادات الاحتفالية التي لا تمت بصلة لا للدين الإسلامي ولا للخصوصية المغربية موقف (منكر- مكرِّه-محرِّم) لبعضها كما أجازوا بعضها الآخر، أما عن موقف المؤرخين الفرنسيين من بعض العادات الاحتفالية فقد أجمعت هذه الدراسات على إرجاع الموروث الثقافي المغاربي بما فيه من عادات احتفالية ككل إلى جذور وثنية قديمة في محاولة لطمس الهوية الأمازيغية العربية الإسلامية.

الفصل الرابع

العلاقات القائمة بين الاحتفالات كطقوس وممارسات وبين حقيقتها المفترضة

أولا: الاحتفال والمجال بين المدينة والبادية
ثانيا: بقايا الحضور الوثني داخل الممارسات الاحتفالية
ثالثا: التداخل بين الدين والسحر داخل الطقوس الاحتفالية
رابعا: الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال وإقامة الأعياد

أولا: الاحتفال والمجال بين المدينة والبادية

أطمح من خلال هذه الورقات البحث في مظاهر الخصوصية الاحتفالية ضمن مجالين المدينة والبادية، بدءا بالمجال الحضري بما يحويه من فئات مختلفة وإمكانيات كبيرة للاحتفال عكس البادية، بسبب اتساع عمران الدولة والتفنن فيه إذ له علاقة بمدي الترف[1] الذي يعيشه أفرادها، وتكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال في المدينة مثل معلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع[2]، فلاتساع العمران بالمدن والحواضر علاقة وطيدة بإقامة الاحتفالات والتفنن فيها، وبالتالي اتصافها بعادات معينة عكس البادية، ومنهفمجتمع مدينة تلمسان وباقي حواضر المغرب الأوسط يتألف من السكان الأصليين وهم الأمازيغ وممن نزل بها من العرب الفاتحين، ومن استقر بها من القادمين إليها بعد كل فتح من الفتوحات التي قامت بها الدول التي توالت على هذا القطر[3]، كما لم يخل المغرب الأوسط من الأقليات الدينية غير الإسلامية في العصر الوسيط، وكانوا يعيشون مع المسلمين في دار الإسلام في أمن وأمان ويؤدون، طقوسهم الدينية في الكنائس والمعابد والبيع، وهي حقوق التزم بها المسلمون ما دامت هذه الأقليات أو كما يسمونهم أهل الذمة يدفعون الجزية.[4]

أ) المؤثر اليهودي:

عرفت القرون الأخيرة من العصر الوسيط ارتفاع وتيرة الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب مع بداية حروب الاسترداد وسقوط العديد من القواعد الإسلامية، أي منذ سنة 478هـ تاريخ سقوط طليطلة، واستقر عدد كبير منهم بتلمسان، وقد ازداد عدد أفرادها في العهد

1- التَّرَفُ والرَّفَهُ هي الحالة التي تصل إليها كل مجموعة بشرية توفر لها ما يزيد على حاجتها العادية ولا يحصل هذا الزائد إلا بتوفر شرطين هما الاستقرار التام والتعاون . عبد المجيد مزيان ، **النظريات الاقتصادية** ، ص278.

2- ابن خلدون، **المقدمة** : ص255 ؛ وعبد المجيد مزيان : **النظريات الاقتصادية**، ص64.

3- محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**،ص39.

4 – عبد العزيز فيلالي: **الأقلية المسيحية**، دراسات،ص53.

الزياني بنزوح اليهود [1] اللاجئين الفارين من الاضطهاد المسيحي بالأندلس وباقي أوربا[2]فاليهود كانوا موجودون في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الزيانية ولكن الملاحظ أن عددهم تزايد مع هجرة الأندلسيين من غرناطة [3] ، نتيجة الاضطهاد المسيحي سنة793هـ/1391م، ولقد كان لتواجد اليهود بالدولة الزيانية بالغ الأثر في حياتها الاجتماعية والدينية، وذلك من خلال تأثيرهم على بعض العادات والتقاليد فيها خاصة المتعلقة بالأعياد والاحتفالات، والتي لها علاقة مباشرة مع المجتمع الزياني، وتعامل الزيانيون مع اليهود وفق معايير فقهية حددت طبيعة هذه العلاقات.

خاصة وأن اليهود كانوا يعيشون بأطراف تلمسان في حي خاص بهم وهو حي اليهود، ويضم الحي أكثر من خمسمائة دار حسب رواية الوزان[4]، مما يعني أن عدد السكان اليهود بتلمسان عدد لا بأس به، وهو ما يضمن لنا أن هناك تواصل اجتماعي بينهم، لأن اليهود كانوا متجاورين مع المسلمين وبالتالي حدث بينهم احتكاك على مستوى الاحتفالات خاصة المدنية، فكثيرا ما كان الزياني يكرم جاره اليهودي ويدعوه لحضور احتفالاته الأمر الذي ساعد كثيرا في التلاقح الفكري والثقافي، ومنه حدثت عملية التأثير والتأثر في بعض المظاهر الاحتفالية.

1- تتكون الجالية اليهودية في الدولة الزيانية فترة المطاردات المسيحية الإسبانية لليهود في القرن 14 و 15م حيث استمر تدفقهم على المدن الزيانية وأيضا على بعض يهود بني الدريد الهلاليين الذين قدموا إلى الجنوب التونسي، أثناء الهجرة الهلالية الكبيرة من المشرق إلى المغرب خلال القرن 10م، الميغور ومعناه بالعبرية المطارد هي فئة اليهود الذين لجأوا إلى الجزائر عندما بدأت دويلات الأندلس في التساقط في سنوات1462م و1608م وعرفوا أيضا بالكبوسين نسبة إلى الكبوسة الحمراء التي كانوا يضعونها على رؤوسهم و بفضل تكوينهم الديني المتفوق على اليهود الأهالي وإمكانياتهم العددية والثقافية العلمية النابعة من البيئة ألأندلسية استحوذوا على المراكز الديناميكية للجالية اليهودية. مسعود كواتي : **اليهود فيالمغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**،ط2، الجزائر: دار هومة،2009م،ص15 وما بعدها.

2- محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**،ص39.

3- ابن الخطيب: **خطرة الطيف**، ص86.

4-**وصف إفريقيا**، 20/2؛ ومحمود بوعياد: **جوانب من الحياة**، ص39 ؛ وعبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 123/1؛ ومحمد شاوش: **باقة السوسان**، ص332.

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود آثروا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وممارساتهم الدينية إبان وجودهم في كنف الحضارات السابقة للإسلام ببلدان المغرب، وهو ما جعلهم عرضة للمطاردة والتنكيل من قبل الرومان، لكن هذا الوضع تغير بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، إذ وجد اليهود تسامحاً من المسلمين لذا أقاموا المعابد لممارسة عباداتهم وشعائرهم الدينية كما أقاموا احتفالاتهم بطرقهم الخاصة، ويزودنا الونشريسي بمعلومات تتعلق بعيد لليهود يسمونه عيد الفطر، وجرت عادتهم فيه على صنع أرغفة الخبز وإهدائها لجيرانهم المسلمين على سبيل المودة وحسن الجوار [1]، لكن بالرغم من هذا فقد سجل لنا التاريخ أن الحركة الثقافية الدينية لليهود في المغرب الأوسط الزياني كانت متأثرة بالحركة الثقافية، وذلك راجع لأن اليهود وجدوا في الدين الإسلامي متنفساً وراحة وقد أنعكس ذلك إيجابياً على تزايد أعدادهم وتحسن أوضاعهم في جميع المجالات، وقد كان التعامل معهم من قبل الدولة الزيانية يتم على أساس أنهم أهل الذمة ولذا كان لهم بعاصمة الزيانيين المعابد، والحمام الخاص بالطقوس الدينية، وهو الذي تتم فيه عملية الطهارة والغسيل قبل الصلاة لعامة اليهود وللفتاة قبل يوم زفافها. [2]

كما اشتهر اليهود بتقديس أحبارهم وحاخاماتهم وترددهم على زيارة قبور موتاهم حاجّين إليهم مقدمين القرابين في الأعياد الدينية،وهو ما سجلناه عند الزيانيين بزيارتهم للمقابر والأضرحة في المناسبات والأعياد الدينية، ومن الممارسات الدينية التي يقوم بها رجال الدين اليهود عموماً وحيثما كانوا، ممارسة السحر والكهانة والعرافة على الرغم من أنها محرمة في التوراة، كما كان رجال الدين اليهود يكتبون التعاويذ والرقى والتمائم للحماية ولطرد الأرواح الشريرة، ودرج اليهود على عزف الموسيقى كجزء من الطقوس التعبدية بما فيها الصلاة. [3]

---

[1] –**المعيار**: 11/ 111.

[2] – مسعود كواتي: **اليهود في المغرب الإسلامي**، ص30 وما بعدها.

[3] –نفسه، ص30 وما بعدها.

وكان هناك ما يعرف "بالناجد" وهو لفظ توراتى يعني أمير أو قائد وهو الزعيم الروحي للطائفة والناطق باسمها لدى السلطات، ويقود الطقوس والشعائر ويقوم بإجراءات الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق[1]، ويمكن القول أنه يقابل قاضي الأنكحة عند الزيانيين.

وعلى صعيد الحياة الاجتماعية فقد كانت مصلحة اليهود تقتضي التواصل والاندماج مع المسلمين عرب وبربر، كما ذكرنا آنفاً لإيجاد فرص عمل ولتحقيق أوضاع اجتماعية لائقة وقد ظهر أثر التقاليد الإسلامية في بعض عاداتهم الاحتفالية وأمورهم الاجتماعية، فكان هناك تشابه في الأزياء والمظهر العام معا لاحتفاظ ببعض الخصوصية التي تميزهم، وقد ظهر الأثر الإسلامي العربي جلياً وسط النساء في اللباس الفضفاض وخمار الرأس، وحتى الحناء فقد اتخذتها المرأة اليهودية زينة لها كالمرأة الزيانية، كما كان هناك تعدد الزوجات في بعض المدن، والديانة اليهودية تبيح التعدد إلاّ أنه مرفوض عرفاً، كما كانت احتفالات الزواج تشبه كثيراً احتفالات المسلمين في مراسيمها وطقوسها، كما كانوا يشاركون المسلمين في مناسباتهم الاجتماعية، وقد حرص اليهود على التقيد بالسلوك الاجتماعي الإسلامي حتى يجدوا الاحترام من الطرف الآخر ويحظوا بثقتهم وقد نجحوا في ذلك[2].

ب) المؤثر المسيحي:

تفيد معظم المصادر التاريخية في الفترة موضوع البحث، عن تواجد الكثير من المسيحيين النصارى بمدينة تلمسان خلال العهد الزياني، وعن إقامتهم للشعائر الدينية المسيحية، التي تتطلب ضرورة حضور رجال الدين الممثلين للكنيسة الرومانية، لأن التجار يتمتعون بمعاهدة تضمن لهم حرية بناء الكنائس الصغيرة في الفنادق التي يقيمون فيها[3]

1- عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربى(22-462 هـ -642- 1070م)**،ط1،القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م، ص 129.

2- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1995م، ص 134.

3- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**، 192/1.

ويؤكد ذلك ما جاء في المعيار:« جدد بعض النصارى كنيسة، في فندقهم وعلا عليها شيء يشبه الصومعة، فطلبوا بذلك، فأتوا بكتاب العهد، فوجدوا فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا، لمتعبداتهم»[1]وكانوا يقيمون في القيصرية المخصصة لهم بالعاصمة الزيانية،[2] وعليه كان المسيحيون إلى جانب حرية عبادتهم كانوا أحرارا في إقامة احتفالاتهم وفق عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم.

عبد العزيز فيلالي لم يذكر مصدره إلا أنه أكد أن عاصمة الزيانيين تلمسان كان يقطنها ما يزيد عن أربعة آلاف نسمة من الجالية المسيحية المتوسطية، فضلا عن الأسرى الذين كانوا يعدون بالآلاف، وكانت الدولة الزيانية توظف فرقا عسكرية مسيحية، يزيد عددها في بعض الأحيان عن ألفين جندي (قطالونيين وأراغونيين)، تحت قيادة الأب ديفيلاجو خلال (665هـ/1266م)أي في عهد يغمراسن (633–687هـ/1235/1281م) ومن الروم ما يزيد عن 500 فارس[3]، وهو ما يؤكد بأن قاطني الدولة الزيانية من النصارى المسيحيين ليس بالقليل وبالتالي استقرارهم نتج عنه تفاعل وعلاقات مع المجتمع الزياني وهنا حدث نوع من التبادل الثقافي والحضاري والذي مس بدوره طرق الاحتفالات الدينية والمدنية.

أضف إلى ذلك أن الجنود المسيحيين في الدولة الزيانية كانوا يسكنون حيا منفصلا خاصا بهم، بعيد عن المسلمين يعرف بربض النصارى، وكانوا مرفقين بزوجاتهم وأولادهم، وكانت نسائهم تحضرن الحفلات العائلية التي ينظمها العاهل الزياني في المشور رفقة أزواجهن، وكن يرتدين فيه الزي الإسلامي، لأنه بحكم إقامتهن الطويلة في تلمسان تأثرن بالعادات المحلية وخاصة اللباس، وربما يكون ذلك بتوجيهات من البلاط الزياني،[4] كما كان

---

1 – الونشريسي : **المعيار**، 184/2.

2– محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**،ص40.

3 – عبد العزيز فيلالي: **الأقلية المسيحية**،ص54.

4 –**نفسه**، ص65.

الزيانيون يشاركون النصارى في احتفالاتهم الخاصة بهم مثل عيد المسيح وكذلك العيد الذي يسمى بدانتيسا وهو الاحتفال بظهور أسنان الطفل.[1]

وعيد العنصرة أو المهرجان (عيد ميلاد يحي عليه السلام) وكذلك فقد كان أهل المغرب من المسلمين يشاركون النصارى في الاحتفال بالنيروز (عيد الربيع) ويجعلونه كأحد الأعياد، ويتهادون بينهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف، ويترك الرجال والنساء أعمالهم صبيحتها تعظيما لهذا اليوم ويعدونه رأس السنة.[2]

من نماذج التلاقح الثقافي في احتفالات المغاربة مع المسيحين أنه في عيد العنصرة السابق الذكر، فإن المغاربة اعتادوا فيه على إجراء مسابقات أو مباريات في سباق الخيل وتقوم النسوة في المقابل بتزيين بيوتهن وإخراج الثياب للندى في الليل ووضع ورق الاكرنب والخضرة في ثيابهن، كما كن يحرصن على الاغتسال في هذا اليوم، أما في عيد النيروز فكانوا يقومون ببيع اللعب المصنوعة على شكل صور وتسمى **الزيافات**[3]، وهو ما بينت موقف الفقهاء اتجاهه بالرفض لشراء المسلمين لمثل هذه اللعب أو اللعب بها ولا حتى بيعها.

ج/ المؤثر الأندلسي:

كان اتصال حضارة الأندلس بالدولة الزيانية أهم عامل لتنشيط الحركة الثقافية والفنية فأواخر الدولة الزيانية عرفت ازدهارا كبيرا نتيجة الهجرة الأندلسية إلى مدنها بالمغرب الأوسط، وكما سبق الذكر فإن العنصر الأندلسي كان له تأثير واضح في الدولة الزيانية كما هو الحال في باقي حواضر المغرب[4] لا سيما مع ازدياد هجرة المسلمين من الأندلس

---

1 – الوزان: **وصف إفريقيا**، 102/1؛عبد العزيز فيلالي: **الأقلية المسيحية** ،ص67.

2– الونشريسي: **المعيار**، 71/6.

3 – **نفسه**، 92/11، 150، 151، 154، 293.

4– أهل المرية خرجوا إلى تلمسان وأهل مالقة إلى بادس وأهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة وخرج ما بقي من أهل غرناطة إلى بجاية ووهران وبرشك زوالة ومازونة ونفطة. مؤلف مجهول : **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر– تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب**، ط02، تح: الفريد البستاني، بورسعيد – مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ،ص48.

وخاصة بعد سقوط معظم القواعد الأندلسية الشمالية[1]، هذا التزايد راجع عمليا لما كان يعانيه سكان شبه الجزيرة من اضطهاد وقتل ومصادرة للأموال بيد النصارى منذ منتصف القرن الثامن للهجرة[2]، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون(ت808هـ/ 1406م):«فلما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأسف إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية»[3] وقد أطلق لقب الحضر[4]على امتزاج الأندلسيين مع التلمسانيين الذين ظهر منهم جيل من العلماء والأدباء والفنانين والفلاحين والصناع والتجار الذين نقلوا معهم أفكارهم وأساليبهم ويتجلى هذا أكثر في الحياة الدينية والاجتماعية، واستوطن الأندلسيون تلمسان والساحل الوهراني على ساحل البحر مقابل مدينة مرسية في بر الأندلس في عهد السلطان يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) وهذا يؤكد على العناية الكاملة بهم وإكرامهم وتبيين حقهم في السكن والتملك للأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم في أرضهم المفقودة بالأندلس.[5]

حتى يشعرون بالأمن والأمان بتعويضهم عما فقدوه في وطنهم، ويبدو أن العاطفة الدينية والأخوة والإنسانية كان لها أثر كبير في إصدار ذلك الظهير، الذي يتطرق إلى وضع هؤلاء الأندلسيين والتماس المكان المناسب لهم، للإقامة ومطالبة الجميع، وحثهم على تنفيذ الأوامر الصادرة في هذا الشأن ويتكئ هذا الظهير على ما لحق بالأندلسيين من مصائب في

1- من هذه المدن نذكر قرطبة التي سقطت سنة636هـ/1238م ومعها بلنسية ومرسية وكذلك شاطبة التي استسلمت للمسيحيين في 645هـ/1247موغيرها.إبن الخطيب: **نفح الطيب**، 460/4 وما بعدها.

2- يصف عبد المجيد مزيان هجرة الأندلسيين لبلاد المغرب بالتحركات الضخمة التي جعلت آهل الأندلس ينزلون بعض القرى ويصيرونها مدنا ذات حضارة راقية، ذلك شأن تلمسان ويرجع السبب إلي أن حضارتهم أرقى من المدن التي حلوا بها .**النظريات الاقتصادية** ، ص275 ؛ وعبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، 199/2 ؛ وبسام كامل شقدان : **تلمسان**، ص151 .

3- ابن خلدون: **العبر**، 650/6.

4- الدراجي بوزياني: **أنظمة الحكم** ، ص39 ؛ وعمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور** ، ص137 ؛ وعبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، 231/2 ؛ وبسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص151.

5- عبد الحميد حاجيات: " **تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط**"، مجلة عصور الجديدة(وهران)ع2011/2م،ص37-45، ص39؛**أبو حمو موسى**، ص58؛ وعبد العزيز فراح : **تلمسان المدينة**، ص73.

عقيدتهم وفي أموالهم وأوطانهم، وينص الخطاب الرسمي في الظهير على أن يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) :«بوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافا».[1]

ويصرح ابن الخطيب بأن يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) فضل أن يسكن المهاجرين الأندلسيين مدينة تلمسان، عن جميع المدن الأخرى، وفي هذا الصدد يقول:«وأطلع على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى، على سائر البلاد فلحظ منهم النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا مالهم... وأذن أيده الله لهم ولمن شاء من أهل تلمسان»[2] ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان هي التي كانت في عهدي الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد الله (814-827هـ/1411-1424م)، وخلفه أبي العباس أحمد الزياني (834-862هـ/1431-1462م)، وقد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة ووجهم حسب طبقاتهم وحرفهم، فالعلماء والوجهاء وسراة القوم، أنزلهم عاصمته مدينة تلمسان، وأنزل معهم التجار والحرفيين، وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين، كما قام بإسكان العامة والفلاحين ضواحي المدينة وأحوازها، ولاسيما في وادي الوريط فانتشروا على ضفتيه، حيث شيدوا قرى وبساتين وأسسوا مصانع عديدة ومتاجر كثيرة، وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار، فجلبت للبلاد، وأهله الخير والنعمة[3]، وهو يؤكد تأثيرهم في بنية المجتمع الزياني وبالتالي في تأثيرهم في عاداته وتقاليده.

ويشير إلى ذلك ابن الأعرج بقوله:«وملئوا تلك الشعاب من البساتين المتنوعة الثمار وأنواع الرياحين والأزهار واتصلت مساكنهم بذلك الوادي إلى نهر السطفسيف»[4]ويؤكد ذلك قول المقري:«ولما نفذ قضاء الله، على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة

---

1 – **فصل الخطاب في نثر أبي بكر بن الخطاب** .مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط ، رقم 4605، ورقة 39-40، نقلا عن خالد بلعربي: **الدولة الزيانية** ، ص282.

2- **فصل الخطاب**: ورقة 39-40،نقلا عن خالد بلعربي : **الدولة الزيانية** ، ص282-283.

3- عبد العزيز فيلالي : **تلمسان**،178/1-179.

4- **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ الابن الأعرج**: لخزانة الحسنية ،الرباط ، رقم 170. ورقة 96-97. نقلا عن خالد بلعربي:**الدولة الزيانية** ، ص238.

الأخيرة، فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة، حتى بلاد إفريقية، فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي، إلى ما اعتدوه ودخلوا على أهلها، وشاركوهم فيها، فاستقوا المياه، وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأرض، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم».

وقد استمر تدفق الهجرة الأندلسية وتقاطرها، على دولة الزيانية بعد سقوط مملكة غرناطة وزوال دولة بني الأحمر سنة897هـ/1492م، ومما تجدر ملاحظته أن هؤلاء المهاجرين، قدموا إلى بلاد المغرب الأوسط وظلوا محافظين على مميزاتهم وخصوصياتهم الأندلسية[1]،وظهرت الوحدة الثقافية المغربية الأندلسية بكل وضوح في عدة مجالات منها الموسيقى[2]، والتي تعد فنا تعبيريا ابتدعه الإنسان لأداء وظائف وأدوار متعددة سواء في طقوسه المرتبطة بمجالات المقدس وإفرازاته الشعائرية والروحية التي تعتمد على الصوت البشري في تراتيلها وأناشيدها، أو تلك المتعلقة بالحياة الدنيوية التي تعتمد على الآلات الموسيقية في ممارسة طقوس العبادات والاحتفالات.[3]

والمعروف أن المجتمع الزياني اتسم بالتنوع والتعدد الثقافي والعرقي، فقد كان المغرب الأوسط مزيجا من عرب وبربر، ومن يهود ومسيحيين من الإسبان ومن الأوروبيين، هؤلاء جميعا انصهروا في بوتقة واحدة، تجلت في حرية العبادات وإقامة الشعائر الدينية، وما من شك أن التمازج الذي حدث بين المسلمين والمسيحيين إبان الحكم الزياني للمغرب الأوسط قد أسهم في انتشار هذه الظاهرة وقد كان من الطبيعي أن العناصر الساكنة بالدولة الزيانية من المسلمين شعروا بدورهم بالشعور المشترك ذاته من البهجة عندما تحين أعياد المسلمين كالفطر والأضحى وعاشوراء والمولد النبوي.

1- عمرو الطمار : **تلمسان عبر العصور**، ص215 ؛ وبسام كامل شقدان: **تلمسان**، ص151 ؛ وحاج عبد القادر يخلف:" **العلاقات الخارجية للدولة الزيانية**"، مجلة عصور الجديدة (وهران)، ع2/2001م، ص143-158، ص 152.

2Benali El Hassar:**TLEMCEN cite des grandsmaitres de lamusiquearabo-andalouse**, Alger :éditiondalimen , 2011,p41-53. تحدث في هذا الكتاب عن تأثير الفن والموسيقى الأندلسية وأشار إلى الرصيد والموروث الموسيقي الأندلسي بتلمسان من خلال تتبع معلميه وأولياءه الكبار.

3 – عبد القادر محمدي: **أنثربولوجيا الجسد**، ص 91.

ومجمل القول، فإن التجربة الزيانية في زمن الأعياد تقودنا إلى فهم متقدم تجاه مجتمع احترم تعدد الثقافات الفرعية في داخله، وجعل من تنوعها عنصر إثراء يتجاوز المعتقدات والعادات الفردية ليرسخ ثقافة المجتمع المتسامح، الذي عرف كيف تكون له أعياد أو مناسبات مشتركة، يلتئمون من حولها ويعبرون فيها عن تآلفهم مع خصوصية كل منهم العقدية.

د/ سكان الأرياف:

الأرياف والجبال كانت تقطنها قبائل أمازيغية وأكثرها من زناتة إذ أن المغرب الأوسط قد عرف منذ زمن قديم غلبة قبائل زناة، ومن أشهرهم مغراوة وبنو يفرن وبنو عبد الوادوقد اختلفت سبل معيشة تلك الأقوام فمنهم المزارعين ومنهم رعاة الإبل والأغنام ومنهم في السهول العليا والصحراء قوم رحل يضربون في الأرض طلبا للرزق وطلبا للمراعي الخصبة[1]

وهناك قبائل أخرى نازحة من المشرق الإسلامي معيشتها معيشة الرحل أيضا وقد استوطن بعض هذه البطون من قبائل بني هلال وبني سليم نواحي العاصمة الزيانية بطلب من السلطان نفسه فكانت عنصرا من عناصر الحياة في الدولة الزيانية.[2]

ثانيا: بقايا الحضور الوثني داخل الممارسات الاحتفالية

لا يمكن الحديث عن واقع الاحتفالات في العهد الزياني أيّا كان تقييمنا لها دون البحث في تاريخ حدوثها ومراحل تطورها وكيفية بقائها على مر التاريخ، فوفق العديد من الكتابات والدراسات التاريخية التي اهتمت بتاريخ منطقة شمال إفريقيا وعادات تدينها بما فيها الجانب الاحتفالي، رجحت أن المجتمع المغربي لم يكن ليتخلى عن عاداته وتقاليده بسهولة وهو ما يرجح فرضية بقاء بعض المظاهر الوثنية داخل الممارسات الاحتفالية لهذا المجتمع بحجة أن الإنسان الأمازيغي كان إنسانا طقسيا يمارس شعائره الدينية الأسطورية عبر نقل الطقس والسحر والقربان والإيمان بالجن والقوى الخارقة وعبادة الحيوانات وقوى المختلفة

1- محمود بوعياد: **جوانب من الحياة**،ص40.

2- نفسه،ص41.

ويمكن الاستدلال بما جاء عند ستيفن أقزال إذ أورد أن: «الشعب المغربي من أكثر الشعوب خضوعا لعاداته القديمة وسلوكياته الموروثة من أجداده البربر، فمنذ العصور الأولى والمؤرخون يسجلون صفات البربر الدائمة المتسمة بالقلق والطيش والميل إلى الشغب والنزعة إلى الغضب والثورة».[1]

أما عن حضارتهم فيقول قزال(Gsell): «أنها ممتدة منذ عشرات القرون لم تتجدد لأن أهلها يرفضون التقدم والتطور فعاداتهم وتقاليدهم وظروف عيشهم لم تتبدل منذ ألاف السنين»[2] ويستنتج كل من كامبس(camps)جوليان(julien)كاركوبينو(carcopino)أن البربر لا يتغيرون ولا يتبدلون عن عاداتهم وطبائعهم ولا يتطورون في سلوكاتهم القديمة[3] هؤلاء المؤرخون تناسوا بأن لكل فترةزمنية ظروف وأحداثومعطيات وعناصر ومكونات خاصة بها، ويمكن إضافة رأيكورتوا(courtoi) الذي تساءل لماذا أسلم المغاربة وتخلوا عن الحضارة الرومانية؟ وأجاب عن السؤال بكل بساطة وسطحية وعنصرية لأن الصحراء جفت ولأن الجمل دخل الصحراء، ولأن البدو الرحل انتشروا في ربوع البلاد ويقصد بذلك الفاتحين العرب.[4]

الظاهر أن الأغلبية الكبيرة لسكان المغرب كانوا وثنيين وملاحدة ومجوسا بحيث لم تكن لهم أفكار معينة عن الإله أو عن مصير الإنسان، أما الذين كانت لهم معتقدات فلا تخرج عن المعتقدات المعروفة لدى المجتمعات البسيطة في ثقافتها وحضارتها تدور حول عبادة **الشمس والقمر والأصنام**[5] كما يشير إلى ذلك ابن خلدون (ت808هـ/1405م).[1]

---

1 - Gsell s histoirancienne de ……..tom6/ p278 et tom5 p 137 نقلا عن عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**،ص16

2 - Gsell s histoirancienne de ……..tom6/ p279؛ نقلا عن عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**،ص17

3 – عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**، ص17.

4 – عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**،ص118؛ عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون**،ص21.

5 – كانت عبادة الشمس حاضر في الطقوس الدينية الأمازيغية أكثر من الديانات الوثنية الأخرى كعبادة الكبش مثلا، رغم تلاقي العبادتين وتوحدهما لدى بعض القبائل الأمازيغية التي كانت تقدس الكبش والشمس معا من خلال الإله "آمون" الممثَّل بقرني كبش تتوسطهما شمس، وهو ما تدل عليه النقوش التي تم العثور عليها بسوق أهراس بالجزائر مكتوبا فيها=

الاعتقاد في بركة الأشخاص ومثلته ثنائية الشيخ والمريد والتي يرجعها بعض الباحثين إلى أن الاعتقاد في الإنسان وعبادة القديسين قديمة قدم الإنسان [2] ، وهي حسب دوتي (Doutté)ظاهرة قديمة على الإسلام لا يمكن حصرها في شمال إفريقيا فقد عرفها البربر قبل الإسلام وتمثلت في تقديس السحرة والكهنة، ثم ظهرت في تقديس مشايخ الطرق الصوفية والزوايا لكن هذا التقديس لم يتوقف على حياة شيوخ الدين بل حافظ على بقائه واستمراره بعد وفاتهم[3] وهو ما يعطينا فكرة على التقرب للأولياء والصالحين وزيارة قبورهم في مراسم الاحتفالات لنيل البركة وهو ما ساهم في تطبع الاعتقاد في الأولياء والصلاح، وأصبح امتيازا للتوسط بين الإنسان والله حيث يعتبر المرابط كائن قاهر يستمد قوته من البركة الإلهية، كما أنه هناك من اليهود والمسيحيين ممن اعتنقوا الإسلام وتحولوا إلى مرابطين[4]، ورمزا للتقديس وتقدم له القرابين والهدايا لنيل رضاه خاصة في مواسم الاحتفالات.

الزيانيون وتقديس القبور: اهتم المغاربة الأوائل أكثر من غيرهم بأسلافهم الموتى سواء من خلال طرق النعي والتجهيز والدفن، أو من خلال ما يلي ذلك من تقديس لقبورهم وتشييد لها، والرقود عندها ونسج الأساطير والقصص حول أرواح موتاهم الطواف بها والجلوس عندها، والاستلقاء بالقرب منها أو فوقها مباشرة ومعانقتها، إلى حد مناداة أهلها للاستعانة بهم في فك المعضلات والقضايا اليومية التي يعيشها الأمازيغ، فقد كانت الرؤى التي يرونها بمثابة الوحي اللازم التصديق به وإلزامية العمل بما يتضمنه من أوامر يعتقدون أنها من أرواح أجدادهم، وهناك من الأرواح من وصلت درجة الآلهة لديهم لذا أقاموا لها الهياكل وشيدوا لها أحيانا معابد،فالقسم بهم وأداء الأيمان على قبور موتى الأمازيغ كان من

="الشمس العظيمة" بالإضافة إلى نقوش صخرية تجسد الإله في صورة كبش مستدير الوجه تحيطه أشعة الشمس الساطعة. جميل حمداوي: **الديانة عند الأمازيغ**، ص4-6.

1- **العبر**، 139/6.

2- جميل حمداوي: **الديانة عند الأمازيغ**، ص4.

3 – ادموندوتي: **NotesSurl'islam**، ص18؛ Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**–étude sur L'islam en Algérie, Adolphe jourdan libraire : éditeur, 1884, p20.

4 – ادموندوتي: **NotesSurl'islam**، ص11.Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**, p25

أعلى درجات التقديس الشّفهي لدى هؤلاء الوثنيّين، باعتبار أن الروح بعد موت صاحبها تزداد شرفا وعزّة وقداسة بمراتب فوق ما كان عليه حالها وهي في جسد صاحبها المعروف بوجاهته وخلقه وفضله في القبيلة الأمازيغيّة[1] وهو ما حذا بسكان المغرب الأوائل إلى مشاركة موتاهم في أفراحهم وإبداء السرور عندهم والجدير بالذكر أن هذا التقليد استمر لعدة قرون واستمر العمل به حتى بعد قدوم الإسلام وصولا إلى عهد الزيانيين.

أين نجد أن العادات الاحتفالية التي كانت متداولة في الدولة الزيانية تم توارثها جيلا بعد جيل حتى قبل قيامها بالإضافة إلى العادات الاحتفالية التي اكتسبتها بدخول الإسلام إلى المنطقة واعتناق أهل سكان المغرب له وتبني تعاليمه وأحكامه،إنضاف إليها عامل آخر لا يقل أهمية ألا وهو الاحتكاك بسكان المناطق المجاورة منذ القدم، ومنها ما ارتبط بالأضحية هذه المناسبة وخاصة ما تعلق منها بالعادات الغريبة والبقايا الوثنية،كالاحتفاظ بمرارة الكبش ورمي الملح قبل الذبح وغيرها من السلوكات؟ ويمكن الإشارة إلى ما يمثله الكبش لدى الزيانيين قديما فقد كانت هناك قبائل تعبد الكبش[2].

بقايا الوثنية الكبشية تتضح اليوم بأسنى تجلياتها في الممارسات التعبدية والترفيهية التي تواكب عيد الأضحى، فالخروف بالنسبة لكثير من القبائل الأمازيغية لا يزال ذا قيمة فوق مجرد الأضحية التي يراد منها التقرب إلى الله. لتتعدى وظيفتها الدينية إلى تقديس أطرافها وجلودها وبعض أعضائها، سواء أثناء ما يسمى "بوجلود" حينما يتهافت الشباب على ارتداء الجلود ومطاردة بعضهم البعض مع ما يصاحب ذلك من ضرورة احترام المُجسد المُرتدي لهذه الجلود والهيبة التي يضفيها عليه عوام الناس، أو من خلال بعض الطقوس العلاجية بواسطة حوافر الأكباش، حين تتقدم النساء إلى "بوجلود" أو "بيلماون" و"إمعشارن" كما يسمى في سوس لتقديم رقى شركيّة لهنّ ولأبنائهنّ بالضرب على الظهر بعد إحامة

---

[1] – عثمان محمد العربي:**الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، عين مليلة– الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م،ص246.

2 – عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون** ،ص26؛ وعثمان محمد العربي: **الاقتصاد والمجتمع، ص250.**

الحافر على رأس المُعالَج بضع مرات، أو من خلال طقوس السلخ التي تعتبر أعضاء من الكبش ذات قيمة قدسيّة خلاف بقية الأعضاء الأخرى، هذا دون الحديث عن التعويذات المصنوعة من قرون الكبش لدفع العين و الحسد.

تشير كتابات علماء الاجتماع المعاصرين إلى أن شعيرة التضحية بكبش يوم عيد الأضحى مع أفضلية الكبش الأقرن، اصطدمت بقوة بمعتقدات القبائل الوثنية الكبشية التي وفدت عليها شعيرة عيد الأضحى ضمن ما وفد من شعائر الإسلام، والتي كانت تعتقد في الكبش الأقرن الصورة الوحيدة للإله. إذ استشكلوا ذبح أفضل صور آلهمتهم اتباعا للدين الجديد، وهو الأمر الذي نفّر الكبشيين من الإسلام، ودفع بمن أسلم منهم إلى محاولة التوفيق بين الإسلام والوثنية خشية لعنة قد تلحقهم من ذبح الكبش، سواء بارتداء جلودها أو تقديس لحمها وقرونها، للإبقاء على أكبر ما يمكن من وشائج الصلة بالمعبود القديم.

إذا كانت دماء الأكباش في زمن الوثنية مقدسة وذات قيمة روحية فوق أي دماء أخرى، فإن هذه العقيدة لازالت قائمة إلى يومنا هذا بالمغرب، حين يقوم المضحون بأخذ عينات من دم الأضحية وتلطيخ أماكن من البيت بها ردا للعين وحفظا لساكني البيت، كما يعتبرون وقوف الكبش على قدميه بعد ذبحه فأل خير وبشيرا على دوام العافية في البيت، ما يؤكد مرة أخرى أن الكبشية ظلت تفرض شعائرها الغابرة رغم انقضاء 12 قرنا كاملة على اعتناق المغاربة للإسلام.

هذه نماذج من السلوكات التقليدية المرتبطة بشعيرة الأضحية والتي ليس لها أساس ديني، أو مبرر عقلاني أو علمي ورغم شيوعها نسبيا كطقوس مصاحبة للأضحية، إلا أنها سلوكات تتجه نحو الانحسار في كثير من البيئات المدينية والمتعلمة بل وحتى في البوادي بتأثير من اتساع تأثير الفقهاء في مقابل تلك الشعبية. غير أن هذا النوع من العادات لا يمثل في الواقع سوى جزء من العادات المرتبطة بالعيد وخاصة عيد الأضحى،حيث تبرز بشكل كبير جداً التعبيرات التضامنية وعادات التراحم.

ثالثا: التداخل بين الدين والسحر داخل الطقوس الاحتفالية

لمعالجة هذا العنصر حري بي التعريج على المقصود بالدين **لغة واصطلاحا:**

أ- الدّين:لغة: يقول ابن منظور في اللسان هو«الجزاء والمكافأة ودنته بفعله دينا: جزيته، وقيل الدَّيْن المصدر، والدِّين الاسم...، ويوم الدِّين: يوم الجزاء، وفي المثل كما تُدين تُدان أي كما تجازي تُجازى أي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت...»[1].

ب- الدّين اصطلاحا:

هناك تعريفات عديدة للدّين ويمكن استعراض رأي عطية صقر الذي يقول هو:«الوضع الإلهي الذي اختاره الله لعباده ليصلحهم في الحياتين، وقد يكون عالميا بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص أو بيئة معيّنة»[2]، أو هو « وضع إلهي لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنا وظاهرا »[3].

أما عن مفهوم الدين هنا فهناك من يرى بأنه تلك المجموعة المتماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم القدسي والتي تنظم سلوك الإنسان[4]، وهناك من يرى بأن الدين يعبر عن نسق إيديولوجي يظهر من خلاله سلوك مميز للأسلوب الخاص للممارسات والطقوس والشعائر الفردية والجماعية، فالطقوس والمراسيم مع كونها تنبع من الاعتقاد الديني فهي أيضا مؤثرة فيه وعليه من الناحية الأخرى[5]، إن الحديث مجموع العقائد والعبادات بما في ذلك الاحتفالات بالأعياد خاصة التي لها قدسية دينية، ومنه فإن الدين شرح لنا أو بالأحرى بين لنا الأعياد التي يحتفل بها ووضع لها أطر شرعية والذي نقصد به التدين ومنه فالتدين هو الطريقة التي يعبر بها المتدين عن علاقته بالدين، والتدين هو التجربة المعيشية

---

[1] - ابن منظور: **لسان العرب**، 204/13.

2 - عطية صقر: **الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه**،الأزهر- مصر:مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس، 1988م، ص10.

[3]- زكي محمد إسماعيل: **في الدين والمجتمع**- سلسلة الإسلام والعلوم الإنسانية-،الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، 1989م، ص06.

4 - مهدي محمد القصاص: **علم الاجتماع الديني:** المنصورة- مصر، 2008م، ص17.

5 - هنري برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**،ط1، تر: ساسي الأوربي، مصر: مكتبة النهضة، ص110.

والسريرة والشعور الديني[1]، على أنه أيضا الطريقة التي يتبعها المرء ويظهر إيمانه قبالة العالم الخارجي، ومنه يمكن القول أن التدين هو السلوك الفردي والجماعي اتجاه ما يشتمل عليه الدين من عقائد وقيم أخلاقية وممارسات تعبدية ورموز طقوسية بما فيها الاحتفال في طابعه الديني.

في مقابل الدين نجد ظاهرة السحر والشعوذة ومعرفة الغيب والتي كانت منتشرة في بعض مناطق المغرب الأوسط منذ القدم، كما عرف المغاربة بعض المعبودات عن طريق قرطاج، وعبدوا النار بحيث كان لبعض القبائل بيت للنار يتعبدون فيه[2]، واستمر الربط بين الاحتفالات الدينية وبعض الممارسات المرتبطة بالسحر حتى عهد الدولة الزيانية ويتضح لنا هذا جليا في بعض الاحتفالات كالاحتفال بعاشوراء.

إذ أن هناك من الناس من فضل تخصيص ليلة عاشوراء لممارسة أفعالهم الشيطانية باللجوءإلى اقتناء مواد السحر والشعوذة، اعتقادا منهم بأن ليلة عاشوراء لها تأثيربالغ في إبطال أو تحقيق مفعول السحر، ومن الأمور الأخرى التي يحيي بها المغاربة هذه الليلة "إشعال النار" وصبالماء كعادة ضمن الاحتفال بهذه الليلة لاعتقادهم بأن الماء تفيض منه البركة كما تفيض على جميع الأمكنة والأشياء وخاصة ماء الضريح والذي يصير في اعتقادهم ماءا مطهرا شافيا وتراب الضريح معالجا ورادا لكل سوء.[3]

رابعا: الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال وإقامة الأعياد

تعود جذور العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط والمرتبطة بتعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها أماكن مقدسة وبقعا للاحتفال وإقامة الأعياد إلى تاريخ ما قبل اعتناق الإسلام، وهو ما أشرنا إليه في عنصر البقايا الوثنية، لذلك فإن الدور الريادي الذي استوعبته الأضرحة والطرق والزوايا، والذي حول هذه المنظومة إلى مزاعم وطقوس ومعتقدات تتناسب مع الأفق الذهني السائد بانفتاحها على الموروث الديني المشترك للمجتمعات الزراعية

1 – أوليفيه روا: **الجهل المقدس– زمن بلا ثقافة**،ط1، ترجمة: صالح الأشمر، دار الساقي،2012م،ص61.

2– عبد العزيز فيلالي: **المؤرخون الفرنسيون** ،ص26 .

3– عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**، ص69.

المتوسطية القديمة، واستقطابها لجانب كبير من الشرائح المفقرة وحتى المهمشة داخل هذه المجتمعات، الأمر الذي يدل على عمق التحولات التي عايشتها هذه المنظومة الدينية والثقافية واتصالها العضوي بالتاريخ والإنسان.[1]

تعتبر ظاهرة زيارة الأضرحة والأولياء من بين الظواهر التي كانت منتشرة في المغرب الإسلامي ككل، حيث كان العامة من الناس يعتقدون في الأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم[2]، ومنه فزيارة الأضرحة أقل ما يقال عنها أنها ظاهرة ثقافية وسلوكية أنتجت مفاهيم وممارسات خاصة، وعليه يمكن القول أن المغرب الأوسط ظل رهين هذه العادات الوثنية على مر العصور رغم وجود فترات طغت فيها عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبودية بعيدا عن الممارسات الوثنية العائدة جذورها إلى قرون ما قبل التاريخ وعصور ما قبل الإسلام، واستمر هذا الوضع لعدة قرون وحتى بعد مجيء الإسلام لهذه المنطقة، وما جاء به من نواهي وزواجر لمثل هذه التعبدات والعادات.

ولم يكن بعض أفراد المجتمع الزياني بمعزل عن اتخاذ الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال، بالإضافة إلى تقديس الأولياء وأخذ البركة منهم في إقامة الاحتفالات، لتشكل والبهجة بهذه البركة، وعليه فقد كان الناس خلال فترة حكم يغمراسن(633-687هـ/1235-1281م) يقبلون إقبالا كبيرا على زيارة الأولياء الصالحين[3]، وقد دعم هذه العادة السلطان الزياني يغمراسن والذي كان معجبا بهؤلاء الأولياء ساعيا للتقرب منهم راغبا لنيل بركتهم فكان يكثر من زيارة الشيخ الصالح سيدي أبي عبد الله محمد بن عيسى[4]، الذي كان يزوره بمدينة أجادير، واشتهر هذا الولي بكثرة حجه إلى بيت الله الحرام حيث وصل عدد حجاته إلى خمسة وعشرين مرة، وكذلك زيارته للولي أبي البيان واضح في مقره بجبل

1- لطفي عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية**، ص12.

2- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان**،390/2؛ خالد بلعربي:**الدولة الزيانية**، ص301.

3- مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص197؛ خالد بلعربي: **الدولة الزيانية**، ص301.

4- يعتبر أبو عبد الله محمد بن عيسى رجلا صالحا وعالما ورعا كانت له كرامات ومكاشفات يوجد قبره خارج باب العقبة **.البغية**:112/1.

أفرشان[1]،ووردت إشارة عند التادلي أن الناس كانوا يستشفون بقبر أحد الصلحاء[2]، اعتقادا منهم بأن تراب القبر له خاصية عجيبة في شفاء الناس من الأسقام.

وللزاوية رمزية قدسية تستحق الزيارة والتبرك بها سواء في حياة الشيخ أو بعد وفاته وغالبا ما يدفن الشيخ بعد وفاته في الزاوية التي أسسها ويصبح الضريح[3] كنصب تذكاري في شكل مكان مقدس للزيارة والتبرك به، ويرث الأبناء والأحفاد الزاوية وتتحول سلطة الزاوية إلى الابن الأكبر، وهو ما حدث في الزاوية الملاَّرية مثلا، والتي بها قبر الشيخ يعقوب الملاري (717هـ/1317م) الذي ابتعد عن تيار التصوف الفلسفي الذي يأخذ من الشطحات والرقص برنامجا له[4]، وهو ما جعل هذه الزاوية تأخذ مكانة خاصة في قلوب الناس وهو نفس الشيء الذي شهدته زاوية العباد بتلمسان[5]، لا يخفى على أحد العلاقة المتينة التي كانت قائمة بين الزاويتين.

وكانت تمارس في الزاوية الطقوس والشعائر والاحتفالات تعظيما لمؤسسيها مما ساعد على إنتشار الأضرحة والمزارات في المدن والأرياف، وكونت إيديولوجية شعبية تجلت فيها التمثلات والقيم والاعتقادات والممارسات والطقوس، وبعض العادات الاحتفالية كذهاب العروسين للضريح أو الزاوية لأخذ البركة والدعاء لهما لاستمرار حياتهما وسعادتهما معا وتكثر زيارة الزوايا والأضرحة في مواسم الأعياد أكثر من غيرها بشكل ملحوظ أين يمكن رصد بعض المظاهر الاحتفالية بها، كإشعال الشموع وتقديم الطعام وكسوة قبر الضريح وتقديم القرابين وغيرها.

1- بوداود عبيد: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)**، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، الجزائر :دار الغرب للنشر والتوزيع،2002م، ص226.

2 – وهو محمد عبد الله ابن يحى بن يجاتن الزناتي. **التشوف**، ص132

3 – الضريح هو معلم قدسي طقوسي تتوفر فيه معالم العظمة والهيبة والصلاح له حرمة خاصة، والضريح كبناء محتضن ومؤسس لبركة الولي الصالح يعد الشاهد المعماري على امتدادات المقدس في الأرض كما انه الدعامة الوسيطية بين الأرض والسماء فالقبة المتجهة إلى الأعلى تبرر هذه العلاقة الوسيطية وتدعمها معماريا . عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**،ص31.

4- عبد العزيز فيلالي: **الزاوية الملارية**،ص110-111.

5-**نفسه**،ص-111-112.

ففي صبيحة يوم عيد الفطر يقوم الناس بزيارة المقابر وأضرحة الأولياء الصالحين مثل أبي مدين الغوث[1] بالعباد، والذي كانت له شهرة كبيرة فأحد السلاطين المرينيين لما دخل العباد توجه إلى ضريح شيخ المشايخ سلطان العارفين أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي فأطال به المقام وواصل الدعاء وأدام[2]، ويمكن إضافة غيره من الشيوخ والأولياء المدفونين بالقرب من أبواب المدينة وفي المقابر الخاصة والعامة، كأبي إسحاق الطيار وضريح أبي عبد الله الشودي الحلوي[3]، وهو نفس الشيء الذي يقومون به في فهي الأخرى مناسبة لزيارة المقابر اعتاد بعض الزيانيين صبيحة كل ذكرى عاشوراء التوجه صوب المقابر للزيارة والترحم، وتشهد إقبالا كبيرا من طرف الزوار كما يقومون برشها بالماء اعتقادا منهم أنهم يباركونهم بهذا العمل، ثم يتصدقون على المساكين بالتين المجفف وأقراص الخبز وعلى موتاهم بقراءة القرآن كطقوس تابعة للاحتفال بهذه المناسبة، وهناك من الصلحاء الزيانيون من كان يزور المقابر في أيام مخصوصة كأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق.[4]

انضاف إلى ما سبق شيوع نمط من الغناء عرف بالحوفي، وهو من المقطوعات الشعرية في صورة موشحات أو رباعيات تؤديها الفتيات والنسوة خلال نزهتهن عبر الخمائل وعند الشلالات أو في طريقهن لزيارة أضرحة الأولياء والعيون القريبة منها، ويؤدى في الهواء الطلق.[5]

مثال:

1- الغوث هي درجة من درجات الولاية فهناك السالك والمجذوب والبهلول والوتد والجرس والبدل والنقيب والنجيب والبهالي والصالح والملاشي والغوث والقطب وقطب الأقطاب في قمة الولاية وهي درجة عليا لا تتحقق إلا للجامعين الأحوال والمقامات فالقطب يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه وهي درجة لا تتحقق إلا بعد طول مجاهدة وعمق عرفان. عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**،ص37.

2 – النميري: **فيض العباب**،ص486.

3 – نفسه،ص486.

4 – ابن مرزوق: **المناقب**،ص154.

5- جيلالي صاري: **تلمسان الزيانية**، ص117.

تلمسان يا الباهية *** بين الجبال ضاوية

فيك سيدي بومدين *** عالم اشبيليـــــــة

فيك سيدي عبد القادر *** يا إمام الأولياء

فيك لالة سيتي *** ذيك الوصيلـــــة

فيك سيدي بوجمعة *** يا مضوي الشمعة.[1]

وباختلاف الطرق الصوفية التي كانت سائدة في المغرب الأوسط اختلفت الطرق والممارسات الاحتفالية داخل الزاوية ونود هنا أن ننوه إلا أنه لا يوجد خلاف في كون الطرق الصوفية بالدولة الزيانية تستمد مرجعيتها الدينية من السيرة النبوية الشريفة، وتتخذ من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج المقتدى في السلوك والفعل، وهذا ما يؤكده نور الدين الزاهي حينما قال:«ترى أغلب الطرق الدينية المغربية بعودة سلاسلها الصوفية إلى الشاذلي فالجنيد فالنبي، باستثناء الطريقة القادرية التي تربط ذاتها بعبد القادر الجيلاني والتجانية التي تعتبر ذاتها منحدرة من النبي مباشرة».[2]

وقد طالت تلك الطرق الصوفية في العهد الزياني خاصة في الفترة الأخيرة منه الكثير من الانحرافات والسلوكات الشاذة التي أخرجتها من مجال المقدس إلى المدنس من خلال بروز جملة من البدع التي تفشت في وسط مريديها، خلال الاحتفالات بعيد الفطر والأضحى وبشكل أخص في الاحتفال بالمولد النبوي، وفي هذه المناسبات تنطلق الاحتفالات بالتهليل والتصلية على الرسول والذكر والسماع الصوفي، لكن سرعان ما يتم العبور إلى المدنس من خلال طقوس الحضرة والجذب[3]،لأن كثيرا ممن يُسمون بالأولياء الصالحين ويقصدون

1- جيلالي صاري: **تلمسان الزيانية**،ص118.

2- نور الدين الزاهي: **بركة السلطان**، سلسلة دفاتر، 2007م، ص 16.

3- الجذبة في بعض الكتابات المحلية والأجنبية ممارسات همجية متخلفة فيما الأمر بالنسبة للباحث والسوسيولوجي الأنثربولوجي يبدوا مختلفا عن هذه الأحكام فالجذبة اشتغال طقوسي رمزي على الجسد والروح.عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**،ص6.

بالزيارة، وما يُشاع عنهم من خرافات وقدرات ومعجزات وكرامات، تؤكد لنا بعض الطقوس الاحتفالية المصاحبة لتعظيم آثارهم.

زيارة الأضرحة[1] وتسمى أيضا قبور الأولياء والشرفاء أو الصالحين مخفية عادة في أبنية تعبدية ويعتبر الضريح في المخيال الشعبي رمز التقوى والصلاح والمنزلة الرفيعة عند الله ومكان البركة، والتي تعد سائل مقدس يفيض من المرابط ويمتد إلى كل ما يمس هذا الولي من ثياب وماء، وبعد الموت تظل جثته محتفظة بالبركة وتظل عالقة بقبره،[2] أو مكان مر به في حياته أو جلس فيه فالقدسية هنا قدسية مكان أكثر منها قدسية شخص، والمقصود بالزيارة في إقامة الاحتفالات هو المكان لذا فقد كان الزيانيون يجتمعون في حشود كبيرة في يوم الجمعة وعاشوراء وخاصة المولد النبوي، لإقامة احتفالاتهم ومواسمهم ويقصدون أولياء الله حسبهم في الزوايا والأضرحة، والتي كانت القبلة المفضلة للأسر الزيانية، كما كانوا يتناولون الطعام الذي يتقدم به المحسنون.

هذا فيما يتعلق بعلاقة الأضرحة والزوايا كأماكن لإقامة الاحتفالات الدينية لكن الأمر لم يخلو من قصد الناس لهذه الأماكن كعادة في إقامة احتفالاتهم المدنية أيضا، كالولادة فعندما يحين الوضع تدخل المرأة مرحلة صعبة في فترة المخاض، فكثير من النساء استعصت عليهن الولادة ولأن أغلب النسوة في تلك الفترة لم يكن على مستوى كبير من الثقافة والتعلم فقد كن يؤمن بالخرافات والشعوذة، ويرون أن اللجوء إليها نوعا من التخفيف من ألآم المخاض وتسهيل الوضع عليهن، ومنها أن مؤدب الكتاب يقوم بإرسال الصبيان يطلقون رداء يمسكون بأطرافه ويتجولون في طرق المدينة مرددين بعض الدعوات وأثناء قيامهم بهذا العمل يلقي أصحاب الدكاكين والمارة التين والبيض والدراهم[3] ويمر الصبية

---

1 – الزيارة وتعني الحج لغويا ومنه فزيارة الأولياء هي حج رمزي يتم الاستعاضة به عن الحج إلى مكة فعن طريق التمسح بقبر الولي أو الثوب المغطى به يستعيد الزائر طقس المسح بالكعبة الحجر الأسود.عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**،ص114.

2– روجيه باستيد: **مبادئ علم الاجتماع الديني**،ط1، تر: محمود قاسم، المكتبة الانجلوسكسونية، 1951،ص65.

3– إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**،ص33

بأضرحة الصالحين بالمدينة ويغطسون الرداء في السواقي والصهاريج حتى تتكسر بيضة أو عدد من البيض الموجود في الرداء، فيعتقدون أن الحامل قد وضعت وتخلصت من أوجاعها فيعودون إلى المكتب، ويستحوذ المؤدب على ما فيه من مواد ودراهم.[1]

كما جرت العادة أن يتجه العروسان بعد انتهاء الحفل إلى بعض الصلحاء برسم الدعاء لهما والتبرك عليهما ويضحكهما- الولي الصالح- حتى يقع بينهما الأنس والليف المأمول وينصرفوا لبيت بنائهما،هذه العادات الاحتفالية أرست بظلالها على الشعائر التعبدية لساكنة المغرب الأوسط إذ ظلت خلائط بين ما هو إسلامي وما هو وثني قائمة في الممارسات التعبدية اليومية، بسبب توغل علائق الماضي في قلوب الناس وصعوبة الانفكاك والانسلاخ من ماض وضعته أمازيغ المغرب الزياني وراءها تاريخا منسيا، رغم البقايا العالقة التي حاول بعض المستشرقين إحيائها وبثها من باب إحياء التراث المغربي ككل والجزائري بشكل خاص وذلك من خلال كتاباتهم وبحوثهم.

إن الدارس في العلاقة القائمة بين الاحتفالات كطقوس وممارسات وبين حقيقتها المفترضة، يتبين له التأثير الكبير في بعض الممارسات الاحتفالية للعنصر الوافد على المغرب الأوسط من يهود ونصارى وأندلسيين وما نقلوه معهم من أعياد وطقوس وممارسات خاصة بهم تداخلت مع ما هو موجود أصلا لتخلق ثقافة احتفالية متنوعة، لم تخلُ من بعض الممارسات السحرية والتي لا تمت للدين بصلة دون أن ننسى الدور الكبير الذي لعبته الزوايا في بعض الاحتفالات بخاصة الدينية منها.

---

1 – إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس**،ص33

خاتمة

إن المتتبع للعادات الاحتفالية، يتبين له مدى حضور البعد الديني في العادات والتقاليد الاحتفالية، سواء ما كان منها متأثراً بالإسلام أو بالمعتقدات السابقة عليه، فإنه لا يلبث أن يلاحظ مدى تجذر الشعور الديني في أعماق الزيانيين، دون أي تمييز بين ما هو إسلامي وما هو سابق عليه والسبب أن الإسلام امتص كثيراً من العادات الوثنية القديمة أو عمل على إبطال معتقَدها، وبعد دراستي لأهم العادات الاحتفالية في المغرب الأوسط الزياني خرجت ببعض الخلاصات أهمها:

أن بعض العادات الاحتفالية الدخيلة على المجتمع الزياني قد أصبحت بمثابة أمور ملزمة وواجبة يقوم بها المحتفلون،أما عن هوية هذه العادات الاحتفالية بشقيها الديني والمدني العسكري، فقد شابه نوع من التداخل والتأثر ببعض الروافد كالحضور الهلالي في حواضر الدولة الزيانية والذي حمل معه خصوصيات اعتبرت إضافة لما كان موجودا.

لقد وقف فقهاء الدولة الزيانية من بعض العادات الاحتفالية التي لا تمت بصلة لا للدين الإسلامي ولا للخصوصية المغربية موقف الرافض لبعض الممارسات والطقوس، كما أجازوا بعضها الآخر.

أجمعت الدراسات الكولينالية على إرجاع الموروث الثقافي المغاربي بما فيه من عادات وتقاليد احتفالية ككل، إلى جذور وثنية ورومانية قديمة سابقة للوجود الإسلامي ببلاد المغرب الأوسط، في محاولة لطمس الهوية الأمازيغية العربية الإسلامية للجزائر بغية إضعافها والقضاء عليها.

إن التأثير الواضح في بعض العادات الاحتفالية الزيانية يرجع بالدرجة الأولى إلى اليهود والنصارى والأندلسيين وما نقلوه معهم من عادات وأعياد وطقوس وممارسات خاصة بهم،كما لم تخلُ العادات الاحتفالية الزيانية من بعض الممارسات السحرية التي تداخلت مع العبادات الدينية .

في الأخير يمكنني القول أن الحاجة اليوم قد أصبحت أكثر إلحاحاً على التمسك بهذه الهوية في مختلف مكوناتها الدينية واللغوية والثقافية، ذلكم أن المجتمع الجزائري، واجه تحديات متنوعة ومتعددة خاصة من طرف المستعمرين كان القصد من ورائها إضعاف المعتقد الديني أو تهميشه أو إقصاء قيمه من خلال إضفاء الصبغة الوثنية على كثير من مظاهره بما فيها الأعياد الدينية وطرق الاحتفال بها دون أن تسلم باقي الفعاليات الاجتماعية من هذا التشويه وهو الذي نقل لنا صورة ضبابية عن تاريخ الجزائر بشكل عام والفترة الوسيطية منه بشكل خاص.

مما يتطلب موقفاً إيجابياً ينطلق من إدراك أهمية التراث الشعبي ومكوناته التي منها العادات والتقاليد؛ على ما بينها من تباين واختلاف، وعلى ما فيها من تنوع وتعدد، تبعاً لطبيعة البيئة – عربية وأمازيغية وصحراوية – وغنى تاريخها الحضاري والثقافي، وما يُشكل من هُويات فرعية أو محلية.

إن هذه العادات الاحتفالية في المغرب الأوسط الزياني وما حوته من ممارسات وطقوس شكلت تراكماً له قيمته وفاعليته في إغناء التاريخ الجزائري والتراث الوطني فالأجواء الاحتفالية المرتبطة بالأعياد الدينية هي جزء من التراث الاجتماعي المشترك وتكتسب قوتها بالنظر إلى مكانتها الرمزية كشعيرة دينية وسلوك عبادي ومن خلال قداستها كحدث وزمن وطقوس ترتكز حولها كل التقاليد والعادات الوضعية والتي وإن لم تكن لها نفس المكانة الدينية فإنها تتقى بالشعيرة الدينية وتترسخ كتقليد متوارث الذاكرة الجماعية هي القناة الأساسية التي تستمر من خلالها ثقافة المجتمع التي تمتد لأدق تفاصيل الحياة اليومية بطقوسها ومناسباتها وعاداتها المتنوعة التي تمثل الأعياد محطة مركزية فيها العادات الاحتفالية لها مكانتها وسلطتها الرمزية وقدرها على الاستمرار والتعايش مع كل أشكال التغير والتبدل.

وإخضاعها للبحث والدرس والنقد، لمزيد من الاستفادة منها في كل المجالات الحيوية. ولعبت العادات الاحتفالية دورا هاما على صعيد تاريخ الأفكار والعقليات والمؤسسات وعلى

صعيد التاريخ الديني والاجتماعي ككل وفي عملية تشكل الشخصية التاريخية والمخيال الجماعي نتحسس آثارها إلى الآن في سلوكيات شرائح واسعة من المجتمع الجزائري وفي علاقته بالمقدس.

ملاحق

الملحق رقم (01)

الساعة الأولى: (المتقارب)

أمولى الملوك وأعلى الأمم ومن جــود العالم الكل عم

مضت ساعة ليت لو تثني فإن الحيـاة بـــكم تغتـم

ولله وجـهك لمـــا بــــــدا وقد خلته البدر في الأفق تم

عليــه لأجل التـقى هيــبة وفيه من الفضل بشر الكرم

أقمت بمولـد خير الــورى سرورا لكم بالمعالي حــكـم

طويـت الفؤاد على حبـــه ففعلـك هـذا عـلى ذاك نـم

فنلت السعـادة دنيـا وأخرى وحـزت المـفاخر دون الأمم

فـدم مـا حـييت لنـا مـلـكـا تطيعك عرب الورى والعجم

الساعة الثانية:(الكامل)

أخليفة الرحمان والملك الذي تعنوا لـــعز علاه أمـــلاك البشر

لله مجلسك الذي يحكي علا بك مالكــــي أفق السما لمن نـظـر

أو مـا ترى فيه النجوم زواهرا وجـه الخليـفة بيـنـهن هو القمــر

والليل منه ساعتان قد انقضت تثني عليك ثنا الرياض على المطر

لازال هذا الملك منصورا بكـم وبلغت مم ترتجــي أسنــى الـوطــر

الساعة الثالثة: (المتقارب)

أمولاي يا ابن الملوك الألى لهــم في المـعالي سنــي الرتب

تولــت ثـــلاث من الليل أبق تلك الفخر في عجمها والعرب

فـدم حجـة الله فــي أرضـه تــنـــال شـــئـــتــه مـــن أرب

الساعة الرابعة:(المجتث)

يا واحدا في المعالي ومالك الفضل أجمع

مــولاي دمـت عليــا مضت لـليلـك أربــع

لازلـت تفنـي الأعادي   وللمفـاخر تجمع

الساعة الخامسة: (الرمل)

يا أمير المسلـميـنـا   وجـمـال العـالمـينا

والذي حـاز المعالي   كلـها دنـيـا وديــنا

قد مضت لليل خمس   حسنـها راق العيونا

وانقضى النصف فاه   هكذا تمضي السنونا

دمت في عز وسعد   خالـد المـلـك مكيينـا

الساعة السادسة: (المجتث)

يا واحدا في علاه   من بأسه في عساكر

ست من الليل ولت   ما إن لها من نظائر

دامت لياليك حتى   إلى المـعـاد نواضر

الساعة السابعة :

يا من له الفضل طبع   والفخر فيه سجية

مرت من الليل سبع   ما إن لها مثنوية

لازلت والشمل جمع   يعليك رب البرية

الساعة الثامنة:

يـــا أكرم الخلق ذاتا   وأشرف الناس أسره

مرت ثمان وأبقـــت   في القلب مني حسرة

فيهن كان شبــابـــي   أخـا نعـيـم ونــضـره

ولى بها الدهر عني   تـرى لـها بـعـد كـره

فالله يبقيــك مـولـــى   يطيل في السعد عمره

الساعة التاسعة: (البسيط)

يا أوحد الناس في مجد وفي شرف   وأفضل الخلق في بأس وفي كرم

مـولاي تاسعة الساعات قد ذهب والـلـيل مـن بعـدها قد عـاد ذا هـرم

كذا يمر ولا ندري الزمـــــان بنا وينقضي العمر في اللذات والندمي

من كل ذا عمــل في البر مثلكم يــا فـــوزه يـــوم تخشى زلــة القدم

لا زلت ذا عزة والملك ذا شرف بكـــم وأنتـم مـدى الأيـام فـي نعم

الساعة العاشرة:

يا مالك الخير والخيل التي حكمت لــه بعـز علــى الأيــام مقتـبل

هذا الصبـاح لقـد لاحت بشائره والـلـيل ودعنا توديــع مرتـحـل

لله عشـر مـن السـاعـات بـاهـرة مضين لا عن قلي منا ولا ملـــل

كذا تمر ليالـــي العـــمر راحلـة عنـــا ونحن من الآمال في شغل

نمسـي ونصبح في لـهو نسر بـه جهـلا وذلـك يدنينـــا من الأجــل

والعمر يمضي ولا ندري فوا أسفا عليـــه إذ مـــر فـــي الآثــام والزلــل

يا ليت شعري إذا كيف الخلاص به ولم نقـدم لـه شيئـا مـــن العـــمل

يـــا رب عفـــوك عمـــتا قد جنته يدي فلـيس لـي بجزاء الذنب من قبـل

يـــا رب وانصر أميــر المسلمين أبا حمو الرضى وأنله غاية الأمل

وابق في العــز والتمكيـن مدتــه وأعـل دولتـه الغـراء فـــي الدول

يحي ابن خلدون: **البغية**، 414/2

الملحق رقم (02)

قصيدة الفقيه أبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني:

مدح النبي المصطفى العدنانـــي	هو عدتـــي لقيامتـي وكفـانـــي
صيرته شغلـــي وغاية مقصـدي	حتـى ثوى بجوانحـــي وجنانـــي
وسعت محبته بقلبـــي فاكتفـــى	وجرت مجاري الروح من جثماني
لم لا وهو خير العباد المرتضى	وأجـــل من وطأ الثـــرى ببنـــان
الهاشمي الأوفى الكريم المجتبى	من جاءنـــا بالنـــــور والبرهـــان
زيــــن القيامة شافع ومشفـع	في مذنب أو معتـــد أو جـــــان
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم	وهو الدليـــل لجنـــة الرضـــوان
من أجله خلق السموات العلى	رب العبـــــاد مكـــون الأكـــوان
ودحى البسيطة فوق ماء جامد	سبحـــــــانه مــن مـــلك ديــان
من أجلــــه خلق الخلائق كلها	متخـــــالفي الأشكـال والألـــوان
وضعته أم لم تجد في وضعه	ألمـــا كمـا يأتـــي إلـــى النـسوان
في ليلة أهدت لنا كل المنــــى	بظهور خيـــر الخلق من عدنـــان
أربيع زرت زيارة محمــــــــودة	أزهـــارها عبقت بكـــل مكــــــان
وكسوت وجه الأرض حلة سندس	خضراء أجـــمل ما تـــرى العينـــان
لك يا ربيع على الشهور مزية	أزجـــيـــتـها بالحـــسن والإحســـان

حزت المفاخر والمحاسن كلها وعلــوت في العليــا على الأكوان

فيـــــك استهل نبينا وحبيـبنا وشفيــع أهـــل الذنب والعصيــان

لمــــا بــدا في صورة قمرية بل دونــها في حسنـــها القمـــران

واتـى بوحي صادق من ربــــه ودعـــا إلى الإســـلام والإيـــمان

طارت عتات الجن في أفق السما فأصابهـــا شــــــتب من النيـــران

وتنكست أصنام قيصر كـلــها من حينها سقطت على الأذقــــــان

فكأنـــــــها قرئت عليـها آيـة وجب السجـــود لهـــا مـــن القـــرآن

والتاج عن كســرى تساقط هيبة وتفرقـــــــت أجـــــزاؤه نصفـــــان

وتهدم الإيوان من أركـــــــانــه خوفــــا فلا تســـأل عـــــن الإيـــوان

والماء غاض من البحيرة وانطفت نيـــــران فـــارس فـــي أقل زمـــان

والراهب المعلـــوم قال لــــجده احــــذر بنيــك من أذى الكهــــــان

واحفظه من كيد اليهود ومكرهم وعـــــداوة الأحـــبـــــار والـرهبـــان

فهو الرسول إلى الورى علم الهدى ومعيـد أهـل الكفــر والعــصيـــان

كم ذا لــــه من معجزات جمـــلة ظهـــرت ومـــا خفيت علـى إنسان

والجذع حـــن لــــه لمحض محبة وبكى بدمـــع ســـاجم هتـــــــان

والبدر أكبر آيـــــة في شقـــــه دلت عليــــه لــــمن له عينـــان

ثم الغمامة فوقـــه مهمـــــا يسر هذا لعمـــرك أعظـــم البرهـــان

والضب خاطـــبه ونـــادى معلنا حييت يـــا من خـــص بالفرقـان

أنت النبي الهاشـــــمي المجتبى صلـــى عليـــك الله كـــل أوان

والماء حتى من أصابعه جـــرى فروى جميـــع الجيش دون تـوان

ثم الحجارة كلمته بلا امتـــــــرا من غيـــر جارحة وغير لســـان

هذا وكـــــم ظهرت له من آية كالشمس نـــاشرة على البلـــدان

صلى عليك الله من علم هدى مـــا غرد القمري في الأغصان

وانصر بجاهك يا مجيب إمامنا خير المــلوك وسيد الشجـــعان

ملك همام في الحروب غضنفر مفنـــي العــداة بمـــرهف وسنـــان

قهر الملوك بمشرق وبمغـــرب ويسمى على الأملاك من قحطان

تاج العلى بدر الدجى سيف الفدى كهف الضعـــيف وملجأ اللهفـــان

سند لما أجنى عليه زمـــــانه والمـــــورد السلســـال للظمـــتآن

يا طلعة البدر بالخير ضياؤه عش فـــــي سرور دائم وأمـــــان

مجهول: **زهر البستان:** ص44-45-46.

قائمة المصادر والمراجع

المحررات باللغة العربية:

المخطوطات:

1- علي بن سلطان محمد هروي القاري: **المورد الوي في المولد النوي**، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة – الجزائر، رقم 1694، 34 ورقة.

2- ابن مرزوق أبو عبد الله علي ابن محمد ابن احمد الحفيد التلمساني (ت842هـ/1438م)،**نوازل مخطوط رقم:1342** ، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة– الجزائر، 42ورقة.

3- مؤلف مجهول: **مخطوط سيرة زواوة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة–الجزائر، رقم 1024.

المصادر:

1- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي (ت256هـ): **صحيح البخاري**، ط01، تعليق: محمد بن صالح العثيمين، باب الواد– الجزائر: دار الإمام مالك للكتاب، 2010م، 4 أجزاء.

2- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري (ت807هـ/ 1402م):**تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ؛ مقتطف من كتابه " **النفحة النسرينية في الدولة المرينية**"، تحقيق: هاني سلامة، ط1، بور سعيد – مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع 2001م.

3- **مستودع العلامة ومستبدع العلامة**، تحقيق: محمد التركي التونسي،الرباط:منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ،(د.ت).

4- البيصري، شرف الدين (ت996هـ/1296م)، **ديوان البيصري**، ط2، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مصر: مطبعة حلبي، 1973م.

5- التنسي، محمد بن عبد الله (ت 899هـ / 1494م) ،**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** ، تحقيق:محمود بوعياد، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1985.

6- الحفناوي، أبو القاسم محمد (ت1361هـ/1942م):**تعريف الخلف برجال السلف،** تحقيق : محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ ،ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة– تونس : المكتبة العتيقة ، 1982م، جزءان.

7- أبو حمو، موسى بن زيان العبد الوادي(ت792هـ/1389م): كتاب **واسطة السلوك في سياسة الملوك**،تونس: (د.م)،1880م.

8- الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني(ت789هـ /1387م): **مختصر الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية،** إعداد : أحمد مبارك البغدادي ، ط1، (د.م): مكتبة السندس، 1990م.

9- ابن الخطيب،لسان الدين محمد بن عبد الله (ت776هـ/1365م): **رقم الحلل في نظم الدول،** تونس: المطبعة العمومية،(د.ت).

10- ـــــــــ: **الإحاطة في أخبار غرناطة،** تحقيق: محمد عبد الله عنان،ط2،القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973–1977، 4أجزاء .

11-ـــــــــ: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،** تحقيق وتقديم السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1989.

12-ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/1405م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** مراجعة : سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر،2010م، 8أجزاء .

13-ـــــــــ: **المقدمة:** بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1996م.

14-ابن خلدون، أبو زكريا يحي بن محمد(ت780هـ/1378م):**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ،ج1، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر: المكتبة الوطنية ،،1980م ؛ ج2، تحقيق: بوزياني الدراجي ، الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، 2007م.

15-ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد (ت 795هـ) في **كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**،ط5، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير: دمشق– بيروت،1999م.

16-الرصاع، أبو عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري (ت 894هـ/ 1489م): **فهرست الرصاع**، تحقيق: محمد العنابي ، ط1،تونس : المكتبة العتيقة ، 1967م.

17-ابن أبي زرع،أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 736هـ/1337م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

18-ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي (ت617هـ/1220م): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** ، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2 ، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 1997م .

19-ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل الظاهري (ت920هـ/1514م): **نيل الأمل في ذيل الدول**،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت:المكتبة العصرية، 2002م.

20-ابن صاحب الصلاة، عبد الملك محمد الباجي(كان حيا 594هـ/1198م): **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، ط01، تحقيق: عبد الوهاب التازي، بيروت: دار الأندلس للنشر، 1964م.

21-ابن صعد، محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني(ت 901هـ/1496م):**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بو عزيز، ط1، الجزائر : منشورات ،المؤسسة الوطنية للإشهار، 2002م.

22-ــــــــــ:**النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق : محمد أحمد الديباجي، ط1، بيروت: دار صادر، 2011م.

23-العبدري ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن سعود (حي سنة 700هـ/ 1300م)، **الرحلة المغربية**، تحقيق: علي إبراهيم الكردي ، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

24-العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت 871 هـ/1467م): **كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق: علي الشنوفي، بولتان للدراسات الإستشراقية : المعهد الفرنسي بدمشق،

25-ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت1089هـ/1674م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط ، دمشق: دار ابن كثير ، 1985م .

26-ابن عمار: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، الجزائر: مطبعة فونتانة، 1904م.

27-ابن القاضي، أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي: **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، تحقيق: محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م .

28-القلصادي، أبو الحسن علي بن محمد القرشي الأندلسي (ت891هـ/1486م) : **رحلة القلصادي**، تحقيق : محمد أبو الأجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.

29-ابن قنفذ،أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت810هـ/1406م) ، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر : محمد الفاسي و أدولف فور، الرباط : منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، 1965م.

30-ـــــــــــــــ:**شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م.

31-ـــــــــــــــ: **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض ، ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة ، 1983م.

32-ـــــــــــــــ: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م.

33-مالك بن أنس (ت179هـ): **الموطأ**، ط03، تخريج : صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2002م.

34-المجيلدي ،أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1683م): **كتاب التسيير في أحكام التسعير** ، تحقيق : موسى لقبال ،الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، [1971م].

35-ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد(حي 1014هـ/1605م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: أحمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908م.

36-ابن مرزوق،أبو عبد الله محمد (ت781هـ/1379م): **المناقب المرزوقية**، تحقيق : سلوى الزاهري، ط1،الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008م.

37-ــ**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981م.

38-المغربي ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة2، 1982م.

39-المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت 845هـ/ 1441م): **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة: مطبعة الاوفست– مؤسسة الحلبي وشركاؤه،(د.ت)، 2أجزاء.

40-المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041 هـ) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** ،تحقيق : إحسان عباس، بيروت: دار الكتاب العربي ، 8 أجزاء .

41-__________: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،** تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1939م،05 مجلدات.

42-ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت711هـ/1311م): **لسان العرب،** ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي– مؤسسة التاريخ العربي: بيروت، 1999م، 18 جزء.

43-مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان (760– 764هـ/1359 – 1363م)،** تحقيق:عبد الحميد حاجيات، ط2، الجزائر: الأصالة للنشر والتوزيع،2012م .

44-مؤلف مجهول: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر – تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب،** تحقيق : الفريد البستاني، ط2 ، بورسعيد – مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م .

45-النميري، إبراهيم ابن الحاج (ت768هـ/1366م): فيض العباب **وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،** تحقيق: محمد ابن شقرون، ط1،بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.

46-ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م، 2 أجزاء.

47-الوزان، الحسن بن محمد الفاسي(ت939هـ/1532م): **وصف إفريقيا**،ترجمة، أحمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1983م.جزءان.

48-الونشريسي، أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م):**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**،أشرف على تحقيقه: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م.

المراجع:

1- أحمد طه جمال: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين**، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م.

2- أديوان محمد: **الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)**، الرباط: مطبعة سلمى، 2002م.

3- مصطفى باحو: **علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والمتصوفة والقبورية والمواسم**، ط01،جريدة السبيل: تونس، 2007م.

4- بشير عمر: **اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1070م)**، ط01، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م.

5- البعلبكي منير والبعلبكي رمزي: **قاموس المورد الحديث**، لبنان: دار العلم للملايين،2013م

6- بلعربي،خالد:**الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان(633-681 هـ/1235-1282م)دراسة تاريخية وحضارية**، ط1، قسنطينة: دار الألمعية للنشر والتوزيع، 2011م.

7- بلوط، عمر: **فنادق مدينة تلمسان الزيانية – دراسة أثرية–**، ط1، الجزائر: مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2011م.

8- بوداود عبيد: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)**، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، الجزائر:دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع،2002م.

9- بوزياني، الدراجي: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.

10-بوطارن مبارك : **الموروث الإسلامي لتلمسان**، ط1 ، الجزائر : طبع بدعم من وزارة الثقافة، 2011م.

11-بوعزيز، يحي: **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**،الجزائر: منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1985م.

12-بوعياد،محمود : **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي** ،الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

13-حاجيات، عبد الحميد،**أبو حمو موسى الثاني – حياته وآثاره–**، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

14-حساني،مختار: **تاريخ الدولة الزيانية** ،ط1،الجزائر : دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ،2007م ، 3أجزاء.

15-_______**موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ط2، الجزائر: دار الحكمة، 2007م.3ج.

16-الجراري، عباس: **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، ط6، الرباط: مكتبة المعار ،1979م،4 أجزاء.

17-الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**،ط4، بيروت: دار الثقافة، 1980 م، جزءان.

18-خطيف، صابرة: **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**،ط1، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع،2001م.

19-خلفات، مفتاح: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(6–9هـ/12–15م)**، تيزي وزو– الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م

20- روجيه باستيد: **مبادئ علم الاجتماع الديني**،ط1، ترجمة: محمود قاسم، البلد المكتبة الانجلوسكسونية، 1951.

21-الزاهي نور الدين: **المقدس الإسلامي**، ط01، الدار البيضاء- الجزائر: دار توبقال للنشر،2005م.

22-________: **المقدس الإسلامي**:ط01، الدار البيضاء- الجزائر: دار توبقال للنشر،2005م.

23-________: **بركة السلطان**، سلسلة دفاتر، 2007م.

24-سعد الله فوزي: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1995م.

25-السواح، فراس: **دين الإنسان**، ط04، سوريا: دار علاء الدين، 2002م.

26-السيد عبد العزيز سالم، سحر: **أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا**، ط1، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 1991م.

27-السيد أبو مصطفى كمال: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريسي**، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.

28-شاوش ، محمد بن رمضان:**باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**،ط2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية،1995م.

29-صاري،جيلالي : **تلمسان الزيانية- إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث** -،ترجمة : مسعود حاج مسعود ، الجزائر: دار القصبة للنشر ،2001م.

30-الطمار، محمد بن عمرو، **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، الجزائر:المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1984م.

31-العامري، نيللي سلامة: **الولاية والمجتمع- مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية العهد الحفصي**، منوبة- تونس: منشورات كلية الآداب، (د.ت).

32-العروي،عبد الله : **مجمل تاريخ المغرب**، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: المغرب، 1996م.

33-العطري،عبد الرحيم: **بركة الأولياء**- بحث في المقدس الضرائحي-،ط1،الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس،2014م.

34-غوستاف، لوبون: **الآراء والمعتقدات**، ترجمة: عادل زعيتر، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: مصر، 2014م.

35-فراح، عبد العزيز: **تلمسان المدينة المحراب**، ترجمة: إنعام بيوض وآخرون، الجزائر: منشورات أبيك،2011م.

36-فرحات، يوسف شكري: **غرناطة في ظل بني الأحمر**، ط01، بيروت: دار الجيل،1993م.

37-فيلالي، عبد العزيز:**تلمسان في العهد الزياني- دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية-** ،الجزائر: موفم للنشر والتوزيع ، 2002 ،جزءان.

38-القادري بوتشيش إبراهيم: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع – الذهنيات- الأولياء-**، ط01 ، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993م.

39-عثمان محمد العربي: **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.

40-عنان، محمد عبد الله: **كتاب دولة الإسلام في الأندلس**، ط02، القاهرة: مكتبة الخانجي، 4 أجزاء، 1990م.

41-كواتي، مسعود: **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**،ط2، الجزائر : دار هومة،2009م.

42-لطفي، عيسى: **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، تونس: سراس للنشر، 1994م.

43-محمدي، عبد القادر: **أنثربولوجيا الجسد الأسطوري بحث في الهوية والامتداد،** مطبعة فاس بريس: المغرب، 2013م.

44-مبارك، زكي: **المدائح النبوية في الأدب العربي،** القاهرة: دار الشعب، 1971م.

45-مزيان، عبد المجيد: **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي – دراسة فلسفية واجتماعية–**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1981م.

46-المعسكري أبي راس الناصر(ت1238هـ): **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان،** دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، ط2، الجزائر: منشورات دار قرطبة ، 2012م.

47-منديب، عبد الغني: **الدين والمجتمع – دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب–** ،ط02، المغرب: إفريقيا الشرق،2010م.

48-المنوني، محمد: **ورقات عن حضارة المرينيين،** ط2، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 1996م.

49-مهدي، محمد القصاص: **علم الاجتماع الديني:**المنصورة– مصر: 2008م.

50-موساوي، عبد المالك: دور الزخرفة في الحياة الحضارية بتلمسان، ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع، 2011م.

51-الميلي، مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث،** تقديم : محمد الميلي ، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية [2004م] جزءان.

الدوريات:

1–بلعربي،خالد:"**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني 698–845هـ/1299–1442م**"،**دورية كان التاريخية(الإلكترونية)**، ع4/جويلية 2009م، ص19–29.

2–بوزياني الدراجي: "**بنو هلال وأحلافهم المنشأ والهجرة والاستقرار**" ، المجلة الخلدونية (بسكرة)، ع9/ جانفي 2011م، 25–

3-بونابي الطاهر: "**حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط**"، المجلة الخلدونية (بسكرة)ع9/ جانفي 2011م ، ص56-73 .

4-ـــــــــ: "**ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية (قسنطينة)،ع2011/12م، ص ص141-169.

5-حاجبات، عبد الحميد: "**تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط**"، مجلة عصور الجديدة (وهران) ،ع2011/2م، ص37-45.

6-فيلالي، عبد العزيز:**الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط (الجزائر) نموذج لحياة السلم والتسامح**، ص53-71:ضمن كتاب: **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي** ، عين مليلة – الجزائر: دار الهدى ،2012م.

7-ـــــــــ:**الزاوية الملارية– تأثير شيوخها الروحي والديني على الدولة والمجتمع**، ص107-124، ضمن كتاب: **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، عين مليلة – الجزائر: دار الهدى ،2012م.

8-ـــــــــ:**المؤرخون الفرنسيون والأمن الفكري في المغرب الكبير**، ص9-52، ضمن كتاب: **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي** ، عين مليلة – الجزائر: دار الهدى ،2012م.

9-مرتاض، عبد المالك: " **حركة الشعر المولدي في تلمسان في عهد أبو حمو الثاني**" مجلة الأصالة (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)،مجلد11-ع2011/26م، ص311-332.

10- يخلف، حاج عبد القادر : "**العلاقات الخارجية للدولة الزيانية**"، مجلة عصور الجديدة (وهران)،ع2011/2م، ص143-158.

الأطاريح :

1- شقدان،بسام كامل عبد الرزاق: "**تلمسان في العهد الزياني(633-962 هـ/ 1235 - 1555م)**"، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين ،1422هـ / 2002م.

ثانيا: المحررات باللغة الأجنبية :

1- أوليفيه، روا: **الجهل المقدس- زمن بلا ثقافة-**، ط01، ترجمة: صالح الأشمر، دار الساقي،2012م.

2- روجيه، باستيد: **مبادئ علم الاجتماع الديني**، ط01،ترجمة:محمود قاسم، المكتبة الانجلوساكسونية،1951م.

3- روجيه، كايوا: **الإنسان والمقدس**، ط01، ترجمة: سميرو باشا،بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2010م.

4- غوستاف، لوبون: **الآراء والمعتقدات**، ترجمة: عادل زعيتر، مصر: منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2014م.

5- هنري، برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، ط01،ترجمة: سايالأوربي،مصر: مكتبة النهضة،(د.ت).

6- مارسي وليام: **مقتنيات متحف تلمسان**، تعريب وتقديم: أرزقي شرقي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 2011م.

7- Alfred Bel: **La Religion Muslmen en Berberie**: Paris, librairie oriental, poul Genthner, 1938.

8- Benali, Elhassar: **Tlemcen cité des grands maitres de la musique arabo andalouse**, Alger :éditiondalimen , 2011.

9- Edmond doutté - **Magie et Religion dans l’Afrique du Nord** : Alger : typographe Adoulphe jourdan Imprimeur- libraire- Éditeur 1909.

10- ———————— **: Notes sur Lislam Maghribein- Marabouts:** Extrait de la Revue de l histoire des Religion: Tomes xi et xii, paris: ernest leroux Editer ,1900.

11- ————————: **Magie et Religion dans l'Afrique du Nord** : Alger : typographe Adoulphe jourdan Imprimeur- libraire- Éditeur 1909

12- Edourd Montet **: Le culte des saints Musulmanes dans L'Afrique de Nord- et plus spécialement au Maroc.**Librairie Georg et Cie Genève, 1909.

13- Jacques Berque: Ulémas Fondateurs insurges du Maghreb xvii siècle, la Bibliothèque Arabe Editions sindbed, Paris, 1982

14- Marcais, Georges :**Tlemcen Viele et D'histoire,** paris: edition laurens collection, 1950.

15- René Basset :**Recherches sur la Religion des Berberes:** Revue de l histoir des Religions, Paris: Ernest leroux Editeur, 1910.

16- Rinne Louis **: Marabouts et Khouans-étude sur L'islam en Algérie**, Adolphe jourdan libraire : éditeur, 1884

17- Rossi Catherine: **Les Cornets de Tlemcen**, Alger: edition dalimen , 2011.

الفهارس

1-فهرس الآيات القرآنية:

نص الآية	سورتها	رقمها	الصفحة
إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ومَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ	القدر	97	20
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ	الكوثر	108	29
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	المائدة	05	86

2- فهرس الأحاديث النبوية:

الحديث	الصفحة
عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول اللهﷺإذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر.	20
عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة، وعليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل فإنه يورث في القلب التفكر، والتفكر يورث الحكمة، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم، فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه، ومن كثر طعمه عظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة، قريب من النار	23
لما قدم النبي ﷺالمدينة وجد اليهود يصومونه فقال لهم: لِمَ تصومونه ؟ فقالوا: يوماً نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه شكراً له، فصمناه. فقالﷺ :"نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه	30
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار	82
لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ"،	84
الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط	85
ولقوله ﷺللرجل الذي أتاه فقال: «قد أسلمت يا رسول الله قال ﷺ ألق عنك شعر الكفر واختتن »	85

3-فهرس الأشعار:

البيت الشعري	البحر	ص
يَا حُسْنَهَا لَيْلَةً تَوَلَّتْ *** لَوْ مُدَّ في بَاعِهَا النَّهَارُ ولمْ تَكُنْ تَبْتَلِي لِتُبْلَى *** بِنَهْرٍ فَجَّرَ لهُ انْفِجَارُ	السريع	37
أَقَمْتَ بِمَوْلِدِ خَيْرِ الوَرَى *** سُرُورًا لَكُمْ بالمَعَالِي حَكَمْ طَوَيْتَ الفُؤادَ على حُبِّهِ *** فَفِعْلُكَ هَذَا عَلى ذَاكَنَمْ	المتقارب	39
بِمَقْدَمَيْكَ إلاَّ أنَّ هَلاَ المُحَلَّى ** بِأنْـــوارِ البَشَائِرْوالتَّهَـــــانِي مُحَمَّـــــــدُ النَّبِيُ الهَاشِمِـيُ ** شَفِيعُ الخَلْقِ في يَوْمِ الهَـــوَانِ أمَوْلاَنَا رَسُولُ اللهِ شَكْـــــوَى ** مُضَيِّعُ نَصَائِعَ بالضَّرْب شانِ	الوافر	41
مَدْحُ النَّبِي المُصْطَفَى العَدْنَانِ ** هُوَ عُدَّتِي لقِيَامِي وكَــفَان وضَعَتْهُ أمُّهُ لمْ تَجِدْ في وَضْعِهِ ** ألمًا كَمَا يَأْتِي إلى النِّسْوان في لَيْلَةٍ أهْدَتْ لنَا كُلَّ المُنَى ** بِظُهُورِ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ عَدْنَانِ أرَبِيعُ زُرْتَ زِيارَةً مَحْمُـــودةً *** أزْهَارُهَا عَبَقَتْ بَكُلِّ مَكَـــانِ لَكَ ياَ ربِيعُ عَلَى الشُّهورِ مَزِيةً *** أجْذَبَتْهَا بالحُسْنِ والإحْسَـانِ	الكامل	41
فَشَهْرُ ربيـــعٍ أتَى بِــــــرَفِيع *** نَـبِيٍّ شَفِيعِ لمَــــنْ أذْنَـبَا وأَسْرَى بِهِ لَيْلَةَ الإرْتِـــــــقَا *** إلىَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أقْـرَبَا يَخُصُّكَ مُوسَى بِأزْكَى سَــلاَمٍ *** يَرُوقُ النُّفُوسَ كَنَشْرِ الكِبَا	المتقارب	43
مَنْ عَطَّرَالكَوْنَ طيبًا عنْدَ مَوْلِدِهِ ** وأشْرَقَ الأُفْقُ مِنْ نُورِ لَهُ بَهجِ مُحَمَّدٌ خَيـرُ خَلْقِ الله قَاطِبَـةً** نُورُ الهُدَى وإمَامُ الرُّسْلِ والسُّرُجِ يَارَبْ عَبْدُكَ مُوسَى قَدْ دَعَاكَ عَسَى** تُنِيلُهُ نَفْحَةً منْ نَصْرِكَ الأَرِجِ.	البسيط	43
فَهنَا بَلَيْلَةِ مَوْلِدِ الهادِي الذِي *** عَظُمَتْ لأُمَّتِهِ بِهَا بُشْرَاهَا	الكامل	44
وإنَّ أبَا زَيَّـــانْ زَيْنٌ لِـذَاتِهِ *** زَكَا مَنْهُ نَجْلٌ حِينِ طَابَ لَـــهُ نَجَرُ وَقَدْ حَذَقَ القُرْءانَ حِذْقَ مُجَوِّدٍ** فَأَشْرَقَ مِنْهُ القَلْبُ وانْشَرحَ الصَّــدْرُ	الطويل	45

فهرس الأعلام:

فهرس الأماكن

فهرس القبائل والشعوب

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث
العادات الاحتفالية بين الضمور والتفاعل

الفصل الرابع
العلاقات القائمة بين الاحتفالات كطقوس وممارسات وبين حقيقتها المفترضة

ملخص الدراسة بالعربية:

إن دراسة موضوع **العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط الزياني (633– 962 هـ/1235–1555م)**– "من المواضيع الجديدة والصعبة في الدراسات التاريخية الزيانية بسب طابع التعتيم والتهميش الذي فرضه مؤرخ العصر الوسيط الزياني، وهذا الموضوع له تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية، ومن المواضيع ذات الصلة بالتراث الإنساني وشموليته وتعدد مظاهره وتنوع ظواهره واختلاف أشكاله واتساع بيئاته.

والحاجة اليوم لدراسة مثل هذا الموضوع قد أصبحت أكثر إلحاحاً على التمسك بالهوية في مختلف مكوناتها الدينية واللغوية والثقافية، ذلكم أن المجتمع الجزائري، واجه تحديات متنوعة ومتعددة خاصة من طرف المستعمرين كان القصد من ورائها إضعاف المعتقد الديني أو تهميشه أو إقصاء قيمه من خلال إضفاء الصبغة الوثنية على كثير من مظاهره بما فيها الأعياد الدينية وطرق الاحتفال بها دون أن تسلم باقي الفعاليات الاجتماعية من هذا التشويه وهو الذي نقل لنا صورة ضبابية عن تاريخ الجزائر بشكل عام والفترة الوسيطية منه بشكل خاص.

إن هذه العادات الاحتفالية في المغرب الأوسط الزياني وما حوته من ممارسات وطقوس شكلت تراكماً له قيمته وفاعليته في إغناء التاريخ الجزائري والتراث الوطني فالأجواء الاحتفالية المرتبطة بالأعياد الدينية هي جزء من التراث الاجتماعي المشترك وتكتسب قوتها بالنظر إلى مكانتها الرمزية كشعيرة دينية وسلوك عبادي ومن خلال قداستها كحدث وزمن وطقوس، ترتكز حولها كل التقاليد والعادات الوضعية والتي وإن لم تكن لها نفس المكانة الدينية فإنها تلتقى بالشعيرة الدينية وتترسخ كتقليد متوارث الذاكرة الجماعية هي القناة الأساسية التي تستمر من خلالها ثقافة المجتمع التي تمتد لأدق تفاصيل الحياة اليومية بطقوسها ومناسباتها وعاداتها المتنوعة التي تمثل الأعياد محطة مركزية فيها العادات الاحتفالية لها مكانتها وسلطتها الرمزية وقدرها على الاستمرار والتعايش مع كل أشكال التغير والتبدل.

كلمات المفاتيح: الاحتفال / المولد النبوي / عيد الفطر/ الزواج / الختان / الأعراس/ الموسم

ملخص الدراسة بالفرنسية

L'étude des habitudes rituelles soumises Maroc East Alzayanih (633-962 AH / 1235-1555 AD) - «sujets nouveaux et difficiles dans les études historiques Alzayanih en raison de la nature de la panne et de la marginalisation imposée par la Zayani ère de médiateur historien, et cette question a un impact direct sur la vie sociale, et les discussions patrimoine pertinent humanitaire et son exhaustivité et la multiplicité des manifestations et la diversité de ses manifestations et ses différentes formes et l'étendue d'environnements.

Et la nécessité aujourd'hui pour l'étude d'un tel sujet est devenu encore plus pressant de respecter l'identité de diverses composantes religieuses, linguistiques et culturelles, telle est la société algérienne, face à des défis variés et multiples en particulier par les colons était prévu derrière l'affaiblissement de la croyance religieuse ou de marginaliser ou d'exclure la valeur en donnant un colorant païen beaucoup de ses manifestations, y compris les fêtes religieuses et les moyens célébré sans recevoir le reste des événements sociaux de cette distorsion il nous déplacé image floue sur l'histoire de l'Algérie en général et la période intermédiaire de celui-ci en particulier. Ce coutumes cérémonielles au Maroc East Zayani et Hute des pratiques et rituels ont formé une accumulation de la valeur et de l'efficacité dans l'enrichissement de l'atmosphère de l'histoire algérienne et patrimoine national cérémonial associés aux fêtes religieuses sont partie du patrimoine social commun gagne la force en vue du rituel et le comportement religieux Ebadi son statut

symbolique et par événement et le temps de sainteté le rituel, basé autour de tous les traditions et les coutumes état, qui, bien que ne sont pas avoir le même statut religieux qu'ils rencontrent religieux Balsairh et tradition ancrée a hérité de la mémoire collective est le canal central, qui continue à travers laquelle la culture de la société, qui se prolonge pour plus de précisions sur les rituels de la vie quotidienne et les événements et les diverses coutumes qui représentent les vacances centralisée de la station habits de cérémonie ont le prestige et l'autorité d'Avatar et de continuer à co-existence avec toutes les formes de changement et de changement.

Mots clés:

Célébration / anniversaire du prophète / Eid al-Fitr / Mariage / coupe / mariages / Saison

ملخص الدراسة بالانجليزية

The study of the subject ceremonial habits Morocco East Alzayanih (633-962 AH / 1235-1555 AD) - "new and difficult topics in historical studies Alzayanih because of the nature of the blackout and marginalization imposed by the historian mediator Zayani era, and this issue has a direct impact on social life, and Threads relevant humanitarian heritage and its comprehensiveness and the multiplicity of manifestations and the diversity of its manifestations and different forms and breadth of environments.

And the need today for the study of such a topic has become even more pressing to adhere identity in various religious, linguistic and cultural components, such is the Algerian society, faced varied and multiple challenges especially by the colonists was intended from behind the weakening of religious belief or marginalize or exclude value by giving dye pagan many of its manifestations, including religious holidays and ways celebrated without receiving the rest of the social events of this distortion He moved us blurry image on the history of Algeria in general and the intermediate period of it in particular. This ceremonial customs in Morocco East Zayani and Hute of practices and rituals formed an accumulation of value and effectiveness in enriching the Algerian history and national heritage atmospheres ceremonial associated with religious holidays are part of the common social heritage is gaining strength in view of the religious ritual and behavior Ebadi its symbolic status and through holiness event and time The ritual, based around all the traditions

and customs status, which though were not having the same religious status they meet religious Balsairh and entrenched tradition inherited the collective memory is the core channel, which continues through which the culture of the society, which extends for more precise details of daily life rituals and events and various customs that represent the holidays centralized the station ceremonial habits have prestige and authority of Avatar and to continue to co-existence with all forms of change and shift.

Keywords:

Celebration / birthday of the prophet / Eid al-Fitr / Marriage / cutting / weddings / Season